



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

مجلة الواحات للبحوث والدراسات

تصدر عن جامعة غرداية - الجزائر

رمد: 1112-7163-P
رمد: 2588-1892-E

مجلة الواحات للبحوث والدراسات

République Algérienne Démocratique et Populaire

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique

Université de Ghardaïa

Revue « ELWAHAT » pour les Recherches et les Etudes

Editée par l'Université de Ghardaïa - Algérie



Lettres et Langues



الأداب واللغات



المجلد: 11 العدد: 01، جوان 2018 الجزء

E

ELWAHAT

الجزء E

المجلد: 11 العدد: 01، جوان 2018

Volume 11 N° 01, Juin 2018

Section E

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

مجلة الواحات للبحوث والدراسات

مجلة أكاديمية فكرية محكمة

تصدر عن جامعة

غرداية - الجزائر

المجلد 11 العدد 1

رمضان 1439 هـ / جوان 2018 م

مجلة الواحات للبحوث والدراسات

الإيداع القانوني رقم: 2006/2763

ردمك P-ISSN: 1112 – 7163

ردمك E-ISSN: 2588 – 1892

كل الحقوق
محفوظة

مجلة الواحات للبحوث والدراسات

ردمدم- 7163 P – 1112

ردمدم- 1892 E – 2588

هي مجلة علمية ذات لجنة قراءة متعددة الاختصاصات من جامعيين وخبراء دوليين. تنشر مجلة الواحات للبحوث والدراسات أبحاث في جميع الميادين. تنشر مقالات أصلية، وتحليلات علمية في مختلف المجالات. لمجلة الواحات للبحوث والدراسات خمس (5) أجزاء:

جزء A: العلوم التطبيقية

جزء B: الحقوق والعلوم السياسية

جزء C: العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير

جزء D: العلوم الاجتماعية والإنسانية

جزء E: الآداب واللغات

الناشر

جامعة غرداية

حقوق النشر محفوظة

عند قبول مقال للنشر في مجلة الواحات للبحوث والدراسات، يصرح المؤلفون بنقل حقوق النشر للناشر.

للاتصال

ترسل جميع المراسلات عن طريق البريد إلى مدير النشر:

العنوان: مجلة الواحات للبحوث والدراسات – جامعة غرداية ص ب 455
طريق المطار غرداية 47000 الجزائر.

أو عن طريق البريد الإلكتروني: elwahatk.abdellah@gmail.com

الهاتف: +213 029 25 81 14 الفاكس: +213 029 25 81 12

مدير المجلة: الأستاذ الدكتور دادة موسى بلخير

مدير النشر: الدكتور كعاسي عبد الله

اللجنة العلمية

دادة موسى بلخير (الجزائر)	سايدو توري أبو بكر (النيجر)	عجيلة محمد (الجزائر)
حليلات محمد الطاهر (الجزائر)	براندت ستيفاني (فرنسا)	قوي بوحنية (الجزائر)
قندوز بن ريمة عتيقة (الجزائر)	جيلي فيرونك (فرنسا)	بوساليم صالح (الجزائر)
ولد الحاج محمد ديدي (الجزائر)	أوداير جين ماري (فرنسا)	قرليفة حميد (الجزائر)
بيساطيوعافية سامية (الجزائر)	بن يحي يحي (الجزائر)	أولاد سعيد أحمد (الجزائر)
شحمة عبد المجيد (الجزائر)	هادية مشيخي (تونس)	كيحول بوزيد (الجزائر)
بدراوي محمد (المغرب)	توبي مصطفى (المغرب)	حاج محمد قاسم (الجزائر)
بن رحيم حفصية (تونس)	محمود درابسة (الأردن)	قدي عبد المجيد (الجزائر)
تيسي دانيال (فرنسا)	إنيجوانيجوآدولفو (إسبانيا)	غزو محمد أكلي (الجزائر)
تومبسون ميشال (الولايات م أ)	روزان منير (الأردن)	خنور صالح (الجزائر)
خلفاوي فتحي (الجزائر)	باجو مصطفى (الجزائر)	فرج فرج (مصر)
بحاز إبراهيم (الجزائر)	عبدللي محمد (الجزائر)	شايب ساسي (الجزائر)
جيلي نور الدين (الجزائر)	بن سعد محمد سعد (الجزائر)	حجاج عمر (الجزائر)
مصيطفى عمار (الجزائر)	جوادات محمد (المغرب)	حمودة عائشة (الجزائر)
بن سلامة محمد (الجزائر)	الشمري عماد (الأردن)	المجاري عبد الكريم (تونس)
حسيني مسعود (الجزائر)	محفوظ عبد اللطيف (المغرب)	حمادي أحمد (الجزائر)
سنوسي عبد الحكيم (الجزائر)	ماجد عيساني عبدول (الجزائر)	وولف جونج كايزر (فرنسا)
صانون سليمان (بوكينا فاسو)	عبد الخالق عيسى (فلسطين)	بوعيدلي أحلام (الجزائر)
غانمي محمد (تونس)	درماكي عائشة (سلطنة عمان)	خواجة عبد العزيز (الجزائر)
ناثالي موندي (فرنسا)	حسن زيدان سليمان (ليبيا)	بن سانية عبد الرحمان (الجزائر)
وقيد محمد العيد (الجزائر)	موسوي أحمد (الجزائر)	بوعرعور كمال (الجزائر)
شريطي عبد الكريم (الجزائر)	سلامي مختار (الجزائر)	مرزوقي أمجد (تونس)
بلبوخاري الناصر (الجزائر)	معراج هواري (الجزائر)	شول بن شهرة (الجزائر)
يوسف محمد (الجزائر)	مصيطفى عبد اللطيف (الجزائر)	أولاد حيمودة جمعة (الجزائر)
حاج سعيد عبد القادر (الجزائر)	الصمدي مصطفى (المغرب)	بجاح يسين (العربية السعودية)
حاج عيسى محمد (الجزائر)	غزيل مولود (الجزائر)	بلعور سليمان (الجزائر)
وينتن مصطفى (الجزائر)	هيبة سيف الدين (الجزائر)	كواتي مسعود (الجزائر)

الجزء E

الأدب واللغة

رئيس التحرير

الأستاذ براهيم طاهر (الجزائر)

لجنة القراءة

الدكتور بن يحيى يحيى (الجزائر)

الدكتور بن سعد محمد سعيد (الجزائر)

الدكتور حمودة مصطفى (الجزائر)

الدكتور بوعامر بوعلام (الجزائر)

الدكتور مولاي لخضر بشير (الجزائر)

الدكتور غزيل بلقاسم (الجزائر)

الدكتور حاج أمحمد يحيى (الجزائر)

مجلة « الواحات » مجلة أكاديمية محكمة، تهدف إلى نشر الدراسات والبحوث الأصيلة المبتكرة في مختلف العلوم التي تهتم بدراسة الإنسان. تقبل المجلة البحوث والدراسات المكتوبة باللغة العربية أو اللغتين الفرنسية أو الإنجليزية.

لنشر في مجلة « الواحات » يشترط احترام قواعد النشر العامة والخاصة الموالية. إن المجلة مفتوحة أمام كل الباحثين العاملين في مختلف الجامعات ومراكز البحث الجزائرية والعربية والأجنبية.

أ- قواعد النشر العامة:

1. أن يكون البحث أصيلاً ، وتتوفر فيه شروط البحث العلمي المعتمد في كتابة البحوث الأكاديمية

2. الالتزام بمراجعة البحث من حيث الأسلوب و اللغة.

3. يجب أن لا تزيد صفحات البحث عن 30 صفحة وأن لا تقل عن 06 صفحات.

كما تحدد أبعاد الورقة ب 16×24 و هوامش الورقة ب 2×2×2×2

4. الالتزام بكتابة العناوين الرئيسية في وسط السطر والفرعية في الجانب.

5. الالتزام بإرسال السيرة الذاتية المختصرة بالنسبة للباحثين الذين يرسلون المجلة لأول مرة.

6. يجب أن لا يكون البحث قد سبق نشره في السابق و لم يقدم للنشر إلى جهة أخرى.

ب- قواعد النشر الخاصة:

7. فيما يخص كتابة النصوص:

- يكتب نص المقال ببرنامج وورد (Word)، بخط Simplified arabic،

ويحجم 14 بالعربية و 12 باللغات الأجنبية بخط Times New Roman

(العنوان الرئيسي بحجم 16 – والعنوان الفرعي بحجم 15 – والمقال 14 –

والهامش 12)

8.تخصص الصفحة الأولى من المقال لكتابة المعلومات الأساسية الموالية فقط : عنوان البحث، اسم الباحث أو الباحثين والدرجة العلمية، اسم المؤسسة أو المؤسسات التي يعملون لديها ، عنوان المراسلة، البريد الإلكتروني، وعنوان الصندوق البريدي.

9.تخصص الصفحة الثانية من المقال لتقديم ملخص للبحث في حدود 250-150 كلمة والكلمات الدالة (من 3 إلى 7 كلمات)، باللغة الأم للمقال واللغة الإنجليزية....يجب أن يعبر الملخص عن محتوى المقال بصورة شاملة وصادقة مع احترام الدقة في هذه الترجمات.

10. يبدأ تقديم البحث من الصفحة الثالثة بتكرار عنوان البحث وبدون تكرار اسم الباحث أو الباحثين.

11. يجب ترقيم الصفحات في الوسط وفي أسفل الصفحة.

12. فيما يخص إعداد الجداول والأشكال:

ترقم الجداول والأشكال ترتيبا تصاعديا وتوضع في مكانها المناسب في المقال. ويجب أن تقدم هذه الجداول في حدود مقاس الورقة وبالنمط العمودي (Portrait).

13. ترقم الخرائط والصور والأشكال ترقيما تصاعديا وتوضع داخل النص، ويشار إلى مصدرها كما يلي: اسم الخريطة أو الصورة أو الشكل رقم ()

فيما يخص الخرائط والصور:

مصدر الخريطة أو الصورة أو الشكل

14. ترسل الخرائط والصور في ملفات مستقلة عن النص، أي ملف لكل خريطة أو

صورة وهذا من نوع جبيك (jpeg).

مثال (nom de l'image.jpeg)، شريطة أن تكون نوعية الصورة لا تقل عن (300 dpi).

15. إننا لا نقبل إلا الصور الرقمية ومن نوع جبيك (jpeg).

16. يجب أن يكون عدد الخرائط والصور محدود وتخص فقط تلك التي تقدم

معلومات هامة لا يمكن الاستغناء عنها (أقصى حد من الصور هو 5).

17. فيما يخص إثبات المراجع والهوامش:

- تكتب المراجع كما يلي:

18. يشار إلى المراجع في آخر المقال على الشكل التالي :

- تسجل الكتب والمراجع في قائمة مصادر المراجع بصورة مرتبة ترتيبا أبجديا أو ألف بائيا. كما يلي: اسم الباحث أو الباحثين، عنوان الكتاب، رقم الطبعة، دار النشر، مكان النشر.

- تسجل الدوريات في قائمة المراجع كما يلي: اسم الباحث ، عنوان البحث، اسم الدورية، العدد، مكان الصدور.

19. تكتب الهوامش كما يلي:

يجب أن تكون الإحالات (الهوامش) متسلسلة بأرقام متتابعة وتوضع في آخر المقال ومرتبة ترتيبا تسلسليا:

- سجل إحالات الهوامش كما يلي:

- إذا كانت الإحالة إلى كتاب: يكتب رقم الإحالة، اسم ولقب الباحث ، أو الباحثين، عنوان الكتاب، رقم الطبعة، دار النشر، مكان النشر، الجزء أو المجلد، الصفحة التي توجد بها الفكرة أو الفقرة المنقولة.

- إذا كانت الإحالة إلى مقال منشور في دورية: يكتب رقم الإحالة، اسم ولقب الباحث، اسم المجلة أو الدورية ، العدد ، دار النشر، مكان النشر، الجزء أو المجلد، الصفحة التي توجد بها الفكرة أو الفقرة المنقولة.

- عند تكرار ذكر نفس المرجع، يكتب بعد رقم الإحالة نفس المرجع السابق والصفحة،

- في حالة ما إذا كان التكرار مباشر، وإذا فصل تكرار المرجع بمرجع آخر أو عدة مراجع أو صفحة جديدة، يجب ذكر بعد رقم الإحالة اسم ولقب الباحث ، الصفحة ثم مرجع سابق.

20. إذا كان المرجع موقع إلكتروني:

21. اسم الكاتب أو المنظمة. عنوان الصفحة الرئيسية، (شبكة الانترنت). عنوان

الموقع URL (تاريخ تصفح الموقع: اليوم، الشهر، السنة).

22. إذا كان المرجع صفحة من موقع إلكتروني:

- اسم الكاتب (عنوان المصدر). عنوان صفحة المصدر أو الوثيقة التي تتضمن المصدر،(عنوان الصفحة الرئيسية)، (شبكة الأنترنت). عنوان الموقع URL (تاريخ تصفح صفحة الموقع: اليوم، الشهر، السنة).

ج - فيما يخص إجراءات النشر

23. تُرسل البحوث والدراسات وجميع المراسلات المتعلقة بالمجلة إلى مجلة الواحات للبحوث والدراسات عن طريق البريد الإلكتروني المنشور في موقع المجلة حسب الرابط التالي: <http://elwahat.univ-ghardaia.dz>

24. يرفق بالبحث موجز للسيرة الذاتية للباحث، متضمناً عنوان الباحث بالتفصيل، وأرقام هواتفه الخاصة و المنزل والعمل والفاكس - إن وجد - لكي يسهل التواصل مع الباحث عند الضرورة .

25. تخضع كل البحوث والدراسات إلى التحكيم السري من قبل محكمين مختصين.

26. تعرض الدراسات والبحوث على محكمين اثنين على الأقل لتقديم الخبرة حولها. وتعتبر هذه التقارير أساس القبول أو التأجيل لأي بحث أو دراسة. مع العلم أن المجلة يمكنها أن تطلب إدخال التعديلات التي تراها مناسبة بناء على تقارير المحكمين.

27. يُخطر الباحث بقرار صلاحية بحثه للنشر من عدمها خلال ستة أشهر - على الأكثر- من تاريخ الاستلام

28. في حالة ورود ملاحظات من المحكمين، تُرسل تلك الملاحظات إلى الباحث لإجراء التعديلات اللازمة بموجبها، على أن تعاد للمجلة خلال مدة أقصاها شهر.

29. الأبحاث التي لم تتم الموافقة على نشرها لا تعاد إلى أصحابها و يعلم صاحب المقال بنتيجة التحكيم، كما أن المجلة غير ملزمة بتبرير ذلك.

يمنح الباحثون المقبولة بحوثهم نسخة من المجلة التي نشر بها بحثه.



الفهرس

الرقم	العنوان	الصفحة
01	علم الأصوات عند العرب وجهودهم في ترتيب الأصوات العربية مجدي حسانين إسماعيل الحنفي	1497
02	الأخضري الصوفي في الجوهر المكنون أو حين تعانق البلاغة التصوف محمد بن حجر	1529
03	فلسفة نعيم تشومسكي واللسانيات العرفانية نظرة وموقف- جميلة روقاب	1561
04	منطلقات تأسيسية نحو لسانيات عربية ابن جني من شجاعة العربية إلى التداولية عائشة برارات	1585
05	الزواج بين إرشادات المثل الشعبي الجزائري و نفثات العولة فعرور عبد الله، قاسي محمد عبد الرحمان	1604
06	تحليل الخطاب من اللسانيات إلى السيميائيات عبد الجليل لغرام	1632
07	دور القصة في تعليم التعبير الكتابي الإبداعي (قصص محمد صالح ناصر عينة) محرز عبد السلام. يحيى بن يحيى. نورالدين زراي	1653
08	نحو مصطلح علمي قرآني فتيحة مولاي، محمد العيد رتيمة	1685
09	أثر السياق في توجيه دلالة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم "درة التنزيل وغرة التأويل للإسكافي أنموذجا" دهان سليمة، بن سعد محمد السعيد	1712
10	الزحافات والعلل ودورها في تقريب البحور الخليلية العربية من الأوزان النبرية الأوربية نجلاء نجاحي	1732
11	MYTHE ET REECRITURE DU MYTHE DE LA REINE DE SABA DANS LA LITTERATURE ALGERIENNE D'EXPRESSION FRANÇAISE Hadda Chenini	1746

1762	L'emploi Abusif De Certains Connecteurs Causaux Dans Les Productions Ecrites Des Lycéens : Une Approche Quatito-Qualitative Khedidja Salim	12
1771	La Poésie En Classe Du FLE Au Secondaire Algérien : Lire Pour Mieux Ecrire (Cas Des Elèves De 1 ^{ère} Année Secondaire) Farid Ahnani , Ouled Ali Zineb	13
1787	Apport Des Connecteurs Logiques Dans La Cohésion Et La Cohérence D'un Texte Argumentatif : Cas De La Dissertation Littéraire TOUATI Mahmoud, BERGOUTH Noudjoud	14
1801	La Graphie Et La Standardisation Du Berbère Cas De La Région De Ghardaïa Ahmed RAMDANI, Salah KHENNOUR, Yahia BENYAHIA	15



علم الأصوات عند العرب وجهودهم في ترتيب الأصوات العربية

مجدي حسانين إسماعيل الحنفي

كلية الآداب، جامعة طنطا، مصر

كلية الإلهيات، جامعة باموق قلعه دنيزلي، تركيا

macdy1976@gmail.com

الملخص -

تعد الدراسة الصوتية التوطئة للدراسة الصرفية والنحوية والدلالية والمعجمية، بل إن علوم اللغة كلها تعتمد على الدراسة الصوتية، وكان العرب سابقين في دراسة صوتيات لغتهم، باعتبارها مقدمة لدراسة لغتهم من شتى الجوانب الأخرى، وتهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على جهود العرب في الدراسات الصوتية قديماً وحديثاً وكيف أبدعوا في ترتيب أصوات لغتهم، من الترتيب الأبجدي والترتيب الألفبائي والترتيب الصوتي، ومن ثم التعمق في دراسة الترتيب الصوتي من أجل التعرف على ما يمكن أن يقدمه هذا الترتيب من وصف لبعض الأصوات. وقد تميز العرب بذائقة عالية المستوى استطاعوا من خلالها أن يبدعوا في عملهم الصوتي وترتيبهم للأصوات.

مفاتيح البحث -

علم الأصوات، العرب، ترتيب الأصوات

Phonetics and Arabs' Efforts in Organizing Phonetics of Arabic Language

Abstract-

This phonemic study is an introduction to phonology, syntax, semantics and lexicology. Rather, linguistics draw heavily upon phonetics. Arabs were the first to study phonetics, being an approach to the study of Arabic languages from various perspectives. This study aims to highlight the efforts exerted by Arabs, both in the past and at the present, and how they were creative in organizing the phonetics of Arabic language from the alphabetical as well as the phonemic order. Hence, they went further to explore the phonemic order so that they could identify the importance of this order in terms of specific phonemes. As is known, Arabs were known for their classy taste through which they managed to excel in their study of phonetics and their order.

Keywords-

Phonetics, Arabs, Phonemic Order

مقدمة

لا ريب أن الأصوات هي البنية الأولى في البناء اللغوي، والركيزة الأساسية لدرس اللغة وبحثها، والمقدمة الأولى لمعرفة نظمها وتشكيلها، والوحدة الأصلية في أبنيتها وتراكيبها؛ فمن الأصوات تتكون الكلمات، ومن الكلمات تتألف الجمل، فالأصوات هي الوحدة الصغرى في بناء الجمل والعبارات. وتمثل الأصوات المستوى الأول من مستويات تحليل اللغة، يقول ماريوباي: " إن دراسة اللغة . على مايجري عليه العرف . سواء كان المنهج وصفيًا أم تاريخيًا، تندرج في أربع مستويات، وإن كانت الحدود بينها غير واضحة تمامًا كما نحب أن يكون، وهذه المستويات هي:

1. مستوى الأصوات

2. مستوى الصرف

3. مستوى النحو

4. مستوى المفردات... ويدخل تحت دراسة المفردات فرع يسمى الاشتقاق...
وفرع آخر يسمى بالدلالة.⁽¹⁾

وقد اتفق علماء اللغة القدامى والمحدثون على أن اللغة مجموعة من الأصوات تتألف منها كلمات تنظم في جمل فتؤدي معاني شتى، قال ابن جني (ت 392هـ) : "اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم."⁽²⁾ والصوت كما قال الجاحظ: هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاً موزوناً ولا منثوراً إلا بظهور الصوت ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف.⁽³⁾ أما المحدثون فقد ذهبوا في تعريف اللغة مذاهب متباينة وفقاً لمناهج البحث التي انتهجوها، فعرفها بعضهم على أساس نفسي، وثان على أساس منطقي وثالث على أساس فلسفي، ورابع على ضوء وظيفتها الاجتماعية، ولعل خير تعريف للغة كما نألفها الآن ذلك الذي ارتضاه وقبله معظم الدارسين، وهو : "اللغة نظام عرقي لرموز صوتية يستغلها الناس في الاتصال بعضهم ببعض."⁽⁴⁾ والمتأمل في التعريف القديم والحديث يجد رغم ما بينهما من قرون وعصور اتحادهما في بيان أهم عنصر من عناصر اللغة وهو الأصوات. وللدرس الصوتي مكانته المرموقة في حقل الدراسات اللغوية، كما أن له مكانته المرموقة في الحياة والمجتمع، وإذا كانت اللغة العربية لها من المزايا والأسرار ما يجعلها في مقدمة اللغات الحية، فإن دراسة الأصوات هي التي تجلي لها هذه المزايا، وتبرز لها تلك الخصائص.

من أجل ذلك كان هذا البحث عن: علم الأصوات عند العرب وجهودهم في ترتيب الأصوات العربية، وقد جاء في ثلاثة مباحث إضافة إلى مقدمة تحدثت

(1) مايو باي، أسس علم اللغة، ترجمة وتعليق د. أحمد مختار عمر، ط 8، عالم الكتب، القاهرة 1998، ص: 43.

(2) ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت بدون تاريخ، ط 2، ج 1، ص: 33.

(3) الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 5، 1985، ج 1، ص: 79.

(4) إبراهيم أنيس (دكتور) اللغة بين القومية والعالمية، دار المعارف، القاهرة 1968، ص: 11.

فيها عن تعريف اللغة وأهمية البحث وخاتمة عرضت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، وثبت بالمصادر والمراجع، وقد جاءت مباحث هذا البحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: تعريف علم الأصوات، موضوعه، أنواعه، فائدة الدراسات الصوتية.

المبحث الثاني: نتائج العرب القدامى والمحدثين في مجال علم الأصوات.

المبحث الثالث: جهود العرب القدامى في ترتيب أصوات العربية.

منهج البحث: آثرت الدراسة التأصيلية في هذا المجال، وكان جل اعتمادي على الكتب المتخصصة للعلماء من القدامى والمحدثين، ونأيت عن إيراد مواطن الخلاف بين العلماء، وقد عضدت بحثي بالعديد من الأمثلة والشواهد. ولا أدعي أنني ألمت في هذه المقالة بكل ناحية أو أتيت فيها بكل شاردة وواردة، بيد أنني اجتهدت قدر طاقتي، وهي لا تخلو من خطأ غير متعمد، فما كان فيها من صواب فمن توفيق الله، وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل،،

المبحث الأول: علم الأصوات:

تعريفه: هو مصطلح لغوي معاصر، وضع لمقابلة مصطلحات أجنبية، كالمصطلح الانجليزي *phonetics* والفرنسي *phonétique*، - والألماني *fontiks*، - وهذه المصطلحات منقولة عن الكلمة اليونانية *phonetikos* المؤلفة من الكلمة *phone* وهي تعني صوتاً، واللاحقة *ikos* وهي تفكد الفن أو العلم. وقد حدده اللغويان: "ماركو باي"، و"فرنك غكنور" بأنه: «علم دراسة الأصوات، وتحليلها، وتصنيفها، متضمناً علم دراسة إنتاجها، وانتقالها، وإدراكها».⁽⁵⁾ وبهذا يكون العالمان قد بيّنا ما ينبغي أن يقوم به الأصواتي في دراسته للغة من تعرف على أصواتها، والقوام بحصرها، وتحديد أدق الفروق بينها، كما حددا الجوانب الثلاثة التي كدرسها علم الأصوات، وهي:

(⁵) محمد صالح الضالع (دكتور) الصوتيات والفونولوجيا، القاهرة 2003، ص: 11.

- إحداه الصوت.

- خروج الصوت من فم المتكلم ، واندفاع موجاته نحو أذن السامع.

- التقاط الأذن للصوت، وفك إشاراته ورموزه.

وكختص بدراسة كل مرحلة من هذه المراحل فرع من فروع علم الأصوات. وقد عرفه كذلك اللغويان " هارتمان " و " ستورك " بأنه: «دراسة أصوات كلام لغة معينة ، ودراسة وظائف هذه الأصوات في النظام الصوتي لتلك اللغة، وهو في الاستعمال المعاصر لا يقتصر على حقل علم الوحدات الصوتية المميزة فقط بل يتعدى ذلك إلى دراسة التغيرات الصوتية خلال التاريخ في لغة معينة، ونعني بذلك علم وظائف الأصوات التاريخي.»⁽⁶⁾ إن علم الصوتيات الحديث نشأ ونما وترعرع على أيدي الغربيين؛ وذلك لما توصلوا إليه من اختراع أجهزة صوتية دقيقة، تعطي وصفا تحليليا للكلام أو المنطوقات من نواح عدة، كقياس الزمن والتردد والشدة والطاقة، وتُظهر ذلك في صورة طيفية يمكن طباعتها على الورق.⁽⁷⁾

موضوع علم الأصوات:

كأعنى علم الأصوات بدراسة الصوت اللغوي أي الصوت البشري ، باعتباره المادة الأساسية لبناء اللغة، وهي الأداة التي كحقوق بها الإنسان وجوده اللغوي ونقل تراثه . وعلاوة فموضوعه هو دراسة ككفاعة إنتاج الأصوات مفردة مجردة، بحكاك كاتولى النظر في الخصائص التي تمكز كلا منها ، كما كعمل على إدراك الككفاعة التي تنتقل بها الأصوات من المتكلم إلى السامع . كما أنه كتصدى للتعرف على أحوال النجاح والإخفاق في عملكات الكلام ، جاهداً على سدّ الفجوة بكان اللفظ المنطوق والشكل

(6) كمال محمد بشر (دكتور) علم الأصوات، دار غريب، القاهرة 200، ص: 42.

(7) محمد صالح الضالع، التجويد القرآني دراسة صوتية فيزيائية، دار غريب، القاهرة 2002، ص: 45. بتصرف

المرسوم، وكبتغي في ذلك الوصول إلى أنجع الأساليب في تعلّم اللغات، مستنداً في تحقيق نظرياته على الآلات والوسائل التجريبية.⁽⁸⁾

فروع علم الأصوات:

اللغة أصوات منطوقة تصدرها آلة النطق لدى الإنسان، وتنتقل من فم الناطق إلى أذن السامع عبر الهواء، ونظراً للتطور الذي مسّ كل جوانب الحياة، والعلوم تطورت نظرة العلماء للصوت الانساني وأصبح كدرس تحت راية كبرى تسمى (علم الأصوات) وشملت مراحل إنتاج الصوت وانتقاله وتلقيه، وتخصص لدراسة كل مرحلة من مراحل الثلاث فرع من فروع علم الأصوات، وتتفاوت أهميتها لدارس الأصوات اللغوية تبعاً لنوع الدراسة التي يقوم بها وتبعاً لتخصصه العلمي وسعة اطلاعه.⁽⁹⁾

1. علم الأصوات النطقي:

هو ذلك الفرع من علم الاصوات الذي كاهتم بدراسة حركات أعضاء النطق من أجل إنتاج أصوات الكلام، أو الذي كعالج عملية إنتاج الاصوات اللغوية وطريقة هذا الانتاج.⁽¹⁰⁾ وهذا النوع من الدراسة سهل المنال للملاحظة الذاتية، فالممارسة الشخصية بطريق الذوق للأصوات ونطقها مرة بعد أخرى، وتحديد نقاط النطق وتعيين حركات أعضاء النطق، كلها أمور في متناول يد الدارس، وليست في حاجة إلى عناء كبير أو تدريب شاق، ومعظم الأعضاء التي تشترك في إصدار الأصوات تخضع لنظر العين المجردة أو يمكن ملاحظتها بمساعدة آلات بسيطة، ومن ثم كانت الدراسات الصوتية في العصور البعيدة مبنية في أساسها على هذا النوع من الدرس بوصفه الوسيلة المتاحة التي يمكن الاعتماد عليها في وقت لم تكن فيه الوسائل الآلية قد عرفت، وكان الدرس الصوتي العربي القديم مثلاً ممتازاً لهذا المنهج في دراسة الأصوات.⁽¹¹⁾

(8) غانم قدوري الحمد (دكتور) المدخل إلى علم أصوات العربية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، 2004، ص: 65.

(9) غانم قدوري الحمد، المرجع السابق، ص: 20.

(10) أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، التأثير والتأثر، عالم الكتب، القاهرة، ط8، (2003، ص: 98.

(11) غانم قدوري الحمد، المرجع السابق، ص: 20.

وقد جاءت الدراسات الصوتية القديمة مبنية على الجانب النطقي في دراسة الأصوات، ونطقها مرة بعد أخرى، وتحدد نقاط النطق وتعيّن حركات أعضاء النطق.

2. علم الأصوات الأكوستيكي أو الفيزيائي:

يعد هذا الفرع من علم الأصوات حديث العهد نسبياً، وهو كمثل المرحلة الوسطي بكن علم الأصوات النطقي وعلم الأصوات السمعي وكعرف على أنه: العلم الذي كدرس الأصوات بعد نطقها من ناحية فيزيائية، وكعني بحركة مصدر الصوت وسعة الذبذبة والموجة الصوتية والرنكان، أي من حركات انتقالها إلى الأذن وموجاتها و العوامل المؤثرة في ذلك.⁽¹²⁾ وقد ظهر علم الأصوات الفيزيائي نتجة لتطور العلوم الطبعية والفيزيائية التي افادت علم الأصوات بوسائل متطورة تساعد على دراسة الصوت فيزيائياً، بتحليل الذبذبات والموجات الصوتية المنتشرة في الهواء.

3. علم الأصوات السمعي:

هو أحدث فروع علم الأصوات على الإطلاق وكعرف على أنه: علم كعني بمادة إدراك الأصوات وبالعملية السمعية أي كدرس جهاز السمع.⁽¹³⁾ وعلم الأصوات السمعي ذو جانبين هما:

جانب عضوي فيزيولوجي: ووظائفه النظر في الذبذبات الصوتية التي تستقبلها أذن السامع، وفي مكان ككية الجهاز السمعي ووظائفه عند استقبال هذه الذبذبات.

جانب نفسي: كركز جهوده على البحث في تأثير هذه الذبذبات ووقعها على أعضاء السمع الداخلة منها بوجه خاص، وفي عملية إدراك السامع

(12) التونجي محمد التونجي، وراجي الأسمر، المعجم المفصل في علوم اللغة، ج1، القاهرة 1993، ص: 423.

(13) التونجي محمد التونجي، وراجي الأسمر، المرجع السابق، ج1، ص: 423.

للأصوات، وكى كفاية هذا الإدراك . وهذه مرحلة نفسية خالصة ومبدئها الحقيقي هو علم النفس.⁽¹⁴⁾

فائدة دراسة علم الأصوات:

من الممكن إيجاز أهمية الدرس الصوتي في النقاط الآتية:

• الوقوف على الطريقة المثلى للأداء القرآني، وسلامة الترتيل وحسن القراءة.

• الوصول إلى دراسة اللغات، وتعلمها وتفهم خصائصها ونظمها.

• للدرس الصوتي صلة قوية بالمعنى، فقد يتغير معنى الكلمة الواحدة بتغير طريقة الأداء مع بقاء حروفها كما هي، مثل كلمة "أرق" فقد تؤديها بطريقة فتدل على السهر والسهاد، وقد تؤديها بطريقة أخرى فتعطي معنى التفضيل في الرقة، كأن تقول: خلقتك أرق من النسيم، والحروف لم تتغير وإنما تغيرت صورة الأداء.

• للدرس الصوتي أهمية كبرى في الدراسات المعجمية، وكثير من المعاجم رتبت حسب مخارج الحروف كالعين للخليل، والمحكم لابن سيده. وهناك ما يسمى بالقاموس النطقي الذي ظهر لبعض اللغات والذي يحدد الصورة التي تنطق بها الكلمة، علاوة على تفسير معانيها، مثل ذلك المعجم الذي صنعه دانيال جونز في اللغة الإنجليزية.⁽¹⁵⁾

• الدرس الصوتي مهم لدراسة النحو والصرف، فدراسة النحو إذا ترتبط بالدرس الصوتي ارتباطاً وثيقاً، وإنه لمن الخطأ والخطأ أن يهمل النحاة الحقائق الصوتية في إجراء بحوثهم، وتحليل مادتهم، فهذه المادة بكل بساطة إنما تتألف من عناصر صوتية وأخرى صرفية، وهذا يعني من الناحية المنهجية ضرورة ربط النحو ارتباطاً وثيقاً بعلم الأصوات.⁽¹⁶⁾ ما الذي قام بدلالة الاستفهام في نحو قولنا (محمد حضر)؟ وبدلالة الأخبار في (محمد حضر) قاصدين الإعلام بمقدم

(14) كمال محمد بشر، علم الأصوات، ص: 43، 42.

(15) عبدالله ربيع (دكتور)، محاضرات في الصوتيات، القاهرة 1998، ص: 128.

(16) كمال محمد بشر (دكتور)، علم اللغة العام، الأصوات، دار المعارف، القاهرة

1975، ص: 187.

محمد، إنه التنغيم الذي هو فرع الأداء.⁽¹⁷⁾ وذهب الدكتور تمام حسان إلى أنه لا يمكن ان تقوم دراسة نحوية صحيحة دون أن يدخل في منهجها علم الأصوات، وعلم التشكيل الصوتي.⁽¹⁸⁾ ولا يمكن دراسة الصرف دراسة صحيحة إلا بالاعتماد على الوصف الصوتي، فليس هناك علم للدلالة بلا صرف، ولا علم للصرف دون أحداث، فدراسة الأصوات هي المقدمة الأولى لدراسة تركيب الكلمات أو دراسة الصرف بمعناه الخاص.⁽¹⁹⁾

• للدرس الصوتي دور كبير في وضع أبجديات دقيقة للغات التي ليس لها كتابات حتى الآن، وقد أشار الدكتور كمال بشر إلى أهمية الدراسة الصوتية في وضع الأبجديات وإصلاحها، فبعد أن عرض مشاكل الأبجديات وأوجه القصور فيها قال: ومهما يك من أمر فهذه القضايا وأضرابها في حاجة ماسة إلى النظر والدرس، وليس من سبيل إلى ذلك إلا بدراسة صوتية للغة المراد إصلاح أبجديتها.⁽²⁰⁾

• الدرس الصوتي مهم في الدراسة الأدبية والنقدية، فالشاعر الدارس للأصوات ينتقي الكلمات ذات الجرس المناسب المصور للمعنى، والناقد الدارس لأصوات يتناول النص الأدبي من ناحية اختيار الكلمات المصورة والقافية المعبرة، كما أن الدرس الصوتي مهم لدراسة البلاغة. ولا يخفى أثر الدرس الصوتي في المجال الاجتماعي، فهو مهم لمدرس اللغة بوجه خاص، وللمدرس بوجه عام، وللخطباء وللقضاة والمذيعين، والممثلين، ولكل من يتخذ الكلمة أدواته في التعبير والتأثير.⁽²¹⁾

المبحث الثاني: علم الأصوات عند العرب:

أ. علماء العرب القدامى:

-
- (17) عبدالله ربيع (دكتور)، محاضرات في الصوتيات، ص 129 .
 (18) تمام حسان (دكتور)، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو، القاهرة 1990، ص: 228.
 (19) تمام حسان (دكتور)، المرجع السابق، ص: 289 .
 (20) كمال محمد بشر، علم اللغة العام، الأصوات، دار المعارف، القاهرة 1975، ص: 183.
 (21) إسماعيل أبو اليزيد أبو العزم (دكتور)، أصوات اللغة العربية، دراسة تطبيقية، القاهرة، 2014، ص: 25.

اهتم علماء العرب بعلم الأصوات، وخطوا بهذه الدراسات الصوتية خطوات واسعة، وضربوا فيها بسهم وافر، شهد بذلك نَصَفُ الدارسين من الغربيين، حتى قال قائلهم: لم يسبق الأوروبيين في هذا العلم إلا قومان، العرب والهنود⁽²²⁾. وقال المستشرق الألماني شاديه عن الأصوات عند سيبويه: فيستحق ما قد وصل إليه من غايات علم الأصوات أن نعهده. كما أجمع على تسميته كل من درسه من علماء الشرق والغرب. مفخرًا من أعظم مفاخر العرب⁽²³⁾.

كانت جهود علماء العربية مثل الخليل وسيبويه وابن جني في دراسة الأصوات اللغوية يُشار إليها دائما في عصرنا على أنها من الإنجازات المتميزة في الدرس اللغوي، وقامت حولها دراسات ليست قليلة، ولكن أحدا من المشتغلين بدراسة الأصوات العربية من المحدثين لم يلتفت إلى كتب علم التجويد التي تتضمن دراسة للأصوات اللغوية لا تقل في أهميتها عن جهود علماء العربية... فظلت مهمة وظلت مادتها مجهولة، مما حرم الدرس الصوتي العربي من مصدر غني وأصيل. من أجل ذلك آثرت أن أتحدث عن جل المشتغلين بعلم الأصوات سواء أكانوا في ميدان النحو والصرف أم في ميدان الحكمة والفلسفة والطب والموسيقى، أم في ميدان التجويد، لذلك تُصنّف العلوم التي أسهمت ولو على نحو ما في علم الأصوات العربية، في طوائف ثلاث:

1. علوم العربية: النحو والصرف والبلاغة والعروض.

2. علوم الحكمة والفلسفة والطب والموسيقى.

3. علوم القراءة والتجويد والرسم والضبط.

أما الطائفة الأولى فتبدأ بظهور أول معجم في العربية، وهو كتاب العين المنسوب إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) والذي بُني على أساس صوتي، وصدر بمقدمة صوتية تعد أول دراسة صوتية منظمة وصلت إلينا في

(22) من كلمة للمستشرق الألماني برغستراسر في كتابه التطور النحوي للغة العربية،

أخرجه وصححه وعلق عليه الدكتور رمضان عبدالنواب، القاهرة، 1967.

(23) من محاضرة له بعنوان: "علم الأصوات عند سيبويه وعندنا" نقلاً عن مقدمة كتاب ما

ذكره الكوفيون عن الإدغام، أبو سعيد السيراقي، تحقيق د. صبيح التميمي، دار الشهاب،

باتنه، الجزائر، بدون تاريخ، ص: 38.

تاريخ الفكر اللغوي عند العرب⁽²⁴⁾. وتلاه كتاب سيبويه . تلميذ الخليل . الذي تضمن دراسات صوتية أوفت على الغاية دقة وأهمية، وتنوعت بتنوع مادتها؛ ليغدو أساساً ومنهلاً لكل من صنف في هذا الباب من النحاة واللغويين والقراء. ثم تتابعت كتب النحو واللغة بعد سيبويه تنحو نحوه وتقض أثره في تخصيص حيّز للدراسات الصوتية مرددةً تعبيراته ومصطلحاته في كل ما يتعلق بمخارج الحروف وصفاتها وكان على رأسها، مما وصل إلينا، المقتضب⁽²⁵⁾ للمبرد (ت285هـ) والأصول في النحو لابن السراج (ت316هـ) ورسالة الاشتقاق⁽²⁶⁾ له أيضاً، والجمهرة⁽²⁷⁾ لابن دريد (ت312هـ) والجمال⁽²⁸⁾ للزجاجي (ت340هـ) والتهذيب⁽²⁹⁾ للأزهري (ت370هـ). ومما يدخل في هذا الباب شروح سيبويه المختلفة وفي مقدمتها شرح السيرافي⁽³⁰⁾ (ت368هـ) والرماني⁽³¹⁾ (ت384هـ) . وتلا ذلك كله كتاب المفصل للزمخشري (ت538هـ) الذي نسج على منوال سيبويه أيضاً، فاستهل كتابه بذكر حروف العربية ومخارجها وصفاتها وختمه بباب

- (24) يراجع في هذا الباب كتاب التفكير الصوتي عند الخليل للدكتور حلمي خليل دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، ط1، 1988. وفصل الأصوات اللغوية من كتاب الخليل بن أحمد الفراهيدي، أعماله ومنهجه، للدكتور مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1986، ص: 56. 158.
- (25) أبو العباس المبرد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، القاهرة 1963، ج: 1، ص: 192. 196. (باب مخارج الحروف)
- (26) أبو بكر السراج، الأصول في النحو، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985، ج: 3، ص: 399. 404.
- (27) ابن دريد، جمهرة اللغة، دار صادر، بيروت، مصورة عن الطبعة الهندية، 1351هـ، ج: 1، ص: 6. 9.
- (28) عبد الرحمن بن إسحق الزجاجي، الجمال في النحو، تحقيق علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط2، 1986، ص: 409. 413.
- (29) أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام هارون وزملاؤه، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر 1964، ج: 1، ص: 48. 51.
- (30) نشر د. رمضان عبد التواب جزءاً من شرح السيرافي خاصاً بالضرورة الشعرية تحت عنوان. ضرورة الشعر لأبي سعيد السيرافي. دار النهضة. بيروت 1985.
- (31) أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، شرح كتاب سيبويه، مخطوطة مصورة عن نسخة مكتبة فيض الله ، اسطنبول رقم(1987)

الإدغام، وكان بهذه الدراسة الصوتية التي بنى عليها ابن يعيش (ت 643 هـ) شرحه الغني بالدراسة الصوتية⁽³²⁾. على أن أول من أفرد المباحث الصوتية بمؤلف مستقل، ونظر إليها على أنها علم قائم بذاته ابنُ جني (ت392هـ) في كتابه سر صناعة الإعراب الذي بسط فيه الكلام على حروف العربية: مخارجها، وصفاتها، وأحوالها، وما يعرض لها من تغيير يؤدي إلى الإعلال أو الإبدال أو الإدغام أو النقل أو الحذف، والفرق بين الحرف والحركة، والحروف الفروع المستحسنة والمستقبحة، ومزج الحروف وتنافرها.. إلى غير ذلك من مباحث بَوَّأَهُ المقام الأول في هذا الفن، فعَدَّ بحق رائدَ الدراسات الصوتية، وهو يعني ذلك إذ يقول: وما علمتُ أن أحداً من أصحابنا خاض في هذا الفن هذا الخوض، ولا أشبعه هذا الإشباع، ومن وجد قولاً قاله، والله يعين على الصواب بقدرته⁽³³⁾. ولا تقتصر جهود ابن جني الصوتية على ما في سر الصناعة وإنما تتعداه إلى كتبه الأخرى، وفي مقدمتها الخصائص الذي تضمن مادة صوتية غنية جاء بعضها منشوراً في ثنايا الكتاب⁽³⁴⁾، وأفرد بعضها الآخر في أبواب مستقلة مثل باب في كمية الحركات، وباب في مطل الحركات، وباب في مطل الحروف.. إلخ.⁽³⁵⁾

وأما الطائفة الثانية . طائفة الفلاسفة والأطباء والحكماء . فيقدمها فيلسوفُ العرب الكندي (ت 260هـ) الذي كانت له عناية متميزة بالأصوات، ظهرت في أكثر من مصنف، وعلى رأس ذلك رسالته في استخراج المعنى حيث تكلم على تردد حروف العربية ودورانها في الكلام معتمداً على إحصاء صنعه بنفسه، وتقسيمها إلى مُصَوِّتة وخُرس (صامتة). وذكر قانوناً لغوياً عاماً يسري على كل اللغات وهو كونُ المصوتات أكثر الحروف تردداً. ونَبّه على اشتغال المصوتة على المصوتات العظام، وهي حروف المد، والمصوتات الصغار، وهي

(32) ابن يعيش شرح المفصل، عالم الكتب، ج 10، ص: 123، بيروت، 1989.

(33) عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق مصطفى السقا وزملاؤه، مطبعة

مصطفى البابي الحلبي، ط 1، القاهرة 1954، ج: 1، ص: 63.

(34) من مثل كلامه على حروف الهمس، ج 1 ص: 57. 59. وكلامه على جرس الحرف

وأثره في الدلالة، ج: 1 ص: 56. 66. وكلامه على الإشمام وهمزة بين وبين والروم

ج: 2 ص: 144. 145... إلخ.

(35) ابن جني، المرجع السابق، ج 3، ص: 120. 133.

الحركات⁽³⁶⁾. ثم بسط الكلام على نسج الكلمة العربية باستفاضة، إذ أورد ما يقرب من مئة قانون من قوانين ائتلاف الحروف واختلافها أو تنافرها. وللكندي رسالة أخرى ذات مساس بالصوتيات بل بتطبيق دقيق من تطبيقاتها هو ما يدعى اليوم بأمراض النطق، وهي رسالة اللثغة⁽³⁷⁾، وقد قدم لها ببيان وافٍ لآلية النطق، وعلاقتها بالحروف، وما تحتاجه كل لغة من اللغات السائدة آنذاك من الحروف، ثم تكلم على أسباب اللثغة وما يعرض للسان من التشنج أو الاسترخاء، ووصف مخارج حروف العربية وهيئات النطق بها وصفاً تشريحياً فيزيائياً على نحو يختلف عما عهدناه عند سيبويه وابن جني، ثم حدد حروف اللثغة، وسمى أعراضها وأنواعها وختم الكلام بعللها⁽³⁸⁾. ومما ينحو هذا النحو رسالة الموسيقى⁽³⁹⁾ لإخوان الصفا (القرن الرابع الهجري) وقد اشتملت على عدة فصول أهمها فصل في كيفية إدراك القوة السامعة للأصوات، فيه كلام على الأصوات، وأنواعها، ومصدرها، وماهيتها، ونغمتها⁽⁴⁰⁾. وجاء ابن سينا (ت428هـ) فجمع هذا كله في رسالته الفذّة أسباب حدوث الحروف، التي عالج فيها أصوات اللغة على نحو فريد لا نكاد نقع عليه عند أحد من المتقدمين، وجاء حديثه فيها حديثاً العالم الفيزيائي حين أشار إلى كنه الصوت وأسبابه، وحديث الطبيب المشرح حين وصف الحنجرة واللسان، وحديث اللغوي المجوّد حين عرض لوصف مخارج الحروف وصفاتها، وحديث عالم الأصوات المقارنة حين تصدى لوصف أصوات

(36) انظر د. محمد المراتي، د. محمد حسان الطيان: علم التعمية واستخراج المعنى عند

العرب، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1987 ج: 1، ص: 237. وابن النديم،

الفهرست، تحقيق رضا تجدد، طهران 1971 .. ص: 317

(37) نشرتها مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق بتحقيق الدكتور / محمد حسان

الطيان في المجلد 60 ج3، ص: 515. 532 سنة 1985.

(38) للكندي رسائل أخرى مظنة أن تنحو هذا النحو لما تجد طريقها إلى النور منها

رسالته في الأصوات الخمسة، ورسالته في الإيقاع. ورسالته في المدخل إلى صناعة الموسيقى.

انظر الفهرست، ص: 316. 317.

(39) وهي الرسالة الخامسة من القسم الرياضي من رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا،

القسم الرياضي، مكتبة الإعلام الإسلامي، قم 1405، ج1، ص: 241. 183.

(40) رسائل إخوان الصفا، ج1، ص: 188. 194.

ليست من العربية، وحديثاً فقيه اللسان وأسرار الطبيعة حين ربط بين أصوات الطبيعة وأصوات الحروف. وتُميّز كلامه في ذلك كله بمصطلحات لا نحسب أحداً من علماء العربية يَشْرِكُهُ فيها.

وأما الطائفة الثالثة. طائفة علماء القراءة والتجويد والرسم والضبط. فقد وُسِّمَتْ مصنفاتها بأنها أكثر الكتب احتفاءً بالمادة الصوتية؛ لابتغائها الدقة في تأدية كلمات القرآن الكريم قراءةً وتدويناً إلى حدٍّ جعل بعض الباحثين يذهبون إلى أن هذه العلوم انضردت بالدرس الصوتي وأغنته⁽⁴¹⁾، على أنها أفادت من علم النحو عامة ومن كتب سيبويه خاصة، يقول برجستراسر: كان علم الأصوات في بدايته جزءاً من النحو ثم استعاره أهل الأداء والمقرئون، وزادوا في تفصيلات كثيرة مأخوذة من القرآن الكريم⁽⁴²⁾. والحق أن هذه العلوم اقتصرت بادئ الأمر على المشافهة والتلقين دون الكتابة والتدوين، ثم ظهرت مصنفات القراءات القرآنية التي عنيت ببيان وجوه الأداء المختلفة معزوةً إلى ناقلها، ووجوه الأداء هذه تشتمل على الكثير من الظواهر الصوتية؛ كإدغام المتماثلين والمتقاربين وإظهارهما، ونبر الهمز وتسهيله وإبداله وحذفه، وإمالة الألف والفتحة وفتحهما.. إلى غير ذلك مما يدخل تحت ما يدعى اليوم بعلم وظائف الأصوات⁽⁴³⁾. ويعزو المؤرخون أول كتاب في القراءات إلى أبي عبيد القاسم بن سلام (ت224هـ) الذي جعل القراء خمسة وعشرين قارئاً⁽⁴⁴⁾، أما أول كتاب وصلنا في هذه الفن فهو كتاب السبعة لابن مجاهد (ت324هـ) شيخ الصنعة وأول من سبَّع السبعة، وتواصلت بعده كتب القراءة تترى، تقفو أثره، وتنهل من منهل على اختلاف عدد القراء في كل منها⁽⁴⁵⁾.

(41) محمد منصف القماطي، الأصوات ووظائفها، منشورات جامعة الفاتح، ص: 88.

(42) نقلاً عن كتاب الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه، ص: 149.

(43) كمال محمد بشر (دكتور)، علم اللغة العام، الأصوات، ص: 28، 29.

(44) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تصحيح علي محمد الضباع، دار الكتب

العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ج 1 ص: 34. و حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون، ج: 2، ص: 1317.

(45) انظر النشر في القراءات العشر، ج: 1، ص: 34، 35. وكشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون، ج: 2، ص: 1317، 1322. وفؤاد سزكين في كتابه، تاريخ التراث العربي،

وما ينبغي إقراره في هذا المضمار أن علماء القراءة إذا كانوا مشغولين برواية النص القرآني الكريم، وضبط حروفه كما نقلتها طبقات علماء القراءة طبقة عن طبقة، حتى تنتهي إلى طبقة الصحابة رضوان الله عليهم، الذين تلقوا القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم. ولا يمكن أن تعد الكتب التي ألفها القراء في وصف القراءات القرآنية بدءاً للتأليف في علم التجويد، لأن علم القراءة وعلم التجويد، وإن كان كل منهما يرتبط بألفاظ القرآن، يختلفان في الموضوع كما يختلفان في المنهج، أما الموضوع فإن علم التجويد لا يعني باختلاف الرواة بقدر عنايته بتحقيق اللفظ وتجويده، مما لا اختلاف في أكثره بين القراء، وأما المنهج فإن كتب القراءات كتب رواية، وكتب التجويد كتب دراية، تعتمد على مقدرة العالم في ملاحظة أصوات اللغة وتحليلها ووصفها⁽⁴⁶⁾.

وقد بين مكي وغيره من العلماء الفروق بين علم التجويد وعلم القراءات بما لا يتسع المقام لذكره هنا ومن ذلك ما قاله محمد المرعشي (الملقب بساجقلي زادة، ت 1150هـ) في كتابه (ترتيب العلوم)، حيث قال: "إعلم أن علم القراءة يخالف علم التجويد، لأن المقصود من الثاني معرفة حقائق صفات الحروف مع قطع النظر عن الخلاف فيها، مثلاً يعرف في علم التجويد أن حقيقة التفخيم كذا وحقيقة الترقيق كذا، وفي القراءة (يعرف) فخماً فلان ورققها فلان، وبهذا يندفع ما عسى أن يقال من أن علم القراءة يتضمن مباحث صفات الحروف كالإدغام والإظهار والمد والقصر والتفخيم والترقيق، وهي مباحث علم التجويد"⁽⁴⁷⁾.

ولا يعني تأخر ظهور التأليف في علم التجويد أن القراء كانوا ينطقون القرآن قبل ذلك على غير أصل واضح، كما لا يعني أن علماء التجويد اختلقوا هذه الأصول أو ابتدعوها، فالواقع هو أن قراء القرآن كانوا يُعَنُونَ غاية الاعتناء

ترجمة د. محمود حجازي، ود. فهمي أبو الفضل، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة 1977، ج 1، ص: 36. 17.

⁽⁴⁶⁾ غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: 13

⁽⁴⁷⁾ محمد المرعشي، ترتيب العلوم، مركز إحياء التراث العلمي، جامعة بغداد، 1984، ص: 64.

بتجويد الألفاظ وإعطاء الحروف حقها منذ عصر الصحابة حتى عصر ظهور المؤلفات في علم التجويد، وكانوا يستندون في ذلك إلى الرواية الأكيدة والأصول المرعية عند العرب في نطق لغتهم.

فأصول علم التجويد وقواعده كانت موجودة في الكلام العربي، يحرص عليها القراء ويعتمدون عليها في قراءتهم وإقراءهم، وإن لم تكن مدونة، شأنها في ذلك شأن قواعد النحو والصرف التي استنبطها علماء العربية في وقت لاحق. فعلم التجويد الذي يدرس النظام الصوتي للغة، كان موضوعه تحليل ذلك النظام واستخلاص ظواهره ووضعها في قواعد تساعد المتعلم على ضبطها وإتقانها حين يستخدم اللغة، وهم في ذلك يسيرون على خطى علماء العربية الذين سبقوهم في هذا الميدان⁽⁴⁸⁾.

أما فن التجويد فأول من صنف فيه على ما يبدو موسى بن عبيد الله بن خاقان (ت 325) صاحب قصيدة الخاقانية في التجويد⁽⁴⁹⁾ وهي تضم واحداً وخمسين بيتاً في حسن أداء القرآن الكريم⁽⁵⁰⁾ ومن أقدم ما وصلنا بعد القصيدة الخاقانية رسالة النبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي لأبي الحسن علي بن جعفر السعدي المقرئ (ت 461هـ) وهي ذات موضوع طريف يتعلق بنطق الأصوات العربية، ويكشف عن الانحرافات النطقية الخفية التي يمكن أن يقع فيها المتكلم ولا سيما قارئ القرآن الكريم حيث يتطلب الأمر عناية خاصة بأداء الأصوات⁽⁵¹⁾. ومما ينحو نحوها كتاب بيان العيوب التي يجب أن يتجنبها القراء وإيضاح الأدوات التي بني عليها الإقراء لابن البناء (ت 471 هـ) وهو لا يقتصر على بيان الانحرافات النطقية في الأصوات والعجز عن أدائها وبيان

(48) غانم قدوري الحمد، المرجع السابق، ص: 22.

(49) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون، ج 1، ص: 354. صديق بن حسن القنوجي، أبجد العلوم، ج 2، ص: 188.

(50) حققها الدكتور علي حسين البواب مع مقتطفات من شرحها للداني في مجلة المورد العراقية، مج 14، عدد 1، 1985، وانظر تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين، ج 1، ص: 3029..

(51) نشرت هذه الرسالة بتحقيق الدكتور غانم قدوري حمد في مجلة المجتمع العراقي، 1985، مج 36، ج 2، ص: 240. 287.

كيفية علاجها ، وإنما يتجاوز ذلك إلى معالجة موضوعات أخرى تتعلق بكيفية الأداء، وبيان العادات الذميمة المتعلقة بالهيئات والجوارح مع تفويض معاييب النطق الخاصة ببعض الأصوات، مما يدخل في بابي أمراض الكلام والأصول الواجب مراعاتها عند القراءة.⁽⁵²⁾ على أن أوسع ما وصلنا في علم التجويد كتاب الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق التلاوة⁽⁵³⁾ للإمام المقرئ أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت 437 هـ) صاحب التصانيف الجليلة في علوم القرآن واللغة العربية، قال عن مصنفه: وما علمت أن أحدا من المتقدمين سبقني إلى تأليف هذا الكتاب ولا إلى جمع مثل ما جمعت فيه من صفات الحروف وألقابها ومعانيها، ولا إلى ما أتبعته فيه كل حرف منها من ألفاظ كتاب الله عزوجل والتنبيه على تجويد لفظه والتحفظ به عند التلاوة.⁽⁵⁴⁾ وتتابع بعد ذلك رسائل التجويد تقفو أثر ماتقدم، وكان أبرزها ماوضع الإمام ابن الجزري (ت 833 هـ) المقرئ المشهور، وقصيدهته المعروفة باسم المقدمة الجزرية ، وهي أرجوزة في ثمانية ومائة بيت في التجويد والرسم والوقوف والابتداء، وقد تناولها الكثير من العلماء بالشرح والتعليق.⁽⁵⁵⁾

ب. علماء العرب المحدثين:

تقدمت الدراسات الصوتية اللغوية في عصرنا تقدماً كبيراً، وكان الباحثون الغربيون أسبق من غيرهم في خوض غمار تلك المباحث في هذا العصر، فتعددت مناهج دراسة علم الأصوات، وتنوعت موضوعاته وقد أمد التقدم الصناعي في بلدان الغرب الباحثين بوسائل وآلات جديدة ساعدتهم كثيرا في دراساتهم، وعادت الحياة إلى الدراسات الصوتية من جديد، بعد رقدة استمرت سنين كثيرة، وأسهم فيها رافدان كبيران، هما: الدراسات الصوتية العربية القديمة عند علماء

(52) عرف الكتاب وحقق نصه الدكتور غانم قدوري حمد، مجلة المخطوطات العربية، 1987م، مج 31، ج 1، ص 58.7.

(53) حققه الدكتور أحمد حسن فرحات، دار الكتب العربية، دمشق، 1973.

مكي بن طالب القيسي، الرعاية لتجويد القرآن وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق د. أحمد حسن فرحات، دار الكتب العربية، دمشق 1973، ص: 42.

(55) حاجي خليفة، المصدر السابق، ج 2، ص: 1799. 1800.

العربية وعلماء التجويد، والدراسات الصوتية لدى الغربيين على يد عدد من المستشرقين وعدد من الباحثين العرب الذين درسوا في جامعات الغرب، فاطلعوا على مصادر هذا العلم وترجموا أو نقلوا كثيراً من موضوعاته إلى العربية، وكانت من نتيجة ذلك ظهور عدد كبير من المؤلفات الحديثة في هذا العلم، وهي متعددة المناهج، ومتنوعة الموضوعات، منها المترجم، ومنها المؤلف، منها ما ينحو منحى الدراسات القديمة، ومنها ما ينسج على منوال الدراسات الحديثة، ومنها ما يجمع بين القديم والحديث.

المبحث الثالث: ترتيب أصوات اللغة العربية:

يرتبط الحديث عن الأبجدية بالحديث عن اختراع الكتابة والخط؛ وذلك لأن الأبجدية إنما هي ثمرة من ثمرات اختراع الإنسان للكتابة، فلولا الكتابة ما كانت هناك حاجة إلى أن توضع الأبجدية وليس من شأننا هنا الحديث عن اختراع الأبجدية ووضعها بقدر ما يهمنا السر في ترتيب الأصوات في هذه الأبجدية على الشكل الذي جاءت عليه.

أ. الترتيب الأبجدي السامي:

من المعلوم أن العرب ورثوا هذه الأبجدية من إخوانهم الساميين⁽⁵⁶⁾ وعلى وجه التحديد حين اشتق العرب خط لغتهم من الخط النبطي العربي والخط السرياني اللذين اشتقا من الخط الفينيقي الذي يعود في أقوى الآراء إلى الشعب الذي وضع الأبجدية، وهم الفينيقيون الكنعانيون. وعدد حروف هذه الأبجدية اثنان وعشرون حرفاً، وقد ركبت من هذه الحروف كلمات استغرقتها كلها، هي: أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعض، قرشت. وذهب إلى ذلك الدكتور تمام حسان: يروي الرواة العرب عن نشأة الخط العربي روايات متعددة خلاصة القول فيها أن عرب الولايات الشمالية من مناذرة وغساسنة قد اشتقوا من الكتابات السامية الأخرى خطأ عربياً منذ زمن قديم، ونشروه في شبه جزيرة

(53) انظر هذه المسألة عند علي عبد الواحد وإي، فقه اللغة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، 2000م، ص30-31. ورمضان عبد التواب، "فصول في فقه العربية"، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة السادسة، 1999م، ص398.

العرب عن طريق الاحتكاك التجاري والديني بين هؤلاء وأولئك، وأن الشبه قوي جدا بين الخط العربي الكوفي وبين الخط السرياني، وقد بقي لنا من الأصل الذي اشتق منه الخط العربي ترتيب الحروف على أبجد هوز حطي كلمن إلخ، ومع أن ترتيب حروفنا اليوم ومنذ زمن طويل يختلف عن هذا الترتيب إلا أننا لانزال نستخدمها بهذا الترتيب في أمور كثيرة، منها الترقيم، مما يدل على نوع من الصلة بين خطنا والخط السرياني.⁽⁵⁷⁾ وقد أخذ العرب هذه الأبجدية بالترتيب السابق نفسه، وزادوا عليه حروفاً تستخدم في العربية ولكنها ليست في الأبجدية السامية، وهذه الحروف هي: (الطاء، الخاء، الدال، الضاد، الظاء، الغين)، وقد جمعت هذه الحروف في الأبجدية العربية بكلمتي (تخذ، ضغط) وأطلقوا عليها اسم الروادف⁽⁵⁸⁾، أما فيما يتعلق بسبب ترتيب أصوات الأبجدية على هذه الشاكلة التي جاء عليها فقد ذكر القدماء بعض التفسيرات لهذا الترتيب، كان أقربها إلى المنطق والصواب ما قاله الدكتور أنيس فريحة: إن حروف الآرامية وعددها اثنان وعشرون حرفاً، قد جمعت بحسب ترتيبها في كلمات (أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت)، وذلك بغية حفظها على هذا الترتيب؛ لأنها كانت تستخدم أيضاً للأرقام قبل اقتباس الأرقام الهندية فكانت قيمة الألف واحداً، والباء اثنين، إلى حرف التاء وقيمتها (400)⁽⁵⁹⁾ فيكون مقابل كل حرف، و تفسير أنيس فريحة يربط بين ترتيب الحروف في الأبجدية وبين مسألة مهمة ارتبطت بحروف الأبجدية وأصبحت من الثوابت العلمية التي لا يمكن الطعن فيها، وهي استخدام هذه الحروف للدلالة على الأرقام وفي عمليات الحساب، وذلك على النحو الآتي -:

(أ=1، ب=2، ج=3، د=4، هـ=5، و=6، ز=7، ح=8، ط=9، ي=10، ك=20، ل=30، م=40، ن=50، س=60، ع=70، ف=80، ص=90، ق=100، ر=200، ش=300، ت=400)

(75) تمام حسان (دكتور)، اللغة بين المعيارية والوصفية، دار الثقافة، المغرب، 1958، ص: 141.

انظر ابن النديم، "الفهرست"، تحقيق رضا تجدد، 1971م، ص 7. وانظر أنيس فريحة،
(⁵⁸) (اللبناني - بيروت، ط2، 1981م، ص92. نظريات في اللغة، دار الكتاب

(⁵⁹). أنيس فريحة، المرجع السابق، ص98..

(ثم عندما زاد العرب الروادف على الأبجدية أعطوا لكل حرف منها قيمة عددية بالآلية السابقة نفسها، وذلك على النحو الآتي): ث=500، خ=600، ذ=700، ض=800، ظ=900، غ=1000.

ب. الترتيب الألفبائي العربي:

مما هو جدير بالذكر أننا لا نجد من بين معاجم اللغة العربية على كثرتها وعلى تعدد الطرائق المتبعة في ترتيب موادها، لا نجد أحدها يرتب موادها معتمداً على الترتيب الأبجدي، فقد اعتمدت معظم المعجمات الترتيب الألفبائي أساساً لترتيب موادها، واعتمد بعضها الآخر الترتيب الصوتي الذي ابتدعه الخليل بن أحمد الفراهيدي في معجمه العين، كما سنرى لاحقاً. ناهيك عن أن الخليل نفسه أشار في معجمه العين الذي وضعه وفقاً للترتيب الصوتي بادئاً بحرف العين إلى الترتيب الألفبائي، وهذا يدل على شيوع هذا الترتيب عند العرب قبل عصر الخليل، حيث قال عندما فكر في إعادة ترتيب أصوات العربية على الأساس الصوتي الذي اعتمده: "هذا ما ألفه الخليل بن أحمد البصري - رحمة الله عليه - من حروف (أ، ب، ت، ث، ...) مع ما تكملت به، فكان مدار كلام العرب وألفاظهم، فلا يخرج منها عنه شيء. أراد أن تعرف به العرب في أشعارها وأمثالها ومخاطباتها فلا يشذ عنه شيء من ذلك، فأعمل فكره فيه، فلم يمكنه أن يبتدئ من أول (أ، ب، ت، ث) وهو الألف" (60)

ويذهب بعض الباحثين إلى القول: إن اختراع الترتيب الألفبائي كان في زمن الحجاج بن يوسف الثقفي، وذلك أنه لما كثر التصحيف في العراق حتى طال قراءة القرآن الكريم فزع الحجاج في عهد عبد الملك بن مروان إلى كتّابه، وسألهم أن يضعوا علامات لتمييز الحروف المتشابهة، وقد انبرى نصر بن عاصم الليثي لهذه المهمة، وبعد التفكير والمراجعة تقرر وضع النقط بشكلها الحالي مع إقرار مبدأ الإهمال والإعجام، ولتحقيق ذلك رأى نصر بن عاصم ومن معه أنه لا بد من إعادة ترتيب حروف العربية، مما اضطرهم إلى مخالفة الترتيب الأبجدي القديم واتباع الترتيب الجديد: (أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش،

الخليل بن أحمد، "العين" تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد، بغداد،

(60). 1980م، ج: 1، ص: 47.

ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـ، و، ي)، وهو الترتيب الذي يقوم على وضع الحروف المتشابهة بصورة الرسم بعضها قرب بعض.⁽⁶¹⁾

وهكذا فإن الغاية من هذا الترتيب هي تسهيل مهمة نصر بن عاصم في تمييز الحروف المتشابهة عن طريق استخدام التنقيط بالهيئة التي نراها الآن في حروف أبجديتنا مع إهمال أحد الحروف المتشابهة على أساس أن عدم العلامة في هذه الحروف علامة عليها. وقد وضع الدكتور عدنان الخطيب الآلية التي اعتمدها نصر بن عاصم في ترتيب حروف العربية⁽⁶²⁾ ويضيف بعضهم يحيى بن يعمر العدواني إلى نصر بن عاصم في هذا الجهد من إعادة ترتيب أصوات العربية وتنقيطها⁽⁶³⁾. وعلى ذلك يمكن القول: إن هذا الترتيب هو ترتيب عربي أصيل، وهو مرحلة من مراحل إصلاح الأبجدية العربية. وقد تعددت التسميات التي يطلقها الدارسون على هذا الترتيب، فبعضهم يطلق عليه مصطلح ألف باء⁽⁶⁴⁾ وبعضهم يطلق عليه مصطلح الترتيب الهجائي، وآخرون يطلقون عليه اسم الترتيب الألفبائي، في حين يؤثر بعضهم إطلاق مصطلح الترتيب الأبثني عليه⁽⁶⁵⁾.

ج. الترتيب الصوتي:

يتناول هذا البحث الحديث عن ترتيبين صوتيين لأبجدية العربية، هما:
الأول: ترتيب الخليل بن أحمد الفراهيدي، وذلك بوصفه البذرة الأولى لفكرة الترتيب الصوتي العربي.

انظر إميل بديع يعقوب، "فقه اللغة العربية وخصائصها"، دار العلم للملايين، بيروت - "دار"
(61). لبنان، الطبعة الأولى، 1982م، ص 233 - 234

عدنان الخطيب، المعجم العربي بين الماضي والحاضر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط
(262. ص: 27/25).

(63) مصطفى صادق الرافعي، "تاريخ آداب العرب"، دار الكتاب العربي، -، ج 1، ص: 75. 2005.
بيروت

(64) مصطفى صادق الرافعي المرجع السابق، ج 1، ص: 75.

(65) محمد جواد النوري، علم أصوات العربية، منشورات جامعة القدس المفتوحة، الطبعة
الأولى، 1996م، ص 26

الثاني: ترتيب سيبويه، وذلك لأنه الترتيب الذي اعتمدته اللغويون من بعده، فلم يكن لمن جاء بعده سوى التقليد والنقل والتفسير لا غير.

ترتيب الخليل بن أحمد الفراهيدي:

من المشهود به للخليل بن أحمد الفراهيدي - رحمه الله - أنه كان بحق إمام علماء الأصوات العرب، فقد قدم للفكر الصوتي العربي أهم أسسه ومبادئه وذلك في معجمه (العين)، بشكل عام، وفي مقدمة هذا المعجم على وجه الخصوص. ولعل من أهم المسائل الصوتية التي تُعزى للخليل إعادة ترتيب أصوات العربية ترتيباً يقوم على أسس علمية صوتية خالصة، وهو ما عرف بالترتيب الصوتي لأصوات العربية، الذي يقوم على ترتيب أصوات اللغة بحسب مخارجها، وذلك ابتداء من الحلق وصعوداً إلى أن يصل إلى أول الفم. غير أن ترتيب الخليل أصوات العربية وفق هذا المعيار العلمي، لم يكن مقصوداً لذاته، وإنما كان بهدف ابتكار طريقة علمية لعملية لترتيب مواد معجمه الذي ألفه. إذ لم يرغب الخليل في أن يبدأ معجمه بالألف التي هي أول الترتيب الألفبائي العربي، وأول الترتيب الأبجدي السامي، وذلك لأن الألف كما يقول حرف معتل، ثم كره أن ينتقل إلى الصوت الثاني وهو الباء إلا بعد حجة تسوغ له الانتقال إلى الصوت الثاني. يقول الخليل: "هذا ما ألفه الخليل بن أحمد البصري - رحمه الله عليه - من حروف: أ، ب، ت، ث، مع ما تكملت به، فكان مدار كلامهم وألفاظهم، فلا يخرج منها عنه شيء، أراد أن تعرف به العرب في أشعارها وأمثالها ومخاطباتها، فلا يشذ عنه شيء من ذلك، فأعمل فكره فيه، فلم يمكنه أن يبتدئ التأليف من أول (أ، ب، ت، ث) وهو الألف، لأن الألف حرف معتل، فلما فاتته الحرف الأول كره أن يبتدئ بالثاني - وهو الباء - إلا بعد حجة واستقصاء النظر، فدبر ونظر إلى الحروف كلها وذاقها، فوجد مخرج الكلام كله من الحلق، فصير أولها بالابتداء أدخل حرف منها في الحلق⁶⁶".

وهكذا ظهرت فكرة الترتيب الصوتي لأصوات العربية أول مرة، ليكون ترتيب الأصوات قائماً على أسس علمية سليمة، وليكون بديلاً من الترتيبين

(⁶⁶) الخليل بن أحمد، العين، ج1 ص: 47

الآخرين المعروفين من قبل، الترتيب الأبجدي السامي، والترتيب الألفبائي العربي.

رأى الخليل بن أحمد أن يرتب أصوات العربية بحسب مخرجها في أعضاء النطق، بادئاً بالأعمق منها في الحلق ومنتهياً بالشفيتين معتمداً في تحديد ذلك على حسه الصوتي الدقيق، وذواقه للأصوات، "وإنما كان ذواقه إياها أنه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف، نحو: أب، آت، آح، آع، آغ، فوجد العين أدخل الحروف في الحلق فجعلها أول الكتاب، ثم ما قرب منها، الأرفع فالأرفع، حتى أتى على آخرها وهو الميم" (67)

قد التأم ترتيب الأصوات في النهاية للخليل بعد ذواقه للحروف ليكون على الشاكلة الآتية:

(ع، ح، هـ، خ، غ، ق، ك، ج، ش، ض، ص، س، ز، ط، د، ت، ظ، ذ، ث، ر، ل، ن، ف، ب، م، و، ا، ي، الهمزة) (68)

والمأمل المدقق في ترتيب الخليل السابق - يجد نفسه أمام عدد من المسائل التي تضع أمامه عدداً من الإشكاليات التي تستحق الدراسة لكشف النقاب عن الأسرار الكامنة وراء ترتيب بعض الأصوات على الشاكلة التي جاءت عليها. ويمكن إجمال هذه الإشكاليات بما يأتي:

الأول: وضع الهمزة والهاء بتأخيرهما عن الموضع الأصلي لهما

ثانياً: وضع القاف بعد الخاء والغين

ثالثاً: وضع الضاد في حيز الجيم والشين

رابعاً: تقديم الظاء والطاء والذال على الراء واللام والنون

خامساً: وضع الواو والألف والياء والهمزة آخر الأصوات في الترتيب.

ترتيب سيبويه:

رتب سيبويه أصوات العربية على الشكل الآتي: (الهمزة، الألف، الهاء، العين، الحاء، الغين، الخاء، الكاف، القاف، الضاد، الجيم، الشين، الياء، اللام، الراء، النون، الطاء، الدال، التاء، الصاد، الزاي، السين، الظاء، الذال، الثاء، الفاء، الباء،

(67) المرجع السابق، ج 1 ص: 47

(68) المرجع السابق، ج 1 ص: 58.

الميم، الواو) ⁽⁶⁹⁾ وقد لقي ترتيب سيبويه لأصوات العربية على هذه الشاكلة استجابة كبيرة لدى علماء اللغة من بعده، فأخذوا به دون أن يغيروا فيه، إلا فيما يتعلق بالأصوات داخل الحيز الواحد، كأن يقدم صوتاً على صوت آخر لا لأنه قبله في المخرج ولكن لأنهما من حيز واحد. ⁽⁷⁰⁾

ويبدو أن سيبويه لم يقدم صوتاً على آخر داخل الحيز الواحد، إذ جعل أصوات كل حيز في مكان واحد، ودليل ذلك أنه عندما فصل الحديث عن مخارج الأصوات لم يذكر أن صوتاً من أصوات الحيز أعمق من الآخر، فقد ذكر على سبيل المثال أن الهمزة والهاء والألف من أقصى الحلق، وأن العين والحاء من وسطه، وأن الغين والحاء من أدناه، وهكذا دون أن يميز صوتاً من آخر وقد يظهر لبعضهم أن سيبويه قدم القاف على الكاف، وأنه قدم الراء على النون، وذلك في قوله: ومن أسفل موضع القاف من اللسان قليلاً ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف ⁽⁷¹⁾، وفي قوله: ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام مخرج الراء ⁽⁷²⁾، غير أن الحقيقة غير ذلك، فهو لم يقدم حد هذه الأصوات على الآخر إلا من حيث الجزء من اللسان الذي يتدخل في عملية النطق. أما العضو الآخر الذي يلتصق اللسان به فهو واحد في هذه الأصوات جميعها، يدل على ذلك أنه في الترتيب العام للأصوات قدم الكاف على القاف. ⁽⁷³⁾

إلا أن هذه النظرة لم تكن واحدة عند العلماء القدماء جميعهم، فقد رأى بعضهم أن أصوات الحيز الواحد قد يكون بعضها أعمق من غيره، فالمبرد مثلاً يرى في أصوات الحيز الأول أن الهمزة أعمق من الهاء والألف، فيقول: فمن أقصى الحلق مخرج الهمزة وهي أبعد الحروف، ويليهما في البعد مخرج الهاء، والألف هاوية هناك . وكذلك يرى الأخفش أن الهمزة أولاً ثم الألف والهاء من مكان

(69) انظر سيبويه، "الكتاب"، ج4، ص:431

(70) انظر: المبرد، "المقتضب"، -ابن جني، "سر صناعة الإعراب" ج:1، ص:4 .

ج:1، ص:192- 194

(71) سيبويه، الكتاب، ج4، ص:433.

(72) المصدر السابق، ص:433.

(73) المصدر السابق، ص:431.

واحد . وقد اعتُرض على رأي الأخفش هذا من قبل أكثر من عالم، جاعلين الألف أعمق من الهاء، مستدلين على ذلك بمسألة فونولوجية؛ وهي أن الألف إذا حركت قلبت همزة، يقول ابن جني: وزعم أبو الحسن أن ترتيبها: الهمزة، وذهب إلى أن الهاء مع الألف لا قبلها ولا بعدها، والذي يدل على فساد ذلك وصحة قول سيبويه أنك متى حركت الألف اعتمدت بها على أقرب الحروف منها إلى أسفل، فقلبته همزة، ولو كانت الهاء معها لقلبته هاء، وهذا واضح غير خفي⁽⁷⁴⁾ وكذلك يجعل الزجاجة صوت القاف قبل الكاف، يقول: ومن أقصى اللسان وما يليه من الحنك القاف، وأسفل من ذلك قليلاً الكاف، وقد رجح أبو حيان أن رتبة العين بعد الحاء، وأن رتبة الغين قبل الخاء⁽⁷⁵⁾. ويوافقه شريح في جعل الغين قبل الخاء . أما مكي بن أبي طالب فيجعل حروف الحلق كاملة مرتبة بحيث لا يخرج أي صوت منها من مكان الآخر، يقول: " فأما الحروف التي تخرج من الحلق فستة، الهمزة والهاء والحاء والعين والحاء والغين، وقد زاد قوم الألف، ومسالك خروجها من الحلق على ترتيبها في الخط الذي مثلنا⁽⁷⁶⁾ أما بالنسبة إلى أصوات اللام والنون والراء فهي من حيز واحد من حيث موقعها من اللثة مع الأسنان، غير أن الفرق بينها في موضع نطقها من اللسان، يقول ابن جني: ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فوق الضاحك والنايب والرباعية والثنية مخرج اللام ومن طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا مخرج النون ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام مخرج الراء⁽⁷⁷⁾ إلا أن ابن يعيش يجعل بعض هذه الأصوات أرفع من بعض وترتيبه لها كما يظهر من وصفه لها: اللام ثم النون ثم الراء. يقول: واللام والنون والراء في حيز واحد، وبعضها أرفع من بعض ويجعل ابن الجزري لهذه الأصوات الثلاثة مخارج ثلاثة،

(74) المبرد، المقتضب، ج: 1، ص: 191.

(75) انظر رأي الأخفش عند ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1، ص: 46، ابن يعيش، شرح المفصل، ج 10، ص: 124،

(76) ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1، ص: 46 47

(77) الزجاجة، الجمل في النحو، ص 410

فيقول: المخرج التاسع اللام، من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرفه وما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فوق الضاحك والنباب والرباعية والثنية المخرج العاشر للنون من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا أسفل اللام قليلاً المخرج الحادي عشر للراء، وهو من مخرج النون من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا العليا، غير أنها أدخل في ظهر اللسان قليل⁽⁷⁸⁾ والحق أن كلام القدماء كله يدل على أن مخرج هذه الأصوات واحد من حيث موقعها من اللثة مع الأسنان، غير أن الاختلاف في موضعها من اللسان ووضع اللسان منها من حيث المساحة المستخدمة منه في أثناء نطقها ومن الملاحظ على ترتيب سيوييه للأصوات أنه تجاوز ما وقع فيه الخليل من أخطاء، فقد قدم سيوييه اللام والراء والنون) وآخر الذال والطاء والظاء، وقد وافقه كل من جاء بعده في هذا، القدماء والمحدثون من علماء الأصوات. وكذلك فقد غير ترتيب الواو والياء فقد جعل الياء في حيز الجيم والشين، والواو مع الباء والميم، وهذا يدل على أن سيوييه يجعل للواو والياء مخرجاً، مخالفاً بذلك الخليل الذي يرى أنهما هوائيان يخرجان من الجوف، والجوف ليس بمخرج كما يشير الخليل، فقد حدد سيوييه أن الياء تخرج من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى، والواو مما بين الشفتين⁽⁷⁹⁾ ويبدو أن هذا الخلاف في تحديد مخرج هذه الأصوات بين الخليل وسيوييه مرده إلى أن الخليل قد وصف الواو والياء المديتين، أما سيوييه فقد وصف الياء والواو غير المديتين. والفرق الصوتي بين هذه الأصوات كبير كما تحدده معطيات علم الأصوات المعاصر. فالواو والياء المديتان حركتان طويلتان، والواو والياء غير المديتين صامتتان شبه حركتان، والفرق بين شبه الحركة والحركة هو أن شبه الحركة صامت وله مخرج. فالواو غير المدية صوت شفوي، والياء غير المدية صوت غاري يخرج من الحنك الصلب؛ لذلك وضع سيوييه الياء مع الجيم والشين وهما صوتان غاريان، ووضع الواو مع الميم والباء وهما صوتان شفويان. أما الحركة فلا مخرج لها،

(78) انظر السيوطي، همع الهوامع، ج: 6، 292

(79) نظرا بن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج: 1، ص: 199

بمعنى أن مخرجها متسع، فكأنها تخرج من الجوف مباشرة، ولذلك وضع الخليل الواو والياء مع حروف الجوف.

خاتمة

علم الأصوات علم جديد قديم؛ جديد لأنه واحد من فروع علم اللسانيات الذي لا يعدو تأسيسه مطلع القرن العشرين وقديم لأنه واحد من العلوم التي تقوم عليها كل لغة. وتعتمد كل علوم اللغة على الدرس الصوتي.

كان العرب سابقين إلى دراسة أصوات لغتهم، فقدموا في هذا الشأن بحوثاً قيمة شهد لها المحدثون، وأبدعوا في دراستهم لأصوات لغتهم، وكان من نتائج هذا الإبداع اهتمامهم بإعادة ترتيب أصوات لغتهم من الترتيب الأبجدي السامي إلى الترتيب الألفبائي العربي، وصولاً إلى الترتيب الصوتي الذي بدأه الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتابه "العين" الذي يعد المصدر الأول في الدراسات اللغوية والصوتية وتلاه تلميذه سيبويه في الكتاب الذي تضمن كثيراً من آراء أستاذه.

تعد دراسة سيبويه من أصح الدراسات المتقدمة وما زالت تعد مصدراً أساسياً عند المحدثين لدراستهم اللسانية والصوتية في العربية، ولم تتوقف الدراسات عند هذين العالمين، بل تبعهما في ذلك ابن جني الذي أكمل البحث في هذا المنحى خلال كتابيه "سر صناعة الإعراب" و"الخصائص". ثم أخذه عنه كل من جاء بعده، كما وصفوا الصوت اللغوي وصفاً دقيقاً، على الرغم من اعتمادهم على الملاحظة الذاتية التي لم تتعد الحس الدقيق والأذن الموسيقية المرفهة، ومع ذلك بدت فروق في دراسة بعض المسائل الصوتية بينهم وبين المحدثين.

صدرت عن علماء العرب المحدثين العديد من الدراسات والأبحاث والنتائج العلمية في هذا المضمار، بعضها مؤلف وبعضها مترجم عن علماء اللسانيات في الغرب.

ثبت بالمصادر والمراجع

- إبراهيم أنيس (دكتور)، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1975م.
ابن السراج (ت 316هـ)، الأصول في النحو، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1405هـ. 1985م.

- —، الاشتقاق، تحقيق محمد علي درويش ومصطفى الحدرى، دار مجلة الثقافة، دمشق، 1973م.
- ابن النديم (ت 385 هـ)، الفهرست، تحقيق رضا تجدد، طهران، 1391 هـ. 1971م.
- ابن يعيش النحوي (ت 643 هـ) شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبى، القاهرة بدون تاريخ.
- أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت 370 هـ) تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام هارون وزملائه، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، 1384 هـ. 1964م.
- ابن الجزري (ت 833 هـ)، النشر في القراءات العشر، تصحيح علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت بدون تاريخ.
- أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (ت 384 هـ) النكت في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله أحمد . د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، 1976م.
- ابن خلكان (ت 681 هـ) وفيات الأعيان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1398 هـ. 1978م دريد (321 هـ)، جمهرة اللغة، دار صادر، بيروت، مصورة عن الطبعة الهندية 1351 هـ.
- أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392 هـ)، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت ط2.
- أبو عمرو الشيباني (ت 213 هـ) كتاب الجيم، تحقيق إبراهيم الأبياري، مجمع اللغة العربية، 1394 هـ. 1974م.
- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت 180 هـ)، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، 1385 هـ. 1966م.
- أبو بكر الباقلائي (ت 403 هـ)، إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دارالمعارف، القاهرة، ط5، 1981م
- أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (ت 384 هـ) شرح كتاب سيويه، مصورة عن نسخة مكتبة فيض الله باستانبول رقم (1987).

- أبو سعيد السيرا في (ت368هـ) ، ما ذكره الكوفيون من الإدغام، تحقيق د. صبيح التميمي، دار الشهاب. باتنة. الجزائر، بدون تاريخ.
- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت255هـ) البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 1405هـ. 1985م.
- أبو العباس المبرد (ت 285هـ) ، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت، مصورة عن نسخة القاهرة 1963م..
- أحمد مختار عمر (دكتور)، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 1402هـ. 1982
- بسام بركة (دكتور)، علم الأصوات العام. أصوات اللغة العربية، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1988م.
- برتيل مالمبرج، علم الأصوات، ترجمة عبدالصبور شاهين (دكتور)، مكتبة الشباب، القاهرة 1985،
- تمام حسان (دكتور)، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط2، 1979م.
- حسام سعيد النعيمي (دكتور)، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1980م.
- الحسين بن سينا (ت 428هـ) ، القانون في الطب، تحقيق د. إدوار القش، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، 1408هـ. 1987م.
- _____، أسباب حدوث الحروف، تحقيق محمد حسان الطيان ويحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ط1، 1403هـ. 1983م
- حلمي خليل (دكتور)، التفكير الصوتي عند الخليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 1988م.
- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت911هـ) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1384هـ. 1964م.
- _____، المزهري في علوم اللغة، جزآن، تحقيق الشربيني شريدة، القاهرة 2010م.

- الجوهري إسماعيل بن حماد ، تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. دار العلم للملايين - بيروت ، ط4 1407 هـ - 1987 م .
- الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ)، العين، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. براهيم السامرائي، دار الهجرة، إيران . قم، ط1، 1405هـ.
- خير الدين الزركلي(ت 1396 هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1980م.
- رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، المجلد الأول . القسم الرياضي، مكتبة الإعلام الإسلامي، قم، 1405هـ.
- رمضان عبد التواب (دكتور)، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1985م،
- الزمخشري (ت538هـ)، المفصل في علم العربية، دار الجيل، بيروت، ط2.
- عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت337 هـ) ، الجمل في النحو، تحقيق علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة . بيروت ودار الأمل . إربد، ط2، 1407 هـ . 1986م.
- عبد الخالق عزيمة (دكتور)، المغني في تصريف الأفعال، دارالحديث، القاهرة، ط3، 1382 هـ . 1962م.
- عبد الرحمن أيوب (دكتور)، محاضرات في اللغة، مطبعة المعارف بغداد 1966 .
- عبد السلام المسدي ، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، 1981.
- عبد الصبور شاهين (دكتور) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، مكتبة الخانجي القاهرة، ط1، 1408 هـ . 1987م
- عثمان بن جني (ت392هـ) ، سر صناعة الإعراب، تحقيق مصطفى السقا وزملائه، الجزء الأول، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط1، 1374 هـ . 1954م. نسخة ثانية دراسة وتحقيق د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1405 هـ 1985م.
- علي بن يوسف القفطي (ت646هـ) إنباه الرواة على أنباه النحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1369 هـ . 1950م..
- غالب فاضل المطلبي (دكتور) في الأصوات اللغوية . دراسة في أصوات المد العربية .، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1984م.

- فؤاد سزكين (دكتور) تاريخ التراث العربي، ترجمة د. محمود حجازي ود. فهمي أبو الفضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1977م.
- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة د. عبد الحليم النجار وزملائه، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1977م.
- كمال محمد بشر (دكتور) علم اللغة العام . الأصوات، دار المعارف بمصر، 1975م.
- مايو باي، أسس علم اللغة، ترجمة وتعليق د. أحمد مختار عمر، ط8، عالم الكتب، القاهرة 1998.
- محمد السعمران (دكتور)، علم اللغة . مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت بدون تاريخ.
- محمد منصف القماطي، الأصوات ووظائفها، منشورات جامعة الفاتح 1986م.
- محمد مراياتي (دكتور)، محمد حسان الطيان، يحيى مير علم، علم التعمية واستخراج المعنى عند العرب، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق²، 1407هـ . 1987م.
- مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، موسوعة في ثلاثة أجزاء، الطبعة الأولى، بيروت 2003م.
- مصطفى بن عبد الله الرومي المعروف بحاجي خليفة (1017هـ) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، بيروت، 1402هـ . 1982م.
- محيي الدين رمضان (دكتور)، في صوتيات العربية، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، 1979م.
- ياقوت الحموي (ت626هـ) معجم الأدباء، دار إحياء التراث العربي، بيروت. بدون تاريخ
- يعقوب الكندي، رسالة في اللثة، تحقيق محمد حسان الطيان، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج 60/3، 1405هـ . 1985م.
- يوسف الهليس (دكتور) علم الصوتيات الموجي والسمعي عند علماء المسلمين القدماء، المجلة العربية للدراسات اللغوية، مج3/ العدد2، الخرطوم، 1985.

- يوسف غازي (دكتور) مدخل إلى الألسنية، منشورات العالم العربية الجامعية، دمشق، ط1، 1985م.
- يوسف بن محمد السكاكي (ت626هـ)، مفتاح العلوم، ضبطه وشرحه الأستاذ نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403 هـ . 1983م.



الأخضري الصوفي في الجوهر المكنون¹ أو حين تعانق البلاغة التصوف

محمد بن حجر

قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات

جامعة يحي فارس، المدية،

القطب الحضري المدية . 26000 الجزائر

ibnhadjer@gmail.com

ملخص -

ألف الأخضري في المنطق والحساب والمواريث والبلاغة والتصوف منظومات وشرحها، وفي منظومته (الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون) ظاهرة ملفتة للنظر، وهي الأمثلة التي يمثل بها لبعض الصور البلاغية، فإنها تكاد تكون كلها ذات مضمون صوفي، مما يفهم منه أن الرجل قصد بذلك الدعاية للتصوف، حبا في التصوف ونصحا لطالب العلم كي ينال حظه منه، باعتبار التصوف ذكرا لله عز وجل وتوجها إليه، وتخلقا بالأخلاق الكريمة، وأكد ذلك ما جاء في شرحه من التصريح بهذا القصد، فكان عمله هذا ردا على من ادعى أن الأخضري رغم تصوفه لم يدع إلى التصوف، ولم يحرص على فعل ذلك.

الكلمات المفتاحية -

البلاغة - التصوف - طلب العلم - السلوك - التمثيل.

El Akhdari, The Sufi, In: "AL Jawhar Al Maknoun" Or When Rhetoric Embraces Sufism

Abstract

El Akhdari Published Volumes In Logic , Arithmetic , Heritage, Rhetoric, And Sufism. In His «AL Jawhar Al Maknoun Fi Sadaf Althalatha Al Founoun » (The Gems Of The Three Arts), There Is A Phenomenon Worthy Of Notice, Consisting Of Metaphors That Represent Some Rhetorical Expressions, Almost All Of Which Are Short Through With A Sufi Content. This Observation Allows One To Understand That, Out Of Love For Sufi, The Author Meant To Proselytize And Advice Disciples To Learn More, Given That Sufism Is Invoking Allah And A Way To Follow Good Morality. This Is Confirmed By His Explanatory Comment, Embedded In The Wording Of His Express Intention Thereof. This Work Then Answers Back Those Who Claim That Al Akhdari, Although Sufi, Did Not Insistently Call For Sufism.

Key Words

Rhetoric , Sufism, Seeking Knowledge , Behavior, Representation.

تمهيد-

اشتهر الشيخ عبد الرحمن الأخضرى (920 هـ - 953 هـ) بمنظومات في عدة علوم شاعت وزادت حتى صارت مدرّس طلبه العلم في مختلف بقاع العالم الإسلامي، وبالأخص في مراكزه العلمية كالأزهر في مصر والقرويين في المغرب وزوايا العلم والقرآن في الجزائر، واشتغل كبار العلماء بها شرحا وتعليقا وتحشية، حتى صارت شروحها دوائر معارف في تلك العلوم.

وأشهر هذه المنظومات العلمية (السلم المرونق في علم المنطق) و(الدرة البيضاء في أحسن الفنون والأشياء) في الحساب والمواييث، و(الجواهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون) في البلاغة بشعبها الثلاث، وقد شرح هو نفسه منظوماته هذه، والعجيب في أمره أنه نظمها وشرح أكثرها وهو في سن الفتوة والشباب، ومات كهلا لم يتجاوز الثالثة والثلاثين من عمره، ولكن الله عز وجل باركها فبرزت المتون التي كانت قبلها وغطت عليها، ولم يأت بعده ما نافسها في شهرتها، أو زاحمها في كثرة اشتغال أهل العلم بها.

وقد وضع من هذا: "أن منهجه في التأليف يغلب عليه الطابع المدرسي، بسبب اهتمامه بالتربية والتعليم، حيث كان يعمل على ترويض ذاكرة المتعلمين، إذ ينجز لهم أولاً المتن الخاص بالمادة المراد تعليمها - بغرض تلخيص الموضوع ضمن قواعد محددة لكي لا يجهد ذاكرة المتلقي - ثم يسعى - بعد ذلك - إلى إعداد الشرح اللازم لتوضيح ما يقصده في المتن.

لذلك نجد أن الأخضري عمل على إنجاز شروح وافية لمعظم منظوماته في شتى العلوم، وهذه الطريقة التعليمية - حتى وإن كانت تقليدية - فقد أفادت عددا كبيرا من طلبة العلم، ولولاها لتفاقم أمر الجهل بين الناس، في زمن كانت الدولة فيه لا تهتم بتعليم أبنائها، وعلى هذا أصبحت معظم كتب الأخضري تدرس في أهم المعاهد بالمغرب والمشرق².

والذي يهمنا في بحثنا هذا هو منظومة "الجوهر المكنون" وما فيها من أمثلة يأتي بها من حين لآخر لبعض الصور البلاغية، فالمنظومة في علم البلاغة بشعبه الثلاث (معان وبيان وبيدع)، لكن الأمثلة رغم مطابقتها لما سبقت له من صور، أكثرها في التصوف والسلوك الصوفي بدايةً ونهايةً.

والقارئ لتلك الأمثلة في مظانها من المنظومة يجزم بأن الرجل إنما قصد إلى أن تكون أمثلته في السلوك والتصوف قصداً، إيماناً منه بأهميتهما وأفضليتهما وجدواهما على طالب العلم، ويجزم أيضاً بأن الشيخ الأخضري صوفي محض، سلك الطريق، وذاق حلاوة التوحيد، وتشبع بالعرفان، حتى كان له أن يدعو إلى ذلك دعوة عارف، عن خبرة وتجربة، وعن تحقيق وعلم، وهذا الذي يجزم به القارئ سوف يصرح به الأخضري في شرحه، مما يعني أنه اتخذ هذه الأمثلة دعاية للتصوف، وطريقة تربوية في تعليم السلوك الصوفي.

يؤكد هذا أن (الجوهر المكنون) هو نظم لمتن (التلخيص) للخطيب القزويني (739 هـ)، الذي هو - كما يدل عليه اسمه - تلخيص للقسم الثالث من كتاب (مفتاح العلوم) لأبي يعقوب السكاكي (626 هـ)، الذي خصصه للبلاغة (المعاني والبيان والبيدع)، وليس في متن (التلخيص) ولا أصله هذه الأمثلة، وإنما هي من صنع الأخضري ووضعه، وهذا زيادة على أن الأخضري إنما ألف (الجوهر المكنون) بطلب من بعض تلاميذه، فقصده بأمثلته نصحهم وتوجيههم التوجيه الصوفي النزيه.

وفي ذلك قال:

وَقَدْ دَعَا بَعْضُ مِنَ الطَّلَابِ	لِرَجَزٍ يَهْدِي إِلَى الصَّوَابِ
فَجَنَّتُهُ بَرَجَزٍ مُفِيدٍ	مُهَدَّبٍ مُنْقَحٍ سَدِيدٍ
مُلْتَقِطًا مِنْ دُرَرِ التَّلْخِصِ	جَوَاهِرًا بَدِيعَةَ التَّخْلِصِ
سَلَكْتُ مَا أَبْدَى مِنَ التَّرْتِيبِ	وَمَا أَلَوْتُ الْجُهْدَ فِي التَّهْنِيبِ
سَمَّيْتُهُ بِالْجَوْهَرِ الْمَكُونِ	فِي صَدَفِ الثَّلَاثَةِ الْفُنُونِ

وهذه الأمثلة يمكن تصنيفها في مجموعات، كل مجموعة في موضوع:

فالأولى: - في الصوفية والصوفي.

والثانية: - في الذكر والانقطاع إليه.

والثالثة: - في الصحبة والعزلة.

والرابعة: - في الترقى والإشراق.

والخامسة: - في المشاهدة والعرفان.

وكان يمكن أن نتبع أمثلته حسب ترتيبها في منظومته، ولكن اخترنا تصنيفها في مجموعات - كما ترى - للاشتراك بين بعضها في الموضوع، ولأن صاحبها إنما وزعها لما اقتضته ضرورة التمثيل من حين لآخر.

وإنما بعثني على تتبع أمثلة الأخضري الصوفية في منظومته وشرحها له أمران: أولهما: - أنني وجدت د. أبا القاسم سعد الله قد جانب الصواب فيما قاله في حق الأخضري، وذلك قوله: "ولكن الأخضري لم يكن كالملياني أو الخروبي يؤلف في الأوراد والأذكار وغيرها من وسائل الدعاية للطرق الصوفية، رغم أنه كان نظاما بارعا كما تدل كتبه... بل هاجم البدع ومن سماهم علماء السوء، ودعا إلى العمل بالكتاب والسنة"¹.

¹ - تاريخ الجزائر الثقافي، د/ أبو القاسم سعد الله، دار البصائر، الجزائر، ط6،

وواضح أن الدكتور لم ينعم النظر جيدا في هذه المنظومة، وإلا لرأى فيها طريقة جديدة ومبتكرة للأخضري في نشر أفكاره الصوفية، والدعاية للتصوف، واعتباره ضروريا لتقويم سلوك الناس وبخاصة طلبة العلم، وليس إذا كان الرجل صوفيا أن لا ينهى عن البدع، وألا يحاربها، كيف والتصوف مبناه على الكتاب والسنة، كما قال سيد الطائفة الجنيد: "علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة"³.

والأخضري تلميذ الشيخ محمد بن علي الخروبي (963 هـ) خريج مدرسة الشيخ أحمد زروق (899 هـ) محتسب الصوفية كما قيل، والشيخ زروق صاحب (عدة المريد الصادق) الذي ألفه في الرد على المبتدعة ومدعي التصوف والمشيخة بغير حق، وعلى منواله سار الأخضري في منظومته (القدسية)، والتي شرحها العلامة الصوفي الحسين بن محمد السعيد الورثلاني (1193 هـ)، وقد طبع الشرح مؤخرًا⁴.

قال الأخضري في نهاية القدسية بعدما صال وجال في ذم البدع وأهلها، وكيف شوها طريق التصوف وصورة منتحلها:

وَمَنْ يُرِدْ مَعْرِفَةً بِالْبَدْعِ وَمَا بُنِيَ عَلَيْهِ أَصْلُ الْمُدْعَى
فَفِي كِتَابِ شَيْخِنَا زُرُوقٍ عَجَائِبُ فَاتِقَةُ الرُّتُوقِ

ويؤكد لنا أن الدكتور لم يتمعن في (منظومة الجوهر المكنون) وما فيها من أمثلة في التصوف والدعاية له، وأنه لم يطلع على شرح الأخضري لها، قوله: "ولم نعرف عنه أنه ألف في التصوف غير (القدسية) وله أيضا أرجوزة في طبيعة النفس"، وقوله: "وقد نسبت إليه قصيدة في نبوة (خالد بن سنان العبسي) ... ويقال إن الأخضري هو الذي أظهر نبوة خالد بن سنان في المغرب العربي"²، فتأمل!

وثانيهما: - أن الأخضري كان لا يفرق بين العلم والسلوك، فكان حريصا في تعليمه على تربية النشء التربية الإسلامية الصحيحة، ولأنه صوفي والتصوف كله آداب - إذ هو الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق دني - حرص على تطعيم

² - نفس المرجع ص 502.

منظومته وهي في البلاغة بوصايا ونصائح، دلت على أنه شيخ مرب بمعنى الكلمة، وأنه أراد تصحيح الأوضاع، وإصلاح المجتمع، وتقويم السلوك، في زمن كثرت فيه الفتن وشاع الفساد في فئات كثيرة من المجتمع، حتى قال في شرح قوله من خاتمة (السلم):

لا سيما في عاشر القرون ... ذي الجهل والفساد والفتون

" وعاشر القرون هو قرننا هذا الذي ظهرت فيه الفتن، واشتد البأس، وقوي فيه النحس، واشتد فيه طغيان الكافرين، وانتشر فيه ظلم الظالمين، وكثرت فيه شرار الخلائق، ولم يبق إلا آثار الطرائق، والناس فيه ساهون مهطعون لحطام الدنيا، معرضون عن الدرجات العليا، مسابقون فيه إلى هواهم ليوقعهم في أهوى المهاوي، وأسوأ المساوي، وليس لهم تفكير في هادم اللذات، ولا تأهب فيما بعد الممات، كأنهم في الدنيا مخلصون، وهم للفناء مشاهدون، يخدم الواحد منهم طول عمره على منفعة ساعة، ويضيع منفعة الأبد فما أشنعها من إضاعة، فلو استيقظ هذا النائم ونظر بعين قلبه وفكر في مآل أمره لسارع للطاعة، واشتغل بالسنة والجماعة، لكن كثر ذنبه، وقسا قلبه، وظهر عيبه، فخذله ربه، فلم تنفع فيه موعظة، ولا صار من أهل اليقظة، إن كان قبل هذا الزمان عبدة الأوثان، فأهل هذا الزمان عبدة الشيطان، شاع الشر وانتشر، لقرب هجوم الآيات الكبرى" ⁵.

إلى آخر كلامه، ولذلك حلاه الشيخ عبد الرحمن الجليلي بقوله: " هو العلامة الإمام، والمصلح الديني، والمقدم المحقق" ⁶.

العرض والتحليل:

المجموعة الأولى: في الصوفية والصوفي

قال العلامة ابن خلدون عن علم التصوف: " أصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، وكان ذلك عاماً في الصحابة والسلف. فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبولون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة" ⁷.

والأمثلة التي سوف يوردها الأخضرعي كلها مدح للصوفية وتنويه بهم وبطريقهم، إيماناً منه أنها طريق الحق، لأنها مقام الإحسان وما كانت عليه بواطن الصحابة رضي

الله عنهم، وإلا لما اختار أن يمثل في مواضيع البلاغة بما يدل على حب الصوفية والحث على الاقتداء بهم.

ونبدوها بقول الأخضري في (باب المسند إليه) وهو يعدد مرجحات حذف المسند إليه:

يُحَذَفُ لِلْعِلْمِ وَلَاخْتِبَارِ ❖ ❖ مُسْتَمَعٍ وَصِحَّةِ الْإِنْكَارِ
❖
سِتْرٍ وَضِيْقِ فُرْصَةِ إِجْلَالِ ❖ ❖ وَعَكْسِهِ وَنَظْمِ اسْتِعْمَالِ
❖
كَ (حَبْدًا طَرِيقَةُ الصُّوفِيَّةِ ❖ ❖ تَهْدِي إِلَى الْمَرْتَبَةِ الْعَلِيَّةِ)
❖

أي: "ومن ذلك المواضع التي يجب فيها حذف المبتدأ، وذكر المصنف منها موضعاً، وهو ما إذا كان الخبر مخصوص (نعم)، نحو: نِعَمَ الرَّجُلُ زَيْدٌ، فزَيْدٌ خبر مبتدأ محذوف وجوباً في بعض الأوجه، ومنه: (طريقة) في قوله: (حبذا طريقة الصوفية)، فإنه خبر لمبتدأ محذوف وجوباً⁸. قال الأخضري:

" وقولنا: (كحبذا...) مثال لاتباع الاستعمال؛ لأن مخصوص حبذا لفظ (طريقة)؛ وهو خبر مبتدأ واجب الحذف على أحد القولين في كونه خبراً أو مبتدأً.

والمقصود من المثال: حث الطلبة على الدخول في طريقة التصوف الذي هي طريقة أصفياء الله وأكابر أوليائه من الأقطاب والأبدال والرجال السالكين إلى الله سبحانه، وغايتها معرفة الله جل جلاله والوصول إليه، وإن لم تحصل للطالب غايتها العظمى فلا أقل من الدخول في دائرة الورع ورقة القلب، والتخلق بالأخلاق الحمودة، والسلامة من حظوظ النفس، ومن الغش الجلي والخفي، والتهاون بالحقوق الشرعية، وهذه الخصال لا يكاد ينفك عنها من تعلق بهذه الطريقة"⁹.

ثم عرض الأخضري لتعريف التصوف واشتقاق اسمه فقال:

"وقد اختلف العلماء في تفسير التصوف، وقد عرفوه بوجوه تبلغ نحو الألفين بين حد ورسم وتفسير، مرجع كلها الصدق والتوجه إلى الله سبحانه من

حيث يرضى بما يرضى، واختلفوا أيضاً في اشتقاقه على أقوال كثيرة:
منها: أنه مشتق من الصوفة؛ لأنهم مع الله كالصوفة المطروحة لا
تدبير لهم.

ومنها: أنه من صوفة القفا للينها؛ لأنه هين لين مثلها.
ومنها: أنه من الصفة - بكسر الصاد - لأن مداره على الاتصاف
بالأوصاف المحمودة وترك الأوصاف المذمومة.
ومنها: أنه من الصفا.

ومنها: أنه منقول من الصفة لأن صاحبه تابع لأهل الصفة رضي الله
عنهم فيما أثبت الله لهم من الوصف حيث قال تعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ
يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} [الكهف: 28]¹⁰.
ومن كل هذه الأقوال في اشتقاق كلمة تصوف يرجح الأخضرى
القول الأخير لأنه في نظره المطابق لحقيقة الصوفي كما يفهمه هو ويدعو إليه
فيقول:

"وهذا أرجحها - إن شاء الله - لأن الصوفي يعبد الله تعالى
بالغداة والعشي، ولعل الواو زائدة للفرق بين الصفيين والصوفيين في اللفظ؛ لأن
هؤلاء أتباع وأولئك متبوعون؛ لأنهم المنقطعون في الصفة من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم، لكن لا تصوف إلا بفقته، كما لا فقه إلا بالتصوف، هذا
تعرف به الأحكام، وهذا تعرف به الأحوال؛ فيحفظ الجوارح الظاهرة والباطنة
من المخالفة"¹¹.

ويغتنم الأخضرى فرصة حديثه عن معنى التصوف واشتقاقه
وهدفه فيوجه نصائح لطلبة العلم فيقول:
"فينبغي لطالب العلم أن يجمع بينهما من أول بدايته لتحصل له بركة
العلم والعمل، قال إمام دار الهجرة مالك - رحمه الله تعالى - : "من تصوف ولم
يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد
تحقق.

وقد شهدنا ذلك فرأينا كل من تعلق بهذا العلم قبل أن يتيقن عقيدته
وفق عبادته حصل على بدعة وزندقة، وكل من أعرض عن هذا العلم جملة لا

يخلو من الفسق وضيعة العمر والرغبة في الدنيا - غالباً - ومن لا قدم له في علم التصوف يخشى عليه من سوء الخاتمة، ومن جمع بينه وبين علم الفقه فقد تحقق¹².

ويواصل الأخضرى شرح مثاله ممعنا في نصح القارئ وتوجيهه إلى التصوف فيقول: "فقولنا: (كحبذا ...) البيت، حبذا بمعنى نَعَم في الإثبات، وقوله: (تهدي إلى المرتبة العلية)؛ أي: إنَّ طريقة التصوف ترشد من تعلق بها إلى الدرجة الكاملة؛ وهي طريقة الإحسان الذي هو أن تعبد الله كأنك تراه، وهذه الطريقة المباركة عنصرها منفجر من كتاب الله عز وجل كقوله سبحانه: {قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا} [العنكبوت:69] الآية، وكقوله: {وَلَا تَطْعَمَن} [الكهف:28]، وكقوله: {يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ} [النور:36-37] الآية، ولولا الإطالة لأوردنا لها قريباً من مائة آية أو أكثر¹³.

وفي نفس الباب يقول الأخضرى - وهو يتحدث عن (فصل المسند إليه أو تعقيبه بضمير فصل) ويكون لنكت، منها: تخصيصه بالمسند، وعليها اقتصر:

وفصله يفيد قصر المسند ❖ عليه ك(الصوفي هو المهتدي)



فالفصل: "نحو: زيد هو العالم، أي: لا غيره، ولذا يمتنع أن تقول: وغيره، ومنه مثال المصنف، باعتبار الكمال في الاهتداء"¹⁴، فالكاف داخل على الجملة الاسمية المقصود لفظها، وهو بتشديد الواو على لغة، ومعنى المثال: الإنسان الذي يعمل ما يقتضي صفاء قلبه عن غير مراد الله تعالى هو الذي يسلك سبيل السلامة، والوصول إلى المطلوب الأخروي، فالإتيان بضمير الفصل بعد المسند إليه يفيد قصر الهداية المدولة للمسند على المسند إليه الذي هو الصوفي، وأنه لا يتصف بها غيره، ضرورة أن غيره لا يخلو عن سلوك سبيل غير السلامة¹⁵.

وقال وهو يتحدث عن تقديم المسند وتأخير:

وَأَخْرَوْا أَصَالَه وَقَدَّمُوا ❖ لِقَصْرِ مَا بِهِ عَلَيْهِ يُحْكَمُ



تَنْبِيهِهِ أَوْ تَفَاوُلٍ تَشَوُّفٍ ❖ ك(فَارَ بِالْحَضَرَةِ دُو تَصَوُّفٍ)



"وتقديمه - أي: المسند - إما لقصره على المسند إليه...أو للتنبيه على أنه خبر من أول وهلة، لا نعت، أو للتفاوت... أو لتشوف النفس

إلى ذكر المسند إليه بأن يكون في المسند طول يقتضي ذلك، نحو:
ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا ❖ شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَقَ
❖ ❖ وَالْقَمَرُ

ومنه مثال المتن، وتقدم الكلام عليه¹⁶ في الباب الأول عند قول المصنف : (الذكر مفتاح لباب الحضرة)¹⁷.

قال الأخضرى: "وقد يعبرون عن هذا أيضاً بالتشويق وهما متلازمان، ومثاله أيضاً قولنا: (فاز بالحضرة ذو تصوف) ولا شك أن في هذا تشويفاً وتشويقاً؛ إذ النفس إذا سمعت أول الكلام تشوقت إلى معرفة هذا الفائز بحضرة الألوهية"¹⁸.

وفي الباب الثاني (الحقيقة والمجاز) قال الأخضرى - وهو يقسمهما إلى شرعي وعرفي ولغوي - :

كِلَاهُمَا شَرْعِيٌّ أَوْ عُرْفِيٌّ ❖ نَحْوُ (ارْتَقَى لِلْحَضْرَةِ الصُّوفِيُّ)
❖ ❖
أَوْ لُغَوِيٌّ...

فكل من الحقيقة والمجاز ينقسم إلى شرعي ولغوي وعرفي، والعرفي ينقسم إلى عام وخاص يوزع الأخضرى أمثلة لما قال ومنها قوله: " وكلفظ الحضرة، حقيقة في عرف الصوفية لدائرة الطهارة والكمال والوصول، مجاز فيه لغير ذلك؛ فقولنا: (نحو ارتقى للحضرة) مثال للعرفي؛ فإن لفظ: (ارتقى) حقيقة في العرف الخاص - وهو عرف الصوفية - للترقي في مقامات السلوك من درجة إلى درجة حتى يصل إلى منتهاه من الوصول، مجاز فيه للترقي المحسوس، وكذلك لفظ الحضرة - كما تقدم - ، وفي اللغة بالعكس فيهما"¹⁹.

ثم يردف الأخضرى كلامه هذا بالتنصيص على سر استعماله لهذا المثال فيقول:

"والقصد بهذا المثال: تنبيه الطالب على شرف علم الصوفية، وأنه أركى العلوم وأجلها وأهمها، لأن به يتوصل إلى التخلق بأخلاق رسول الله صلى الله

عليه وسلم واتباعه في أقواله وأفعاله، وبه يتوصل إلى معرفة الرب جل جلاله، وكفى بهذا شرفاً وفضلاً.

وهل تكون الأقطاب والأبدال ورجال الله المقربون، الزاهدون في الدنيا الراغبون في رضوان الله، والمنقطعون بقلوبهم إلى الله، والمتحركون بإذن الله تعالى إلا من الصوفية؟ فهم العلماء حقاً، والسادات الأخيار، والمقربون والأبرار، وهم التابعون للشريعة، والوارثون للحقيقة، نسأل الله تعالى أن يسلك بنا طريقهم التي هي السعي خلف محمد صلى الله عليه وسلم، والعكوف على اتباع آثاره قدما بقدم. وللقوم خصوصيات وفتوحات ومواهب لا يحاط بها، لا يزال أحدهم في الترقى والعروج من مقام إلى مقام حتى يصل إلى الحضرة، ويرفع الحجاب عن بصيرته؛ فذلك هو الفتح، وأما المجاز المركب فسيأتي إن شاء الله تعالى بعد فصول الاستعارة²⁰.

وأقول: إن الأخضري حدد الصوفي الحق بصفات منضبطة وواضحة في عبارة موجزة حين قال في (فصل الاستعارة) مبينا الأصلية منها والتبعية:

وَاللَّفْظُ إِن جِنْسًا فَقُلْ: أَصْلِيَّةٌ ❖ وَتَبْعِيَّةٌ لَدَى الْوَصْفِيَّةِ

❖ ❖
وَالْفِعْلُ وَالْحَرْفُ كَ(حَالِ الصُّوفِيِّ) ❖ يَنْطِقُ أَنَّهُ الْمُنِيبُ الْمُؤَفِّي

❖ ❖
فهما وصفان جامعان: الإنابة والوفاء، أي: الإنابة إلى الله، والرجوع إليه في القول والفعل والحركة والسكون، بل في كل نفس وخاطر، والوفاء بالعهود مع الله ومع الخلق ومع نفسه.

وفي فصل يتحدث عن الاستعارة التحقيقية والعقلية يقول الأخضري:

وَذَاتٌ مَعْنَى ثَابِتٍ بِحَسٍّ أَوْ ❖ عَقْلٍ فَتَحْقِيقِيَّةٌ كَذَا رَأَوْا

❖ ❖
ك(أشرفتُ بصائرُ الصوفيةُ) ❖ بنورِ شمسِ الحضرةِ القدسيةِ

❖ ❖
فقوله: "كأشرفت... الخ مثال الاستعارة التحقيقية، المتحقق معناها عقلا، إذ المستعار منه الاستنارة بالنور المحسوس، والمستعار له انشراح الصدر واتساعه، وهو أمر محقق عقلا، وكذا الشمس، فإن المستعار له المعارف الربانية"²¹.

و"المعنى - على ما ذكره الشارح - انشرفت واتسعت قلوب الصوفية بنور معارف مكان الحضور والشهود، وهو الكيفية التي تقتضي وجود المعرفة، وهي حالة المطهرين من رعونات النفس، فالحضرة القدسية معناها عليه ما ذكره... ويحتمل أنه استعارة في لفظ الشمس، وأن إضافتها للحضرة من إضافة المشبه بناء على أن المراد بالحضرة القدسية: المعرفة المتعلقة بعظمة الرب وتقديسه عما لا يليق بجلاله، بناء على أن لفظ الحضرة نقل من معنى الحضور والشهود الحسي إليها في عرف الصوفية، والنور حينئذ ترشيح للتشبيه"²².

قال الأخضري: "فإن الإشراق مستعار من الاستنارة بالنور المحسوس لانشراح الصدر واتساعه وكشف الحجب عن عين البصيرة - وهو أمر متحقق عقلاً - وكذا لفظ الشمس، والمراد به: ما يتجلى لقلوب الواصلين إلى حضرة الألوهية من المعارف واللطائف، وما يواجهون به من العلوم الدنيوية - وهو أمر متحقق عقلاً - أيضاً"²³.

وفي باب الكناية يقول الأخضري:

لفظٌ به لازمٌ معناه قصدٌ ❖ مع جواز قصده معه يردُ

❖ ❖

إلى اختصاص الوصف بالموصوف ❖ ك(الخير في العزلة يا ذا الصوفي)

❖ ❖

وهو مثال اختصاص الوصف بالموصوف الذي هو أحد أقسام الكناية الثلاثة، "ومن ذلك الخير في العزلة... الخ، كناية عن اختصاص الصوفي بها"²⁴، هكذا قال الدهموري. ولكن المنيأوي المحسّي يعترض هذا التفسير بقوله: "لا وجه لهذا أصلاً، ولعل تأنيث الضمير تحريف، والأصل "به"، أي: الخير، وحينئذ تكون الكناية بواسطة، وذلك أنه يلزم من كون الخير في العزلة اختصاصاً بها، ومن اختصاصها به اختصاص الصوفي به، لأنه مختص بها، والمختص بشيء مختص بما اختص به ذلك الشيء، هذا والذي في شرح المصنف أن جعل العزلة ظرفاً للخير كناية عن تخصيصه بها وهو أقرب"²⁵.

المجموعة الثانية: - في الذكر والانقطاع إليه.

من المعلوم أن ذكر الله عز وجل من أهم أركان التصوف أخذاً من قوله عز وجل: {وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ} [الأنعام: 49]، وفيه يقول القشيري في رسالته: "والذكر ركن قوي في طريق الحق سبحانه وتعالى، بل هو العمدة في هذا الطريق، ولا يصل أحد إلى الله إلا

بدوام الذكر²⁶، وفي الذكر وأهميته في التصفية والسلوك والوصول إلى حضرة الحق عز وجل نجد للشيخ الأخضرري عدة كلمات يسوقها في معرض التمثيل، لبعض الصور البلاغية.

ونبدوها بقوله في (باب الإسناد الخبري) من علم المعاني:
 وَرَبِّمَا أُجْرِي مَجْرَى الْجَاهِلِ ❖ مُخَاطَبٌ إِنْ كَانَ غَيْرَ عَامِلٍ
 ❖ ❖ ❖
 كَقَوْلِنَا لِعَالَمٍ ذِي غَفْلَةٍ: ❖ (الذِّكْرُ مِفْتَاحُ لِبَابِ الْحَضْرَةِ)
 ❖ ❖

قال الأخضرري: "لما ذكرنا قبل أن غرض المخبر إفادة السامع فائدة الخبر أو لازمها ذكرنا ههنا أن العالم بذلك قد ينزل منزلة الجاهل به، فيلقى إليه الخبر وإن كان عالماً به لعدم جريه على مقتضاه؛ لأن ثمرة العلم العمل فمن لا يعمل بعلمه لا فرق بينه وبين الجاهل، كما يقال لتارك الصلاة العالم بوجوبها: "الصلاة فرض"، وكما يقال لصاحب الفاسق إذا كان عالماً: "صحبة الفاسق تعمي القلب"، وكما يقال للعالم الغافل عن ذكر الله تعالى: (الذكر مفتاح لباب الحضرة)²⁷.

وينوه الأخضرري بفضل الذكر وفائدته فيطيل القول فيه مع أنه بصدد شرح نظم في علم البلاغة، ولكن كما تبين لنا جلياً فإنه يغتنم فرصة المثال الذي صنعه وقصد به خدمة التصوف والدعاية له، لأنه يعتقد اعتقاداً راسخاً أن جدواه على طالب العلم عظيمة، ولأنه ليس معلماً فقط، بل هو مربٍ بمعنى الكلمة فيقول :

"فإنه لا يخفى على العالم أن ذكر الله تعالى وسيلة إلى الترقى في معراج الكمال إلى حضرة المشاهدة ومقام القدس، والمراد بالحضرة عند السادات الصوفية رضي الله عنهم دائرة القدس والطهارة والكمال التي إذا وصل إليها السالك سمي عارفاً وواصلاً، ويلقبونها بحضرة القدس، والحضرة الإلهية، والحضرة الربانية، والدرة البيضاء.

ومن وصل إليها كان قلبه عرشاً من عروش التجليات، وطوراً من أطوار المناجاة، وعيناً من عيون المشاهدات، وصار ممن يقابل بالفيض والإلهام والتكليم، وصار صدره عيناً من عيون الحكمة، وباباً من أبواب العلوم الدنية، يلتقط من

بحر قلبه جواهر الحكمة، وصار دائم المراقبة والهيبة والخشية من الله سبحانه، لما تجلى لمراة قلبه من جلال الله سبحانه وعظمته، وكشف له عن الملكوت الأعلى، وعن أسرار تعجز عن الإحاطة بها القراطيس والأقلام، وصارت همته تابعة للأمر الإلهي، تدور مع الشرع حيث دار، وصار من الوارثين لرسول الله صلى الله عليه وسلم، الراسخين الثابتين المطمئنين.

فهذه صفة العارف بالله تعالى الذي بلغ الحضرة الإلهية، ولا جرم أن ذكر الله تعالى هو مفتاح باب تلك الحضرة؛ لا يدخلها أحد إلا بالاجتهاد في ذكر الله تعالى في كل وقت بشروطه المعلومة في كتب القوم، ولهم في كيفية السلوك إلى تلك الحضرة اصطلاحات وتربيات يقرب بسببها الفتح على المريد بما فتح الله به عليهم فانظرها في محلها²⁸.

ويصارحنا الأخضري نفسه في شرحه على منظومته بالحامل له على هذا التمثيل، فيجعلنا على ثقة مما قلناه قبل من أنه صوفي وداعية إلى التصوف حين يقول:

"والغرض من المثال المذكور في البيت: ترغيب طالب العلم في الدخول في حضرة المنقطعين إلى الله تعالى الذين تلذذوا بعبادة ربهم؛ فهم في الدنيا متنعمون بما يرد على قلوبهم من المعارف وما يتجلى لهم من صفات الجلال والجمال، وفي الآخرة أسعد وأفضل، وتحذيره من الغفلة التي قطعت ظهور كثير من طلبة العلم وطمست بصائرهم، حتى توهموا أن العلم مقصود بالذات، وما هو مطلوب إلا لله للعمل إذ لا يصح إلا به.

فليحذر طالب العلم من الغفلة، وليأخذ نصيبه من الأوراد من بدايته إلى نهايته، بقدر ما لا يشغله عن العلم؛ فإن الله سبحانه جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً، فمن زعم أن الأوراد وإن قلت تشغله فذلك من تسويل الشيطان، ومن علامات الطرد والخذلان، وقد رأينا كثيراً من طلبة العلم ممن يندب إلى الخير ويرغب في العبادة فيتعلل ويقول: "إذا قضيت حاجتي من العلم أرجع إلى العبادة"، ثم يفوته الأمر إما بموت أو هرم أو محنة أو موت قلب - نسأل الله تعالى التوفيق - .

هذا مع علمه بأن الخير والفوز في النهوض إلى عبادة الله تعالى والمبادرة إليها من غير توان، وأن التواني مقيت، وهذا من أعجب العجب، كما

يقال: "لا عجب إلا في اثنين رجل قتل نفسه بيده، ورجل علم طريق الكمال والسعادة والدرجة العلية المرضية في الدنيا والآخرة ورغب عنها"، لكن القلوب بيد الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم"²⁹.

وفي كلام الأخضرري هذا رد صريح على ما ادعاه الدكتور أبو القاسم سعد الله في "تاريخ الجزائر الثقافي" من براءة الأخضرري من الأوراد والدعوة إليها بحجة أن الاشتغال بها كان من همّ الصوفية غير العلماء³⁰ وإلا فليقل لنا لماذا تكلم الأخضرري على بعض أسماء الله الحسنى وما لها من خواص وما لذاكها من فائدة وعائدة، وذلك عند شرحه لقوله في فصل خصصه للخروج عن مقتضى الحال:

أَوْ عَكْسٍ أَوْ دَعْوَى الظُّهُورِ وَالْمَدَدِ ... لِنُكْتَةِ التَّمَكِّينِ كَاللَّهِ الصَّمَدِ

فإنه قال: "(و) المدد): أي الزيادة، والمراد مدد السامع بتلك النكتة، والمدد عند الصوفيين: ما يرد على قلوب العارفين من زيادة المعرفة والإشراق بأنوار التجليات وانبساط ضياء المشاهدة، و(الصمد): هو الذي يصمد إليه في الحاجات - أي يقصد بها إليه - وهو من أسماء الله الحسنى، وله بركة عظيمة وأسرار كريمة، ومن بركاته أن الإكثار من ذكره يعين على احتمال الجوع، وربما استغني به عن الطعام جملة، وكثيراً ما يستعين به أرباب الرياضات والخلوات والمريدون في سلوكهم، وله في علم التوفيق أسرار بديعة، وخزائن أسرارهِ وعجائب تصاريفه لا يسعها الكون، ولا تحيط بها الصدور - والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء"³¹.

وواضح أن الأخضرري لا يمنع من ذكر اسم الصمد ولا غيره من الأسماء الحسنى مفرداً، خلافاً لما نعي ذلك من العلماء، بل إنه كما رأينا يحض على ذلك ويغري به، فهو ككل الصوفية ومعهم كثير من العلماء³² يعتبر اسم الجلالة اسم الله الأعظم، ويعتبر ذكره مفرداً من أعظم الأذكار إن لم يكن أعظمها، ولذلك قال بعد الذي نقلناه عنه:

"وأما اسم الجلالة فتضييق مجال العبارات عن باهر أسرارهِ، فإيا له من اسم عظيم أعظم! وماذا يوصف من عجائب اسم الجلالة، ولو ذكره عارف على جبل لارتحل وتزلزل، أو على بحر لغار وانهار، فله الحمد على إظهار أسمائه لعباده رحمة بهم وفضلاً"³³.

وفي (باب المسند) من علم المعاني أيضا يقول العلامة الأخضري: -
وَجُمْلَةً لِسَبَبٍ أَوْ تَقْوِيَةً ❖ كَ (الذِّكْرُ يَهْدِي لِطَرِيقِ التَّصْفِيَةِ)



ف"كون المسند جملة إما لكونه سببا، أو مشتملا على السبب، وهو ضمير المسند إليه،
لأنه سبب لربط الجملة به، نحو: زيدٌ قام أبوه، وإما لتقوية الحكم بنفس التركيب، أي
بالتركير والأداة، نحو: أنا قمت، ومنه مثال المصنف"³⁴، فالذكر: مبتدأ، ويهدي فعل، فاعله
الضمير هو العائد على المبتدأ، والجملة الفعلية خبر، وقوله: "طريق التصفية"، الإضافة
للبيان، أي: الطريق الذي هو تصفية النفس من الحجب الشهوانية"³⁵.

وفي (باب متعلقات الفعل) يقول الأخضري وهو يعدد الأغراض التي من أجلها يحذف
المفعول به:

وَيُحَذَفُ الْمَفْعُولُ لِلتَّعْمِيمِ ❖ وَهُجْنَةً فَاصِلَةً تَفْهِيمَ



مِنْ بَعْدِ إِيهَامٍ وَالِاخْتِصَارِ ❖ كَ (بَلَّغَ الْمَوْلَعُ بِالْأَذْكَارِ)



أي: "ويحذف أيضا للاختصار نحو: بلغ المولع بالأذكار، أي: الدرجة العليا"³⁶، ومعنى
المثال: "نال المشغوف بملازمة الأذكار الحضرة القدسية التي هي معرفة الله تعالى، فقد
حذف المفعول لمجرد الاختصار"³⁷.

قال الأخضري: "ويحذف أيضا لاستهجان ذكره، ومنه قول أم المؤمنين عائشة
- رضي الله عنها - : "ما رأيت منه ولا رأى مني"؛ أي ما رأيت من رسول الله ﷺ
العورة ولا رأى مني، حذفت العورة لاستهجانها، وهذا شأن كل ذي مروءة وحياء
أن لا يعود لسأته ذكر الخناء"³⁸.

وهنا ينبه الأخضري كناقد للمجتمع إلى آفة منتشرة فيه، ومنه بعض طلبه
العلم، وهي الكلام بالساقط من الكلام، فيشجبها، على أنها مخلة بالمروءة،
ومنافية للأخلاق فيقول:

"ولقد شاهدنا بعض المتشدين حتى من طلبه العلم يتكلم في المجالس
بالألفاظ القبيحة المستهجنة ولا يبالي، وخصوصاً منه ذكر بعض أوصاف
النساء، وإذا كان ذكر المرأة باسمها في المجلس قادحاً في المروءة فما ظنك
بالمستهجنات، وذلك ذريعة إلى التجاسر على المحارم الشرعية قليلاً قليلاً، ولقد

رأينا من يتعاطى ذلك فتطرق به الأمر إلى أن يصير من أخس السفهاء"³⁹.
ثم كَمُرَّبٌ مَعْنَى بسلوك طلبة العلم على الخصوص يقدم الأخضرى هذه
الموعظة، فينصح طالب العلم بالتحفظ من مخالطة من يعرف بالبذىء من
الكلام، وإذا اضطر إلى أخذ العلم عمن هذا وصفه فليأخذ ما يعنيه وليترك ما
عده؛ لأن الأمر كما قال صلى الله عليه وسلم: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فليقل خيرا أو ليصمت"، ولأن التصوف كله آداب، فمن فاتك بشيء من الآداب
فقد فاتك بكثير من التصوف، قال الأخضرى:

"فليحذر طالب العلم أن يخالط من هذا دأبه؛ فإن دعت ضرورة إلى القراءة
على من هذا شأنه فليأخذ ما ينفعه ويترك ما يضره؛ فإن العلم إنما يراد للتقوى
والسكينة والحياء، والأبرار مولوعون بالكنيات، والفجار مولوعون بالمستهجنات.
وليستح المؤمن أن يملأ صحيفته بالخنا، وينظر كيف يكون أمره حين يخرج
له الله كتابه الذي فيه عمله يوم القيامة يقول له: {اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى
بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} [الإسراء: 14]، والعاقل لا يتكلم بكلمة حتى يزنها
بقلبه بميزان الشرع؛ فإن كانت له قالها وإلا تركها، ولا يتكلم بغير ذلك إلا من
ضرورة، ومن لا يستحي من الله فلا يبالى بما أتاه، ومن منحه الله المراقبة فقد
منحه الله الخير كله؛ لأنها تحفظ من الغفلة والمخالفة، والله الموفق"⁴⁰.

وفي (باب الإيجاز والإطناب والمساواة) يعرف الأخضرى المساواة بقوله:
تَأْدِيَةُ الْمَعْنَى بِلَفْظٍ قَدَرِهِ ❖ هِيَ الْمُسَاوَاةُ كَ (سِرْ بِذِكْرِهِ)



أي أن: "المساواة كون اللفظ بقدر المعنى المراد أو مثله، نحو: سِرْ بِذِكْرِهِ تعالى، أي: إلى
الحضرة العلية، لأنه أعظم وسيلة إليها"⁴¹، وفي نسخة: ك (سُدْ بِذِكْرِهِ)، لأن سيادة العبد
ليست إلا في ملازمة ذكر سيده"⁴².

قال الأخضرى: "وقولنا: (ك: سِرْ بِذِكْرِهِ) مثال للمساواة، والمطلوب به حث
الطالب على الإكثار من ذكر الله سبحانه؛ ومعناه كن في سلوكك وسفرك
إلى الحضرة سائراً بذكر الله سبحانه؛ فإن ذكر الله سبحانه يفيد تزكية
النفس وتطهيرها، وتصفية القلب ورقته، وهو دليل القلب في توجهه إلى الله
سبحانه، وكم من فتوحات إلهية تفتح على قلوب الذاكرين واردة وتجليات لا

تحيط بها العبارات؟ والخير كله في ذكر الله تعالى، وكم فات الغافل من خير ونور؟ ولو علم الغافل ما في ذكر الله من الخيرات ما سبقه أحد بتسبيحة، ويقال: "من فاتك بدينار أو درهم ففثته بتسبيحة أو ركعة"⁴³.

ثم شرع الأخضري في توجيه النصح للقارئ عموماً بعدما وجهها لطالب العلم خصوصاً فقال بلسان معلم مُربٍّ:

"فينبغي للعاقل ألا يهمل نفسه، وأن يحافظ على عمره، ولا يرضى لنفسه أن يكون أقل الناس عملاً صالحاً، بل ينبغي له ألا يرى أحداً وثباً على عمل إلا بادر وسبقه إليه، ومن فاتك بركعة أو تسبيحة فقد فاتك بخير كثير، ترضى لنفسك أن يكون غيرك أسبق منك إلى عبادة الله تعالى وأعظم درجة؟ وأي حسرة أعظم من هذه؟ وقد كان بعض الإخوان فيما سبق مهما رأى أحدهم أخاه عاكفاً على عبادة الله جزع ونهض مشمراً إلى العبادة لئلا يسبقه أخوه بشيء من العمل فيكون أعظم درجة وأوفر حظاً عند الله تعالى، بل ربما خيف على بعضهم الموت من الغيرة مخافة أن يقصر به دون مرتبة أخيه، لا على جهة الحسد، ولكن على جهة الرغبة والمسابقة إلى الخيرات.

لأن الله عز وجل يقول: {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ} [الحديد: 21] الآية، {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} [آل عمران: 133]، {فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ} [البقرة: 148].

ومن علامة القرب من الله سبحانه أن يجري ذكره على قلب العبد ولسانه، ولا يوجد لسقم القلب وقساوته دواء مثل ذكر الله تعالى، وبركات الذكر وتجلياته وإشراقاته لا تحصى، ومن فاته من عمره نفسٌ بغير ذكر الله ولا نوع من العبادة فقد فاته من الخير ما لا يعلمه إلا الله، نسأل مولانا الكريم أن يوفقنا وجميع إخواننا إلى العكوف على عبادته بمنه وفضله، آمين"⁴⁴.

وفي (فصل في الإسناد العقلي) - وهذا دائماً في علم المعاني - يقول الأخضري:

وَلِحَقِيقَةٍ مَجَازٍ وَرَدًا ❖ لِغُلِّ مَسْئُولِينَ أَمَّا الْمُتَبَدِّلُ

❖ ❖

إِسْنَادُ فِعْلٍ أَوْ مُضَاهِيهِ إِلَى ❖ صَاحِبِهِ كَ(فَازَ مَنْ تَبَتَّلَا)

❖ ❖

أي: "ورد الإسناد إلى حقيقة وإلى مجاز منسوبين للعقل، وقوله: (أما المبتدا)، أي: الحقيقة العقلية، وقوله: (أو مضاهيه) أي: مشابهه في الدلالة على الحدث؛ و"فاز من تبتلا"، أي: أفلح من انقطع إلى مولاه".⁽⁴⁵⁾

قال الأخضرى:

"وقولنا: (ك: "فاز من تبتلا") تمثيل للحقيقة العقلية، فإن الفوز مسند إلى من هو له وكذلك التبتل، ومعنى فاز أي: سعد وأفلح، ومعنى: (تبتلا) (انقطع إلى الله سبحانه بقلبه، قال الله تعالى: {وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا} [المزمل: 8]، أي انقطع إليه من كل شيء انقطاعاً.

وإنما مثلنا بهذا المثال: رجاء التفات الطالب إلى التعلق بالأسباب الموصلة إلى حضرة المعرفة التي مدارها على صدق التوجه إلى الله سبحانه والانقطاع إليه من كل شيء، وهو التبتل الذي هو أساس المجاهدة، والتبتل قسمان:

تبتل البداية: فلا بد فيه من انقطاع المريد عن الخلق بقلبه وجسمه، وذلك بالعزلة عن الخلق، والذهاب إلى الحق.

وتبتل النهاية هو: الانقطاع بالقلب، ودوام مراقبة الرب، وهو صفة العارفين الواصلين؛ لأنهم مع الخلق بأجسامهم ومع الحق بقلوبهم؛ فيرى أحدهم ساكناً بين الجلساء وقلبه جوال في الملكوت، وغواص في بحر الجبروت: {وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ} [النمل: 88].

واعلم أن التبتل من صفات الصالحين، ومن خصال المنيبين إلى الله الذين شغلهم ذكره ومحبتة والتأنس به عن الدنيا وما فيها، وتأمل قوله سبحانه: {وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا} [المزمل: 8] الآية حيث أمر بذكره وأردفه بالأمر بالتبتل ثم بالتوكل بعد بقوله: {رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا} [المزمل: 9] فتدبر سر هذه الأوامر وترتيبها، ومن أراد أن ينهض إلى عبادة ربه ويهاجر إلى الله سبحانه ويدخل في حضرة الذاهبين إلى رب العالمين فعليه بسورة المزمل، وليتأملها ويعمل بما فيها فإنها سورة العابدين وأنس الزاهدين.⁴⁶

وأيضاً في (باب الإيجاز والإطناب والمساواة) يعرف الأخضري الإطناب بأنه عكس الإيجاز، فيقول:

وَعَكْسُهُ يُعْرَفُ بِالْإِطْنَابِ ❖ كَ(الزَّمْ رَعَاكَ اللَّهُ قَرَعَ الْبَابُ)



حيث أن الإطناب: "تأدية المعنى بلفظ أزيد منه لفائدة، عكس الإيجاز، نحو: اللهم متعنا بالنظر إلى وجهك الكريم، بفضلك مع أحبائنا في جنة النعيم، والفائدة في ذلك إظهار شأن الجنة بوقوع الرؤية فيها، ومن ذلك مثال المتن، وفائدة (رعاك الله) أن لزوم قرع الباب لا يفيد مع عدم رعاية الله وعنايته"⁴⁷.

المجموعة الثالثة: - في الصحبة والعزلة

لعل المثال السابق في المجموعة الأولى: (الخير في العزلة يا ذا الصوفي) خير مثال على تحبيذ الأخضري للعزلة، ولكن العزلة التي يقصدها الأخضري هي عزلة مؤقتة من حين لآخر يخلو فيها الصوفي بربه على حد قول ابن الفارض:

وَلَقَدْ خَلَوْتُ مَعَ الْحَبِيبِ وَبَيْنَنَا ❖ سِرٌّ أَرْقُ مِنَ النَّسِيمِ إِذَا سَرَى



أو هي عزلة عن جلساء السوء وأصحاب الغفلة على حد قول ابن عطاء: "ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة"، قال ابن عجيبة: "والعزلة انفراد القلب بالله، وقد يراد بها الخلوة التي هي انفراد القلب عن الناس، وهو المراد هنا، إذ لا ينفرد القلب في الغالب إلا إذا انفرد القلب"⁴⁸.

وذلك ما يؤكد الأخضري وهو يتحدث في الباب الأول عن تأكيد الخبر، وأنه في النفي كالإثبات حين يقول:

وَالنَّفْيُ كَالْإِثْبَاتِ فِي ذَا الْبَابِ ❖ يَجْرِي عَلَى الثَّلَاثَةِ الْأَلْقَابِ



بِ"إِنْ" وَ"كَانَ" "لَمْ" أَوْ "بَاءٍ" يَمِينُ ❖ كَ(مَا جَلِيسُ الْفَاسِقِينَ بِالْأَمِينِ)



"والباء نحو: ما زيدٌ بقائم، ومنه مثال الكتاب، وهو: ما جليسُ الفاسقين بالأمين، أي على الشريعة، لأن من تخلق بحالة لا يخلو حاضره منها"⁴⁹، وفي الحديث النبوي: "إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما

أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة، وناfox الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة⁵⁰.

وفي حديثه عن الإيجاز - وهو نوعان: إيجاز حذف، وإيجاز قصر - قال الأخضري:
وَبَاقِلٌ مِنْهُ إِيْجَازٌ عُلِمَ ❖ وَهُوَ إِلَى قَصْرِ وَحْدَفٍ يَنْقَسِمُ

❖ ❖ ❖
كَ(عَنْ مَجَالِسِ الْفُسُوقِ بَعْدًا ❖ وَلَا تُصَاحِبُ فَاسِقًا فَتَرْدَى)

❖ ❖
فالحذف وهو القسم " الثاني نحو {وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ} ليوسف: 82، أي: أهل القرية، والمحدوف إما جزء جملة كالمثال، أو جملة نحو {أَنْ اضْرِبْ بَعْصَاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلِقْ} [الشعراء: 63]، أي: فاضرب فانفلق، ومنه مثال المتن، إذ التقدير: ابعده بعدا، وبقيّة البيت تكملة، وفي البيت النهي عن مجالسة الفساق ومصاحبتهن، لأن من تخلق بحالة لا يخلو حاضره منها، والخلطة كما تورث الخير تورث الشر، وفي العزلة عن الفساق تخلص من شرورهم⁵¹ "وقد قال ابن عطاء الله: " لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلّك على الله مقاله".

وفي فائدة التشبيه - وهي كثيرة - ذكر الأخضري بعضها، ومنها قوله:
رُجْحَانُهُ كَالْوَجْهِ فِي الْمَقْلُوبِ ❖ ك(الْليثُ مِثْلُ الْفَاسِقِ الْمَصْحُوبِ)

❖ ❖
أي: "ومنها إيهام رجحان المشبه على المشبه به في وجه الشبه، وذلك في التشبيه المقلوب، كقوله:

وَبَدَأَ الصَّبَاحُ كَأَنْ غُرَّتْهُ ❖ وَجْهُ الْخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدِّحُ

❖ ❖
ففيه إيهام أن وجه الخليفة أتم من الصباح في الوضوح والضياء، ومنه مثال المتن: وهو الليث مثل الفاسق المصحوب، فالفساق المصحوب مثل الأسد في عدم أمن غائلته، وعوده على صاحبه بالضرر، ففيه إيهام أن الفاسق المصحوب أرجح من الليث في وجه الشبه⁵².
وإنما جاء الأخضري بهذا المثال لتصوير خطورة صاحب إذا لم يكن ذا دين، إذ كل قرين بالمقارن يقتدي.

المجموعة الرابعة: - في الترقّي والإشراق

وأول ما نلتقي به (الترقي) عند الأخضري في مقدمته بعد صلاته على:

مُحَمَّدٌ سَيِّدُ خَلْقِ اللَّهِ ❖ الْعَرَبِيُّ الطَّاهِرُ الْأَوَّاهُ

❖ ❖

وعلى خلفائه الأربعة وبقية الصحابة حيث قال:

مَا عَكَفَ الْقَلْبُ عَلَى الْقُرْآنِ ❖ مُرْتَقِيًا لِحَضْرَةِ الرَّحْمَنِ

❖ ❖

"أي: ما عكف القلب على التأمل في عجائب القرآن، حال كونه مرتقيا في ذلك التأمل أي طالعا فيه لحضرة العرفان، أي للحضرة التي هي العرفان، أي معرفة الله تعالى، لأن القرآن مبلّغ لحضرة الله تعالى، وحضرته معرفته على ما ينبغي"⁵³.
وسبق أن نقلنا قوله: "ارتقى للحضرة الصوفي".

وفي فصل الاستعارة وهو يتحدث عن التجريدية والترشيحية يقول الأخضري:

وَجُرِدْتُ بِلَانِقٍ بِالْفَصْلِ ❖ وَرُشِّحْتُ بِلَانِقٍ بِالْأَصْلِ

❖ ❖

نَحْوُ (ارْتَقَى إِلَى سَمَاءِ الْقُدْسِ ❖ فَفَاقَ مَنْ خَلْفَ أَرْضِ الْحَسِّ)

❖ ❖

والاستعارة المرشحة: "هي ما اقترنت بما يلائم المستعار منه، نحو (رأيت أسدا له ليد)، والقرينة الحالية، ومنه مثال المصنف، فإن الارتقاء - وهو التصاعد من سفلى إلى علو- يلائم السماء المستعارة لحضرة القدس، ولا يخفى ما في ارتقى وفاق من الأصلية والتبعية والترشيح، حيث استعير الارتقاء لانتقال حال السالك من حال إلى حال أعلى منه، وفاق بمعنى: علا، وهو يلائم المستعار منه، وأما بقية البيت فاستعارة مجردة، حيث استعير الأرض للصفات الدنيئة، والحس يلائمها لإدراكها به، ف "مَنْ" فاعل "ارتقى"، أي: ارتقى إلى حضرة الملكوت مَنْ غاب عن الأكوان"⁵⁴.

وسبق أن تعرضنا لقول الأخضري:

كَ(أَشْرَقَتْ بَصَائِرُ الصُّوفِيَّةِ ❖ بِنُورِ شَمْسِ الْحَضْرَةِ الْقُدْسِيَّةِ)

❖ ❖

وها هو مرة أخرى يقول في المكنية:

يُعْرَفُ بِاسْتِعَارَةِ مَكْنِيَّةٍ ❖ وَذِكْرُ لَازِمٍ بِتَخْيِيلِيَّةٍ

❖ ❖

كَأَنْشَبَتْ مَنِيَّةً أَظْفَارَهَا ❖ (وَأَشْرَقَتْ حَضْرَتُنَا أَنْوَارَهَا)

❖ ❖

فقوله: كأنشبت... الخ إشارة إلى قول الشاعر:

وَإِذَا الْمُنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا ❖ أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

❖ ❖

: (وأشرقت حضرئنا) فيه مثال لذلك - أيضاً - ؛ لأن تشبيه الحضرة بالشمس استعارة بالكناية، وإثبات الأنوار لها استعارة تخيلية، و(أنوارها) منصوبٌ إما على إسقاط الجار، أو على تضمين: (أشرقت) معنى: أظهرت ونحو ذلك؛ لأن أشرق لا يتعدى بنفسه⁵⁵.

ولعل مما يدخل في معنى "الترقي" الذي به يحصل الإشراق "الزهد" الذي هو فراغ القلب والقالب من التعلق بالدنيا والانغماس فيها، إذ في (باب المسند) يقول الأخضري: وَأَفْرَدُوهُ لِإِنْعَادِمِ التَّقْوِيَةِ ❖ وَسَبَبِ كَ (الزُّهْدُ رَأْسُ التَّرَكِّيَةِ)

❖ ❖

فالمسند يكون مفرداً - أي ليس جملة ولا شبهها - "فيؤتى به لعدم إفادة تقوية الحكم، وكونه غير سببي، نحو: زيد قائم، ومنه مثال المصنف، وإنما كان الزهد رأس التزكية - أي الخلوص من الكدرات - لاستعداد صاحبه للحضرة الإلهية"⁵⁶، ولا شك أنه لا يتصف بما ذكر إلا خالص من الرذائل⁵⁷.

وعلى ذكر الاستعداد أذكر هنا قول الأخضري في (باب القصر) وهو يتحدث عن معناه وأقسامه (حقيقي، إضافي، قصر صفة على موصوف، قصر موصوف على صفة) وأن الإضافي ثلاثة أقسام: إفراد، وقلب، وتعيين.

لِقَلْبٍ أَوْ تَعْيِينَ أَوْ إِفْرَادٍ ❖ كَ (إِنَّمَا تَرْقَى بِالِاسْتِعْدَادِ)

❖ ❖

"ومثاله صالح لها"⁵⁸، "لأن قصر الرقي على كونه بالاستعداد يحتمل أن يكون رداً على من اعتقد حصول الرقي به وبغيره، فيكون قصر إفراد، وعلى من اعتقد حصول الرقي بغيره، فيكون قصر قلب، أو يكون لمن تردد بينه وبين غيره فيكون قصر تعيين"⁵⁹.

المجموعة الخامسة: - في المشاهدة والعرفان

لعل في فاتحة (الجوهر المكنون) الدليل الواضح على تشبع الأخضري بالذوق الرفيع، والمعنى القلبي السامي، وأنه من ذوي العرفان الصوفي، والكشف الغيبي، لأنه يقول:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْبَدِيعِ الْهَادِي ❖ إِلَى بَيَانِ مَهْيَعِ الرَّشَادِ

❖ ❖

أَمَدَّ أَرْيَابَ التُّهَى وَرَسَمَا ❖ شَمَسَ الْبَيَانَ فِي صُدُورِ الْعُلَمَا
❖ ❖ فَاَبْصَرُوا مُعْجَزَةَ الْقُرْآنِ ❖ وَأَضِيحَةً بِسَاطِعِ الْبُرْهَانِ
❖ ❖ وَشَاهَدُوا مَطَالِعَ الْأَنْوَارِ ❖ وَمَا احْتَوَتْ عَلَيْهِ مِنْ أَسْرَارِ
❖ ❖ فَزَهَّوْا الْقُلُوبَ فِي رِيَاضِهِ ❖ وَأَوْرَدُوا الْفِكَرَ عَلَى حَيَاضِهِ
❖ ❖ وفي (باب الحقيقة والمجاز) يقول الأخضري:
❖ ❖ ثُمَّ الْمَجَازُ قَدْ يَجِيءُ مُفْرَدًا ❖ وَقَدْ يَجِيءُ مُرَكَّبًا فَالْمُبْتَدَأُ
❖ ❖ كَلِمَةً غَايَرَتِ الْمَوْضُوعَ مَعَ ❖ قَرِينَةٍ لِعَلْقَةٍ نَلَتْ الْوَرَعَ
❖ ❖ كَ(اخْلَعْ نَعَالَ الْكَوْنِ كَيْ تَرَاهُ ❖ وَغَضَّ طَرْفَ الْقَلْبِ عَنْ سِوَاهُ)
❖ ❖

قال الأخضري بمناسبة ذكر الورع في البيت الثاني شارحا لمعناه ومحددا لصفات الرجل الورع:

"وقولنا: (نلت الورع) دعاء قصد به تتميم البيت مع الإشارة إلى الاهتمام بالورع؛ إذ هو صلاح الدين كله، وهو ترك ما لا بأس به حذراً مما به بأس، ومن كان متصفاً به فكيف يخشى عليه هفوة أو فلتة في دينه؟ لأن الخير كله مجموع فيه؛ إذ لا يمكن حصوله إلا بزاهد معظم لحرمة الله تعالى، ساع في مرضاته، لا يخاف في دينه لومة لائم، كلامه ذكر، وصمته فكر، آيس مما في أيدي الناس، راض بالله وبما قسم له من الرزق، متجاف عن الطمع الذي هو مفسدة الدين ومذلة الرجال، والذي هو من شأن الكلاب المتزاحمة على الجيف العاكفة على المزابيل، ومن أولع به فقليل أن ينجو من سمه القاتل"⁶⁰.

ويهتبل الأخضري فرصة ذكر الورع فيتوجه للقارئ بالنصيحة تحريضا على ذكر الله تعالى والزهد في الدنيا فيقول:

"وليكثر المؤمن من ذكر الله تعالى مهما مالت نفسه لشيء من نفائس الدنيا أو التفت إلى شيء مما في أيدي أهلها...، وليقل لها: "يا نفس والله إن تسبيحة

واحدة لخير من الدنيا وما فيها"، لعلها تصبر - إن كان لها عقل - وقد كان السلف ﷺ إذا رأى أحدهم شيئاً من خطامها عند أحدٍ أعرض وتلا قوله تعالى: {وَلَا تَمُدَّنْ عَيْنُكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى} [طه:131] الآية، فتأمل هذه الآية الكريمة كيف زهد الله تعالى بها في الدنيا الخسيسة بعد أن حض على تسبيحه بقوله: {فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى} [طه:130].

وأما قوله (فاخلع نعال الكون كي تراه) فهو من أرق ما يمكن أن يقوله صوفي مُحقق، ومن أدق معاني الصوفية، وهو بلا شك يعبر بصدق عن مقام الأخضرى في مدارك العرفان ومدارج السلوك، والأخضرى - وإن جاء بالبيت للتمثيل للمجاز المفرد حيث استعملت كل ألفاظه في غير ما وضعت له - أحسن الاختيار، وأصاب المحز، ووفق كل التوفيق في التعبير عن مقام الإحسان، الذي هو مشاهدة بعد مراقبة، أي: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

قال الثغري: "وقد مثل للمجاز بمثالين لنوعين منه بقوله (كاخلع) أي كقولك في المجاز الذي هو الاستعارة التحقيقية الآتي تفسيرها: (اخلع) أي انزع (نعال العين) أي عين بصيرتك (كي تراه) أي لترى بها أي تشاهد بها مولاك بتحقيق معرفتك له، فقد استعار لفظ النعال من معناها المعلوم واستعمله في الشهوات المحرمة والمكروهة والغفلات، بجامع المنع من وصول ما يقدر وصوله عن كليهما، فالنعل تمنع من وطء الأماكن العظيمة كبساط الملك والشهوات والغفلات تمنع من الاتصاف باليقين المشهود به عظمة الرب تعالى وتقديس.

كما قال الإمام ابن عطاء الله: "كيف يشرق قلب صور الكائنات منطبعة في مرآته"، وعنى بصور الكائنات الشهوات، ولذلك عقب كلامه بما هو كالتفسير له فقال: "أم كيف يرحل إلى الله وهو مكبل بشهواته، أم كيف يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من غفلاته"، فهذه استعارة تحقيقية لتحقق معناها عقلاً على ما يأتي، وقرينتها واضحة، وهي ذكر العين، وذكر الرؤية المرتبة على الخلع.

و(غض طرف القلب عن سواه) أي اصرف قلبك عن التعلق بغير الله تعالى لتكون بذلك من الواصلين إلى معرفته تعالى، ومن القاطنين بحضرته المقدسة، وفي هذا المثال

استعارة بالكناية، ولذلك قلنا: إنه مثل بمثالين لنوعين، وهي أن يضمّر التشبيه في النفس ثم يذكر ما هو من لوازم المشبه به، فإنه شبه القلب بإنسان ينظر بالطرف بجامع توصل كل منهما إلى المراد بالكشف عنه، فأضمّر التشبيه في النفس استعارة بالكناية، ثم ذكر لازما من لوازم المشبه به وهو الإنسان الناظر، وذلك اللازم هو غرض الطرف المعبر به عن صرف القلب في أفكاره عن الوسواس والشهوات والغفلات المانعة من دخول حضرة القدس التي هي معرفة عظمة الرب المتقدس عن كل نقص معرفة دقيقة ذوقية كما ينبغي⁶¹.

قال الثغري: "وكثيرا ما يمثل المصنف - فيما تقدم ويأتي- بأمثال تشعر بأن له شغفا ومحبة بأمر الطريقة الصوفية المشتملة على طلب النفس لمرضاة ربها والله تعالى يرحمه ويبلغنا غاية المنى من ذلك ولو لم تكن نحن أهلا"⁶² وهو ما يؤكد ما قلناه في أول المقال، ومن أجله كتبناه.

أقول وقوله (فاخلع نعال الكون كي تراه) وفي نسخة الثغري التي شرحها كما تقدم (فاخلع نعال العين) مأخوذ من قوله تعالى لموسى عليه السلام لما جاء لمناجاة ربه: {فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى} [طه: 12]، وقد اقتبسه الصوفية واستعملوه كثيرا، ولابن قسي كتاب بعنوان (خلع النعلين واقتباس النور من موضع القدمين) قال فيه: "فمن كان ذا عينين، فيبتين المراد من خلع النعلين، فليس إلا أن ينخلع من نعلي دنياه، ويتجرد من ثوبي شهوته وهواه، وأن يتعرض تعرض الفقير المحق لنفحات مولاه"⁶³.

وقد استعمل الأخضري قريبا من هذه العبارة في (القدسية) فقال مرة:

فَأَيُّ مَنْ أَلْقَى نَعَالَ النَّفْسِ ... إِذْ حَلَّ فِي شَاطِئِ وَادِ الْقُدُسِ

وقال أخرى:

فَاخْلَعْ نَعَالَ الْكَوْنِ جُمْلَةً وَجِي ... تَكُنْ عَلَى طُولِ الْمُنَاجَاةِ نَجِي

وأخيرا، وفي حديثه عن البديع اللفظي، وعن الجناس بالضبط، يقول الأخضري:

مِنْهُ الْجِنَاسُ وَهُوَ ذُو تَمَامٍ ❖ مَعَ اتِّحَادِ الْحَرْفِ وَالنَّظَامِ

❖ ❖ ❖
وَمُتَمَاتِلًا دُعِي إِنْ ائْتَلَفَ ❖ نَوْعٌ، وَمُسْتَوْفَى إِذَا النُّوعُ اخْتَلَفَ

❖ ❖ ❖
(لَنْ يَعْرِفَ الْوَاحِدُ إِلَّا وَاحِدًا ❖ فَاخْرُجْ عَنِ الْكَوْنِ تَكُنْ مُشَاهِدًا

❖ ❖

"والجناس تشابه اللفظين، وهو تام وغير تام، فالتام أن يتفقا في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها، فإن كانا من نوع كاسمين سمي متماثلا، نحو {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ} [الروم: 55]، ومنه: مثال المصنّف".⁶⁴

قال الأخضري: "وقولنا (لن تعرف الواحد) البيت مثال للجناس التام المتمثل

، والغرض منه ترغيب الطالب"⁶⁵.

"فالواحد الأول أريد به الخارج في حقائق إيمانه عن شهود الكون والشغل به، والواحد الثاني اسم من أسماء الله تعالى، والمعنى أن المنفرد عن الكون في باطن إيمانه، بأن لا يرجو منه نفعاً ولا يخشى منه ضرراً، لا يعرف ذلك المنفرد إلا الله الواحد، أي: لا يتكل في أموره إلا عليه، ولا يشاهد في الوجود سواه، وإن شاهد غيره فكالهباء في الهواء. قال الإمام الشاذلي رضي الله عنه: لو كلفت أن أشهد غير الله لم أستطع، فإك ولا بد فكالهباء في الهواء.

وهذا المعنى هو الذي يشير إليه قول الناظم (فاخرج عن الكون) في باطنك بأن لا يبقى لك تعلق في رجاء النفع بشيء منه ولا عظمة لما يعظم منه (تكن) أي: فإنك إن خرجت عن الكون تكن (مشاهداً) للحق بعين البصيرة.

ويحتمل أن يكون في الكلام الأول قلب، بأن يقدر الأول منصوباً، والثاني مرفوعاً، فيكون المعنى: لا يعرف الواحد الذي هو الله تعالى، أي: لا يؤمن به حق الإيمان إلا الواحد، أي: المنفرد عن الخلائق، بأن لا يتعلق بشيء منها، وهو مستلزم للمعنى الأول"⁶⁶.

ويعد: -

فإنه لا يسعني بعد هذه الجولة مع الأخضري في أمثله التي صاغها للصور البلاغية، والتي تعقب برائحة الروح، وتنفع بأريج القلب، وتتضوع بشذى أنفاسه الطاهرة - لا يسعني إلا أن أنبه إلى شيء هام، هو أن الأخضري - كما قال مالك: "من تفقه وتصوف فقد تحقق"⁶⁷ - جمع بين علمي الشريعة والحقيقة، وقد قال العلامة الرحلة عبد الله بن محمد العياشي (1663م) في رحلته لما زار ضريح الأخضري: "وهو إمام جامع بين علمي الظاهر والباطن"⁶⁸، وقديماً قال الصوفية: "شريعة بلا حقيقة عاطلة، وحقيقة بلا شريعة باطلة"⁶⁹.

وللشيخ الأمير عبد القادر في هذا الموضوع في أول كتابه (المواقف) كلمة جامعة مانعة، هي الميزان الذي نفرق به بين أهل الله حقاً وصدقا، ومدعي التصوف كذبا وزورا،

وهي قوله: "كل من ادعى أنه شم رائحة من طريق أهل الله - تعالى - ولم يزد للشرع تعظيماً، وللسنة اتباعاً، فهو مفتر كذاب"⁷⁰.

"وكان الأخضرى قد تلقى ورد الطريقة الشاذلية والزروقية على الشيخ محمد بن علي الخروبي عند مرور هذا بالزاب (حيث بنطيوس)⁷¹ في طريقه إلى الحج، كما درس الأخضرى على مرابط قرية ليشانة غير البعيدة عن مسقط رأسه، وهو الشيخ عبد الرحمن بن القرون، ولعله قد تأثر أيضاً بتعاليم عمر الوزان الذي جمع بين العلم والعمل به، وبين التصوف والفقه"⁷².

وعلى هذا الأساس طرّز جوهره المكنون بحقائق ربانية، ونصائح نبوية، فرسم طريق الصوفي، وجعل مبدأها الاستعداد والعون الإلهي، وحليتها الأخلاق الفاضلة، الباطنة والظاهرة، من إنابة وإخبات ووفاء وصدق وإخلاص، ووسيلتها ذكر الله عز وجل بعدد الأنفاس ليلاً ونهاراً، سرا وجهاراً، وجعل نهاية طريق الصوفي فناء عن المكونات، واستغراقاً في الذات، حسب التجليات، مع الترقى الدائم، والإشراق المستمر.

وأيضاً على هذا الأساس ألف منظومته القدسية، ذبا عن حرمة الصوفية، وردعا للجهلة من المدعين، والدجاجلة والكذابين، ذلك لأن الأمر كما قال الشعراني في التصوف، إنه لعلو مراقبه كثر من يدعيه، وقبله قال سيدي أبو المدين الغوث:

وَأَعْلَمَ بَأَنَّ طَرِيقَ الْقَوْمِ دَارِسَةً ❖ وَحَالَ مَنْ يَدَّعِيهَا الْيَوْمَ كَيْفَ تَرَى



وعليه، فإن الصوفية الكبار من أهل التحقيق والكمال كانوا ولا يزالون أول مدافع عن السنة، وأول مقاوم للبدعة، وأولى الناس بقوله صلى الله عليه وسلم: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"⁷³، وقوله: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"⁷⁴.

غير أنه لا بد من فهم السنة جيداً، كما مثّلها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته، ولا بد من الحذر من فهمها كما يتبجح به القساة الغلاظ {فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [الزمر:22]، أولئك الذين {لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا} [النساء:142]، وقد قال تعالى: {أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد:28].

والخلاصة: -

أن الأخضرى مع تفوقه العلمي وتميزه الصوفي اشتغل بالتأليف والتربية والتعليم: "وكان يراعي - في تعليم طلبته - واقع الحال، حيث يوظف ما ينظمه لهم من مواد

علمية، بحيث تتماشى مع الغرض الأساسي في التعليم، وبهذا يعتبر الأخضرى من المعلمين (البيداغوجيين) في زمنه.

وبما أن الهدف الأساسي المقصود في تعليم الطلبة عنده هو: حفظ القرآن، وتمكينهم من امتلاك العلوم الدينية، والتقيد بالمنهج الصوفي، بنشر السلوك الأخلاقي الإسلامي، وبث حب العبادة في نفوس الطلبة، وتدريبهم على الالتزام بالذكر، فإنه كان يعرض عليهم - في منظوماته المختلفة - بعض الأمثلة من المحيط الذي يستهدفه، فهو - مثلاً - عندما نظم (الجوهر المكنون) في البلاغة، تعمد تقديم الأمثلة والشواهد من صميم المواد الدينية، بل الصوفية بالتحديد...

وهذه الأمثلة وغيرها - كلها - تدل على حسن تصرف في اختيار الشواهد والأمثلة خلال عملية التدريس، فبما أن طلبة الأخضرى مختصون أساساً في العلوم الدينية، وبما أن أستاذهم يعتبر من أقطاب الصوفية ومن أئمتها الكبار، فإن أمثلة الأستاذ تكون فعالة ومفيدة عندما يتم اختيارها من ذلك المحيط، وهذا هو ما حصل⁷⁵.

الهوامش:

(1) هو العالم الأديب الفقيه الفرضي المنطقي الصوفي عبد الرحمن بن محمد الصُّغَيْر بن محمد عامر الشهير بالأخضرى من سلالة الصحابي العباس بن مرداس رضي الله عنه، ولد سنة 920 هـ، وتوفي سنة 953 هـ، تعلم على والده ثم على علماء الزيتونة، وأخذ الطريق عن شيخه الخروبي، له عدة منظومات: منها (الجوهر المكنون في الثلاثة فنون) في البلاغة، و(السلم المنورق) في علم المنطق، و(الدرة البيضاء) في علمي الفرائض والحساب، و(السراج) في علم الفلك، و(مختصر) في العبادات على مذهب مالك، وغيرها، وله على المنظومات الثلاثة الأولى شروح، كما لعلماء المشرق والمغرب عليها شروح أيضاً.

انظر: "رسالة العقد الجوهري في التعريف بالشيخ عبد الرحمن الأخضرى": أبو محمد أحمد بن داود الأخضرى، مخطوط نقله من خط مؤلفه ابن مبارك التواتي العقبى.

(2) - عبد الرحمن الأخضرى العالم الصوفي الذي تفوق على أهل عصره، بوزياني الدراجي، بلاد إديسيون، ط3، دون تاريخ أو بلد. ص50 - 51.

(3) - الرسالة القشيرية، أبو القاسم القشيري، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418 هـ، 1998 م ص51.

(4) الكواكب العرفانية وشوارق الأنسية في شرح ألفاظ القدسية، د. محمد بن عبد الكريم الجزائري، دار الخلدونية، الجزائر، ط1433 هـ، 2012 م.

- (5) شرح السلم المرونق، عبد الرحمن الأخضرى، في ذيل إيضاح المبهم من معاني السلم للدمنهوري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1342 هـ. ص42.
- (6) تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن الجيلالي، دار الأمة، برج الكيفان، الجزائر، طبعة 2014م. 79/3.
- (7) المقدمة، ابن خلدون، مكتبة المدرسة والكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1967، ص863.
- (8) - "حلية اللب المصون بشرح الجوهر المكنون": أحمد الدمنهوري، ملتزم الطبع والنشر عبد الحميد أحمد حنفي، بشارع المشهد الحسيني رقم 18، دون طبعة. ص49.
- (7) - شرح الجوهر المكنون، عبد الرحمن الأخضرى، تح: د. محمد بن عبد العزيز نصيف، رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ص57.
- (8) - نفس المرجع.
- (9) - نفس المرجع.
- (12) نفس المرجع.
- (11) نفس المرجع. ص58.
- (14) شرح الدمنهوري: ص74.
- (15) "حاشية" مخلوف بن محمد البدوي المنيأوي، مطبوع في هامش حلية اللب المصون، ص74.
- (16) شرح الدمنهوري: ص100.
- (17) حاشية المنيأوي: ص101.
- (16) شرح الأخضرى. ص165.
- (17) شرح الأخضرى. ص270 - 271.
- (18) نفس المرجع. ص271.
- (21) شرح الدمنهوري: ص148.
- (22) حاشية المنيأوي: ص148.
- (21) شرح الأخضرى. ص290.
- (24) شرح الدمنهوري: ص153.
- (25) حاشية المنيأوي: ص153.
- (26) "الرسالة القشيرية. ص256 .
- (25) شرح الأخضرى. ص43.
- (28) نفس المرجع ص43 - 44.
- (29) نفس المرجع. ص44.
- (30) تاريخ الجزائر الثقافى: 507/1 - 510.
- (29) شرح الأخضرى. ص112.

- (30) من ذلك قول ابن جزئي: "ولكل ذكر معنى وفائدة مخصوصة توصل إلى مقام مخصوص، والمنتهى إلى الذكر الفرد - وهو قولك: الله - وقد قيل إنه اسم الله الأعظم". انظر: الباب الخامس في المأمورات المتعلقة باللسان، من كتاب الجامع في (القوانين الفقهية).
- (31) نفس المرجع.
- (34) شرح الدمنهوري: 99.
- (35) حاشية المنياوي: ص 99.
- (36) حاشية المنياوي: ص 99.
- (37) حاشية المنياوي: ص 104.
- (36) شرح الأخضري: ص 171 - 172.
- (37) نفس المرجع: ص 171.
- (38) نفس المرجع.
- (41) حاشية المنياوي: ص 104.
- (42) حاشية المنياوي: ص 120.
- (41) شرح الأخضري: ص 221 - 222.
- (42) شرح الأخضري: ص 222 - 223.
- (45) شرح الدمنهوري: ص 42.
- (44) شرح الأخضري: ص 51.
- (47) شرح الدمنهوري: ص 122.
- (46) إيقاظ الهمم بشرح الحكم، ابن عجيبة، 21/1.
- (49) شرح الدمنهوري: ص 40.
- (48) صحيح مسلم، تح: فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 4/2026، رقم: 2628.
- (51) شرح الدمنهوري: ص 121.
- (52) شرح الدمنهوري: ص 132.
- (51) موضع السر المكمون في شرح الجوهر المكنون، الثغري، مخطوط: ص 6.
- (54) شرح الدمنهوري: ص 123 - 124.
- (53) شرح الأخضري: ص 293.
- (56) شرح الدمنهوري: ص 92.
- (57) حاشية المنياوي: ص 92.
- (58) شرح الدمنهوري: ص 108.
- (59) حاشية المنياوي: ص 108.
- (58) شرح الأخضري: ص 269.

- (59) موضح السر المكمون للثغري (مخطوط) ص 133 - 134.
- (60) نفس المرجع.
- (61) خلع النعلين واقتباس النور من موضع القدمين، ابن قسي الأندلسي، تح: محمد الأمrani، مطبعة IMBH، ط1، 1418هـ/1997م. ص 212
- (64) شرح الدمنهوري: ص 165.
- (63) شرح الأخضري. ص 346.
- (66) .موضح السر المكمون. ص 190.
- (67) "قواعد التصوف": الشيخ أحمد زروق، تحقيق محمد زهري النجار، المكتبة الأزهرية للتراث، 1419هـ / 1989م، ص 4.
- (66) الرحلة العياشية، عبد الله بن محمد العياشي، تح: د. سعيد الفاضلي، د. سليمان القرشي، دار السويدي، أبو ظبي، الإمارات، ط1، 2006م. 542/2.
- (67) الأجوبة المرضية عن الفقهاء والصوفية، الشعراني، نقلًا عن: روح المعاني، الألوسي، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415 هـ. 358/3.
- (68) المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد، الشيخ الأمير عبد القادر الجزائري، دار اليقظة العربية للتأليف والنشر والتوزيع، ط2، 1386هـ، 1966م. 34/1.
- (71) اسم القرية التي ولد فيها الأخضري، وتقع جنوب غرب بسكرة بـ 30 كلم.
- (72) "تاريخ الجزائر الثقافي": 508/1 - 509.
- (73) صحيح البخاري برقم: 2499، صحيح مسلم برقم: 3242.
- (74) صحيح مسلم برقم: 3243، وذكره البخاري عنوانا لبابين في صحيحه.
- (73) عبد الرحمن الأخضري العالم الصوفي الذي تفوق في عصره. ص 28 - 30.



فلسفة نعيم تشومسكي واللسانيات العرفانية

- نظرة وموقف -

جميلة روقاب

كلية الآداب واللغات

جامعة حسيبة بن بوعلي/ الشلف

شارع رقم 19 أولاد فارس الشلف 02180

rougab22@yahoo.fr

الملخص -

من بين القضايا الفلسفية واللغوية التي شغلت حيّزا كبيرا من الاهتمام لدى تشومسكي هي العقلانية؛ بمعنى هل المبادئ والأصول المنطقية للغة الإنسانية فطرية أم عقلانية؟ ففكرة العقلانية وفق التصور اللساني التشومسكي تقوم على دعوى وجود أصول ومبادئ منطقية كلية لبناء الجمل في اللغات الطبيعية، وبالرغم من أنّه قد وضع نفسه مع العقلانيين إلا أنّه لم يشأ الخضوع لذلك التراث الفلسفي المتعارض حول العقل والجسم، لذا فهو يحدد موقفه من قضية معرفة اللغة على أساس أنّ إرهابات هذه المعرفة عند الطفل وإن كانت فطرية إلا أنّها تحتاج إلى شروط بيئية معينة أثناء فترة النضج، بفضل تأثير تشومسكي الواسع أصبح جيل من اللسانيين العرفانيين يدركون السلسلة الهائلة من الظواهر التي تشكل اللاوعي العرفاني، ولعلّ قوام التحليل العرفاني هو تسليط الضوء على المبادئ الدلالية الطبيعية (اللاصناعية بما فيها المنطقية، النحوية، البلاغية وغيرها) وبالإمكان أن ننظر في التحليل العرفاني باعتباره قائما على الإدراك السابق للتقسيمات البلاغية أو النحوية ذات البعد الما وراء لغوي.

والسؤال المطروح هو: كيف استطاعت النظرية التوليدية أن تمدنا بنظرية دلالية كونية قادرة على وضع قائمة بالمفاهيم الممكنة؟ وهل نجح النحو التوليدي في ضبط الوجوه اللسانية الكونية على المستويات الثلاثة: الصوتي، التركيبي والدلالي؟

الكلمات المفتاحية -
فلسفة تشومسكي - اللسانيات العرفانية - النحو - النظرية التوليدية - موقف

Noam Chomsky's Philosophy And Cognitive Linguistics - Consideration & Position -

Abstract -

Philosophical And Linguistic Issues That Occupied A Large Space Of Interest Among Chomsky's Rationalist; Are Logical Principles And Innate Human Language Assets Or Rational? The Idea Of Rationality In Perception Of Tongue Of Chomsky Based On Logical Principles Assets Citing Faculty To Build Sentences In Natural Languages, Although It May Put Himself With Rationalists But He Didn't Want To Undergo That Conflicting Philosophical Heritage On Mind And Body, So It Defines The Position Of The Language Issue On The Grounds That This Knowledge When Child Apprehensions Though Innate But Need Certain Environmental Conditions During Adulthood, Thanks To The Influence Of The Lingual Generation Became Extensive Chomsky Alarvanien Realize Dramatic Series O Phenomena That Constitute The Alarvani Subconscious, Perhaps Analysis Strength Is Highlighting The Natural Semantic Principles (Including Logical, Grammatical, Rhetoric Etc) It Is Possible To Look At The Alarvani Analysis Based On Previous Understanding Of Rhetorical Or Grammatical Divisions With Alma Behind Linguist. The Question Is: How Could The Generative Theory Provide A Semantic Theory ?

Key Word -

Chomsky's Philosophy- Cognitive Linguistics- Grammar-Generative Theory- Position.

مقدمة:

عند الإطلاع على أهمّ نتاجات اللغوي الأمريكي نعوم تشومسكي، يتضح الميدان الرئيسي الذي شغل حيّزا كبيرا من حياته، فتناوله بالدراسة والتحليل ألا هو اللغة، حيث اتخذها ميدانا ينطلق منه، ليضع الأسس النحوية التي قعد لها؛ ونذكر كيف كان يُعمل فكره بشكل دائم في ميادين مختلفة، ومتعددة تتجاوز إطار اللغة لتشمل كافة النشاطات التواصلية، والإنتاجية الفكرية، والعلمية، والفلسفية، فهو لا ينفك يعتمد المقارنة بين النظام النحوي اللغوي، والعلوم والمعارف الأخرى عند الإنسان من: رياضيات، وفيزياء، وبيولوجيا، وعلم النفس، والفلسفة، وعلم الاجتماع... وغيرها من العلوم، ولم يقف تشومسكي عند هذا الحد؛ بل تعداه إلى مستوى التواصل اللغوي، ليقوم موازنة بين التواصل البشري والتواصل عند بعض فئات الحيوان، إذ تبين مدى تعاطيه لتلك العلوم والمعارف بتياراتها الفكرية واتجاهاتها الفلسفية، وكيف استطاع أن يتكيف معها جميعا في دراسة اللسانيات والنحو.

كما سعى من خلال الأصول المنطقية التي افترضها حلّ معضلتين هما: شمولية أو كلية هذه الأصول الموجودة في سائر اللغات الإنسانية، ونجاح الطفل في تكوين قواعد لغته الأمّ وبنائها بمحاكاة الكلام الذي يستمع إليه، وبالرغم من أنّه قد وضع نفسه مع العقلانيين إلا أنّه لم يشأ الخضوع لذلك التراث الفلسفي المتعارض حول العقل والجسم، لذا فهو يحدد موقفه من قضية معرفة اللغة على أساس أنّ إرهاصات هذه المعرفة عند الطفل وإن كانت فطرية إلا أنّها تحتاج إلى شروط بيئية معينة أثناء فترة النضج.

فبفضل تأثير نعوم تشومسكي الواسع أصبح جيل من اللسانيين العرفانيين يدركون السلسلة الهائلة من الظواهر التي تشكل اللاوعي العرفاني، ولعلّ قوام التحليل العرفاني هو تسليط الضوء على المبادئ الدلالية الطبيعية (الاصناعية بما فيها المنطقية، النحوية، البلاغية وغيرها) وبالإمكان أن

ننظر في التحليل العرفاني باعتباره قائما على الإدراك السابق للتقسيمات البلاغية أو النحوية ذات البعد الما وراء لغوي. كيف استطاعت النظرية التوليدية أن تمدنا بنظرية دلالية كونية قادرة على وضع قائمة بالمفاهيم الممكنة؟ وهل نجح النحو التوليدي في ضبط الوجوه اللسانية الكونية على المستويات الثلاثة: الصوتي، التركيبي والدلالي؟

- فلسفة تشومسكي واللسانيات العرفانية:

من بين القضايا الفلسفية الفكرية التي شغلت حيّزا كبيرا من الاهتمام لدى تشومسكي هي فكرة "العقلانية" أي: هل المبادئ والأصول المنطقية للغة الإنسانية فطرية أم عقلانية؟ إذ يخيل إلينا أنّ فكرة العقلانية هي الفكرة الوحيدة الممكن الوقوف حيالها، وهي فكرة ليست على هذه الدرجة من القوة التي تصوّرها عالم اللسانيات تشومسكي، إذ هي تقوم على دعوى وجود أصول ومبادئ منطقية كلية لبناء الجمل في اللغات الطبيعية.

وفي صدد هذا قال تشومسكي: "إنّ اللغة المصطنعة تعتدى عند بنائها على حرمة المبادئ والأصول الكلية، لذا لا يمكن تعلّمها البتة أو على الأقل لا يمكن تعلّمها، بسهولة ويسر كما يتعلّم الطفل العادي اللغة الإنسانية"¹، وهذا الفرض لا يمكن إخضاعه للتحقيق التجريبي؛ إذ من المحال علميا تربية وتنشئة طفل صغير مذ ولادته دون حصوله على أي معرفة بأيّة لغة طبيعية البتة، ومن ثمة يتعرّض لسماع هذه اللغة الاصطناعية دون أي تأثير من اللغات الطبيعية، ثمّ كيف يمكن القيام بمثل هذه التجربة النفسية أو المضي فيها، وهي لن تقدّم أو تؤخّر في الموضوع المراد إثباته.

ولعل هذا الزعم التشومسكي من فطرية هذه المبادئ والأصول المنطقية له تأويل وتفسير آخر، فوجود هذه المبادئ والأصول في سائر اللغات جعلها تنحدر من أصل مشترك واحد جمعها فيما مضى، ثمّ احتفظت كلّ لغة من اللغات الإنسانية ببعض هذه الأصول أو كلّها.

لمزيد من التوسّع حول هذه الفكرة يكفي الاطلاع على مؤلفه²؛ إذ سعى من خلال الأصول الفطرية التي افترضها حلّ معضلتين في ذات الآن، وهما:

1- كلفة وشمول هذه الأصول إذا كانت موجودة أصلا كي تكون عامّة وشاملة بعد ذلك.

2- نجاح الطفل في تكوين وبناء قواعد لغته الوطنية على هدى من الكلام الذي يستمع إليه.

اهتمامه بالشقّ الثاني المتمثل في بناء القواعد اللغوية أكثر من عنايته بالشقّ الأوّل وهو كلفة وشمول الأصول لذا كان يقول دوماً: "إنّ اللغة تكتشف في كل مرّة تتعلم فيها والمشكلة العملية التي تواجه نظرية التعلم هي كيف يتمّ هذا الكشف فيما يتّصل بالقواعد النحويّة؟"³.

سواء أكانت اللغات الإنسانية الموجودة المنحدرة من أصل واحد غير معروف أم لا (كالتنسكربتية) فإنّه بلا شك مواجهة الفرض يبدو من المستحيل إثباته، وإن كان من المحتمل حدوثه.

ولأنّ اللسانيّات تعدّ اليوم علماً تجريبياً قائماً بذاته تسعى لبناء نظريّات حول تركيب اللغة الإنسانية فمن واجب اللغويين أن يتعاونوا في إطار دراسة هذه الأصول والمبادئ المنطقيّة الكلفة بحيث يمكن التحقق من وجودها في كلّ اللغات أو بعضها.

ويبدو أنّ تشومسكي كان محقاً في أنّ تنوع واختلاف طرق التركيب في اللغات الإنسانية ظاهرة غير غريبة كما ادّعى ذلك البنيويّون (Les Structuralistes) بل على العكس لأنّ الحاجة لمثل تلك التفسيرية الكاملة للغات الإنسانية ما تزال قائمة.

2- يقصد به كتاب آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل، تشومسكي، ترجمة وتحقيق: عدنان

حسن، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 2009. ينظر: ص: 74 - 75

3- ينظر في هذا الصدد: اللغة ومشكلات المعرفة، ترجمة: حمزة بن قبالان المزيني، دار توبقال، المغرب،

1990م، ص: 16 - 17

وصدد هذا يجعل معظم الدراسات اللغوية الحديثة متأثرة في كثير من جوانبها تأثيرا مباشرا بأعماله، وهو ما يعطي دفعة قوية وتأييدا واسعا لهؤلاء الذين يشايعون فكرة الأصول النحوية الكلية التي تحكم اللغات المختلفة، لكن النتائج التي أسفرت عنها هذه الدراسات حتى اليوم ما تزال نتائج غير نهائية، ولا بد أن تعني ذلك حقا بخاصة عند استخدام الدليل اللغوي في المناقشات الفلسفية.

ومما هو متعارف عليه في الدراسات المقارنة، أن الاتجاهات الفلسفية- المتصارعة قديما- قد فقدت كثيرا من حدتها، ومثال ذلك: العقلانية في مقابل التجريبية، والغريزة مقابل التعلم، والعقل مقابل الجسم، والوراثة مقابل البيئة، وهكذا حيث توجد نظائر لذلك في الدراسات المعاصرة حول المفارقة بين سلوك الإنسان، والحيوان التي ترى أن السلوك الذي يوصف- عادة- بأنه سلوك غريزي يحتاج إلى شروط بيئية يجب توافرها أثناء فترة النضج بحيث يصبح من الصعب أن ترجح هل هو سلوك فطري أم مكتسب عن طريق التجربة والتعلم ؟

يعني هذا أن الغريزة والبيئة كلاهما ضروري وأن إحداهما لا يستغن عن الأخرى، وبالرغم من أنه يضع نفسه مع العقلانيين، إلا أنه لا يريد الخضوع لهذا التراث الفلسفي المتعارض حول العقل والجسم، لذا فهو يحدد موقفه من قضية معرفة اللغة على أساس أن إرهابات هذه المعرفة عند الطفل- وإن كانت فطرية- إلا أنها تحتاج إلى شروط بيئية معينة أثناء فترة النضج.

ذلكم ما أسماه العلماء فرضا بديلا للفرض التشومسكي، وهو أن معرفة الأصول الكلية والمنطقية للغة ليست فطرية كلية، وإنما هناك عامل آخر تمثل في البيئة الصالحة التي تتفاعل مع هذه الأخيرة، بحيث تؤدي في الختام إلى تكوين القدرة اللغوية.

وهو فرض عقلي لأنه يتعارض مع اتجاه المذهب التجريبي المتشدد الذي لم يبق من أنصاره إلا القليل، لأن كثيرا من علماء النفس، والفلاسفة يسلمون بأن بعض الملكات العقلية يختص بها الإنسان وحده دون بقية الكائنات، ولا

يمكن تحديد هذه العوامل أو التعرف عليها إلا من خلال البيئة والبيولوجيا معا.

يفضل البعض منهم ألا تستعمل عبارة ملكة عقلية (faculté mental) في هذا المقام، ولابد من الاعتراف بعدم وجود أي دليل يفصله من يطلقون على أنفسهم اسم التجريبيين، يوضح أو يثبت أن الفرض الهزيل الذي يذهبون إليه فرض صحيح وليس معنى هذا النقد لفرض تشومسكي بلا معنى أو فرض فارغ فما ذهب إليه "تشومسكي" يحتاج إلى دليل حاسم من حيث اعتماده على النظرية العقلية، وقد أثبت العالم الأمريكي قدرة الإنسان على التكلّم بلغة ما تدلّ على أنّه فعلا يملك سواء بالفطرة؛ أو بالتعلّم عددا من القواعد التحويلية الدقيقة قادرة على العمل على إنتاج الجمل وصياغتها، وتحليلها ومن ثمّ يستطيع الاحتفاظ بالتراكيب العقلية المجردة في ذهنه. ولاشكّ أيضا في أنّ "تشومسكي" كان محقّا عندما تحدّى الرأى القائل: بأنّ العقل ليس إلاّ عضوا بسيطا التركيب أكثر من أيّ عضو آخر من أعضاء الجسم، وأنّ الفروض البسيطة تكون كافية لتفسير الظواهر التي توضع من أجلها، وهو يتنكر للمبدأ الأساسي لديكارت حول كون العقل واللغة واعيين كلياً⁴ وهو بذلك يدخل فكرة اللاوعي العرفاني في العلم العرفاني مطبقا إيّاه في النحو.

فبفضل تأثير تشومسكي الواسع، أصبح الجيل من اللسانيين العرفانيين عارفين بالسلسلة الهائلة من الظواهر التي تشكل اللاوعي العرفاني، ولعل قوام التحليل العرفاني هو تسليط الضوء على المبادئ الدلالية الطبيعية (لا الصناعية: المنطقية- النحوية- البلاغية ...) ⁵ في الإمكان أن ننظر في التحليل العرفاني باعتباره قائما على الإدراك السابق للتقسيمات البلاغية أو النحوية ذات البعد الميتالغوي.

4- صميم الفلسفة: جورج لايكوف، مارك جونسون، ترجمة: محمد أحمد خليل، بيروت، باريس، منشورات عويدات، 1999م، ص: 469- 512

5- صميم الفلسفة: جورج لايكوف، مارك جونسون، ترجمة: محمد أحمد خليل، بيروت، باريس، منشورات عويدات، 1999م، ص: 469- 512

- نقد لنظرية النحو التحويلي :

وجّهت لنظرية النحو التوليدي عدّة انتقادات ، ومن أبرزها نقد ماتيوس

(Mathews)، لهذه النظرية في مؤلفه الموسوم بـ: « Review of

Chomsky s Aspects of The Theory of Syntax in journal of Linguistics »

ليكن معلوما إذن أنّ التفرقة التي وضعها تشو مسكي بين القدرة و الأداء جعلته أحيانا يصف بعض العوامل على أنّها من الأداء، بينما هي تدخل في إطار القدرة، فهل يرجع هذا الاختلاف إلى طبيعة المادة اللسانية نفسها أم يرجع إلى اختلاف الفكرة والمصطلحات؟

واليك المثال التالي فيما يتعلّق بالفرق بين القدرة والأداء يقول تشو مسكي: "إنّ النظرية اللغوية تهتمّ- أولاً- بالمتكلم المستمع المثالي في أيّ مجتمع متكامل كامل التجانس حيث يعرف هذا المتكلم المستمع لغة ذلك المجتمع معرفة تامّة دون أن يتأثر بأيّ ظواهر أخرى نحو: قصور الذاكرة، أو الحيرة، أو تشتت الانتباه أو الأخطاء⁶.... الخ " وذلك عندما يطبق معرفته بالنظام اللغوي في صورة أداء فعلي.

وما هو جدير بالذكر، أنّ تشو مسكي قد وظّف مصطلح: الأداء ليبدّل على كلّ شيء لا يقع في إطار فكرة القدرة من حيث هي فكرة مثالية ومحددة نظريا، هو ما لم يقره الكثير من الباحثين، وكان من الأفضل أن تكون فكرة الأداء اللغوي مقصورة على إنتاج وتفسير الجمل في ظروف معيّنة من الاستعمال اللغوي، أمّا فكرة المثالية في المجتمع اللغوي الكامل المتجانس فهذا ما لا يحقق ذلك فعلا، أمّا مفهومه للغة على أساس أنّها عبارة عن نظام من الجمل، فلا بدّ من وضع حدود أخرى لها غير مصطلح الأداء غير أنّ ذلك لا يترتب عليه اصطلاحياً أنّ تصوّره للمثالية أمر شاذ أو عمل غير مشروع؛ فتحديد الفروق الاصطلاحية بين الأداء في ظروف معيّنة، والأداء المثالي يقع على عاتق اللسانيين من حيث الفروق الأسلوبية واللهجية بما

6- Aspects of theory of syntax, Chomsky, N , Cambridge, Mass MIT, Press(1965) p :03 .

لها من صلة العوامل الاجتماعية والسياقية، مجال هذا كله هو علم اللغة الاجتماعي أو ما يسمّى باللسانيات الاجتماعية .

في هذا يقال عن الطفل الذي يستطيع أن ينطق بأيّ عدد من الجمل؛ أو بجميع الجمل الصحيحة نحوياً قد يصبح وحشاً اجتماعياً⁷، وهذا حقّ لا يستطيع إنكار الزعم التشومسكي، وإلاّ أنكر الآثار الاجتماعية للاختلافات اللهجية والأسلوبية، يبدو أنّه قد غالى كثيراً حين نعت البراءة بالوحش فهل يعقل ذلك؟

ومع ذلك فهناك العديد من وجهات النظر المختلفة في هذا الصدد، فبينما يرى بعض اللسانيين ضرورة احترام الاختلاف اللهجي، والأسلوبي يرى تشو مسكي أنّ دراسة الخصائص المميّزة للغة الإنسانية يمكن أن تتمّ بغضّ النظر عن الاختلافات الاجتماعية والسياقية.

ولعل هذا ما جعل بعضهم -ولا أظنّ أنّ تشو مسكي منهم - يطبقون بعض القواعد النحوية على مادة لغوية تشكّ في صحتها من حيث الاختلاف الأسلوبي واللهجي، ولكنهم عندما يواجهون بذلك يلجئون إلى نوع من المناورة لتبرير ذلك معناه: بأيّ اللهجات نبدأ الدراسة بلهجتي؟ أم بلهجة الغير؟

ومعنى هذا أنّ اهتمامهم منصبّ على تحقيق المادّة اللغوية، دون توفر المبادئ المثالية في ذاتها، وهو موقف خاطئ وغير صحيح كان لابدّ من تسيير إلى نقل الدراسة إلى اللسانيات الاجتماعية لكي تحقق أهدافها - اللغوية - وتأخذ بما تراه من الجوانب الإيجابية لمثاليته، فلعلّ من مزايا اللسانيات الاجتماعية أنّها تجعل الإنسان لا يغفل عن كون اللغة ظاهرة اجتماعية ، فقد يؤدي إفراط بعض اللسانيين في الشكّنة، والترييض،

7 -Voir: Foundation of Sociolinguistics; Dell, Hymes (1972), P:75 Ingram(eds.),New York Academic Press

والحوسبة، واعتماد المعادلات إلى إخراج اللغة من حيز التواصل الاجتماعي إلى مجال الترميز الرياضي⁸.

والواقع أنّ كلّ اتجاه من هذه الاتجاهات المختلفة يحتوي على قدر من العقلانية والمثالية شأنه في ذلك شأن جميع العلوم التجريبية المختلفة، ولكن لكلّ منها وجهة نظر صحيحة، كما لها حقّ في الوجود وهذا أمر يتّصل أكثر ما يتّصل بالاختلاف حول المصطلح والأفكار.

والملاحظ أنّ هناك العديد من التعديلات التي طرأت على النظرية التوليدية، كما اتضح ذلك عند التشومسكيين، ومن جاء بعده، ويرى أنّ هذه الاختلافات حول النظرية إنّ هي إلاّ اختلافات محلية؛ أي ترتبط باختلافات البيئات لأنّه من الصعوبة تبين نجاعة نظامين نحويين قائمين على نظرية واحدة.

ولكن إذا استطاع كلّ نظام منهما أن يولّد عددا من الجمل ترجع جميعها إلى منهج وصفيّ واحد عند دراسة تركيبها حينئذ نقول أنّ النظامين متعادلين، غير أنّ كثيرا من اللسانيين قد يختلفون حول مفهوم الصورة المنطقية لتركيب الجملة؛ ومعنى هذا أنّه إذا لم يتفق هؤلاء حول قضايا المصطلحات أو الاختلافات المحلية، فإنّ كلّ هذا لن يؤدّي إلى الثمرة المرجوة.

ولعل بعض المناقشات التي دارت بين تشو مسكي وبعض اللسانيين⁹ الذين يفضلون صورا وأشكالا أخرى من النحو التوليدي تحمل هذا الطابع من الاختلافات حول المفاهيم والمصطلحات، ويتجلّى ذلك في اختلافهم معه في بعض القضايا الأخرى، ناهيك عن المعارضين¹⁰ الذين لهم انتقادات لنظرية النحو التوليدي ذاتها.

8- التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صابر الحباشة، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سورية، ط1، 2008 م، ص: 132.

9- أتباع تشو مسكي وهم كثر: المدرسة النفسية الروسية بزعامة قطب من أقطاب علم النفس العصبي: (A.R.Luria).

10- وهم علماء النفس السلوكيون: (مدرسة جنيف النفسية أنموذجا).

ولهذا لابدّ من مجيء يوم تهدم فيه نظريّة تشو مسكي على أيديهم؛ لأنّهم يرونها غير موثمة لدراسة ووصف اللّغات الإنسانيّة عامة، ولكنّ الاعتقاد السائد وسط المحيط اللّغوي أنّ العديد منهم تواضعوا على أنّ محاولة تشو مسكي إذا قدر لها يوماً ما أن تصبح غير صالحة، فإنّها تبقى محاولة زادت من فهمنا وإدراكنا للغة بما قدمته من أفكار وآراء، ومن هنا فإنّ الثورة التشومسكيّة لا يمكن أن تكون إلاّ ثورة ناجحة بما قدمته وحققته تحولات في مختلف مراحل تطوّرها: النظرية النموذجية، النظرية النموذجية الموسعة... إلخ "البرنامج الأدنى"¹¹، ثمّ إنّ فترة الثمانينات والتسعينات قد أعادت نسج العلاقات بشكل غير مألوف بين كلّ من النحو والبلاغة وحتّى اللسانيات التداولية، دون إغفال مظلة العلوم المعرفية التي تشمل اللسانيات، وعلم النفس المعرفي، والمعالجة الآلية للغة، والذكاء الاصطناعي، والمعاجم الحاسوبية وغيرها، وهنا يطرح السؤال التالي: كيف أصبحت يا ترى العلاقة بين مستويات التحليل اللسانيّ اليوم ؟

لقد كانت النظريات التي قدمها اللغوي الأمريكي في الدرس الصوتي مميزة، إلاّ أنّ النظرية التوليدية يجب أن تمدنا بنظرية دلاليّة كونيّة قادرة على وضع قائمة بالمفاهيم الممكنة، كما تتطلب وجود أصل كوني يكون نسخة أصليّة للكشف عن تولّد الخصائص الدلالية، وعلى النحو التوليدي أن يضبط الوجوه اللسانية الكونية على المستويات الثلاثة: الصوتية والدلالية والتركيبية، وفي الأخير لا يمكن إنكار الجهود التي قدمها تشومسكي في الحقل الصوتي.

- نقد النظرية التشومسكيّة (نقد فليمور ونقد ماتيسوس):

11- التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صابر الحباشة، ص: 30.

إنّ ما يكتب حالياً وفي السنوات العشر الأخيرة عن القواعد ونظرية القواعد، يستوقفه لا محالة مصطلح البرنامج الأدنى (Minimalist Program)، يراد به تسمية مقارنة جديدة للقواعد ضمن مدرسة القواعد التوليدية، ينظر مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، مرتضى جواد باقر، ص: 189.

رأى "جون ليونز" صاحب مؤلف نظرية تشو مسكي اللغوية، أنه يوافق آراء تشو مسكي في كثير من القضايا، إلا أنه ظنّ بأنّ هناك بعض المسائل والقضايا التي بالغ فيها كثيرا، وقد أعرب أنّ الرجل في دراسته وأبحاثه العظيمة حول بناء نظرية نحوية هي التي جعلته يتميز عن غيره وأعطته أصالة؛ بل لعل ما قدّمه في هذا الميدان من ميادين الدراسة العلمية للغة هو إسهام كبير دون أدنى شك، علما أنّه وسّع آفاق ما يعرف باسم: اللسانيات الرياضية (**Mathématique linguistes**) وفتح بهذا ميدانا جديدا في الدرس اللغوي لا يهتمّ (الألسنيين) فحسب، بل حتّى المناطق وعلماء الرياضيات أيضا.

أ- اعتراض فيلمور (Fillmore):

وإذا كان بعض ناقديه هم مجرد حاقدين أو مضللين نحو فيلمور¹² الذي نشر في عام 1968م بحثا بعنوان: حالة الحالة (The Case for Case) قال فيه: "أنّ التحليل النحوي الحقيقي للجملة هو ذلك التحليل الذي يكشف بوضوح عن مكونات كلّ جملة؛ أي يكشف عمّا أسماء الفاعل: (Agent) والأداة: (instrument) والمكان (Place)" ¹³ وأنّ حالة كمصطلح (case) ما هو إلّا توسيع وتعميم لذلك المصطلح التقليدي -إن صحّ القول- الذي كان يدلّ في بعض اللغات على صيغ تخصّ بعض الأسماء التي تتخذ مواضيع مختلفة في سياق الجملة نحو (الفاعلية: الرفع، المفعولية: النصب والإضافة بالجرو وهكذا).

ففلومير صاحب نظرية الحالة النحوية ادّعى بدوره أنّ أعمال تشو مسكي إن لم نقل بعضها، وبخاصّة في النحو التحويلي ليست لها صلة مباشرة بالدراسة الوصفية لتلك اللغات الإنسانية، إلّا أنّ ذلك لم يحل دون أن تحظى أبحاثه وأعماله بتقدير المناطق وعلماء الرياضيات الذين يهتمّون كلّ الاهتمام

12- أحدث ضجة عارمة واضحة في حقّ نعوم تشو مسكي حين ناقش نظرية الحالة النحوية (the case grammar).

13- ينظر: نظرية تشو مسكي اللغوية، جون ليونز، تر: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، مصر: دط، 1995، ص 169.

ببنية ودراسة النظم المنطقية (**Formal Systems**) في ذاتها من أجل تجاربهم التطبيقية أمثال: سكينر (**B,F, Skinner**) صاحب كتاب السلوك اللغوي وجورج ميلر (**George Miller**) عالم النفس في بحثه: اللغة ذات الحالة المحدودة (**finit state language**) دليل علم النفس الرياضي (**Hand Book of Mathematical**).

ولكن مما لا يحسن السكوت عليه، أنّ الأنموذج الذي وضعه تشو مسكي للنحو التحويلي قد وُضع وصُمم من أجل تحليل ودراسة اللغات الإنسانية الطبيعية، وأنّ هذا الأنموذج قد استخدم بقدر كبير من النجاح والتوفيق بفعل النتائج التي أسفرت عنها نظرية النحو التحويلي لها بالغ الأثر على كلّ من علم النفس، والفلسفة على حد سواء، فقد اعترف معاصرو تشو مسكي وتلامذته أنّه قد حقق نجاحات، لاسيّما وأنّه أدهض المذهب السلوكي.

ب- اعتراض ماثيوس:

حينما قدم تشو مسكي الحجج الدامغة أثناء تصديده لمناقشة الفجوة الموجودة بين اللغات الإنسانية، ونظم الاتصال لدى الحيوان وعلاقة كلّ منهما بنظرية التعلم؛ وذلك حين أشار لمبدأ الإبداعية للغة من خلال قدرتها على بناء جمل جديدة وتكوينها من وحدات غير مترابطة أصلاً، وهي أهم خصيصة من خصائصها التي نستطيع عبرها أن نفرّق بين لغة الإنسان ولغة الحيوان¹⁴.

وفي هذا الصدد كان لزاماً التطرّق - ولو بإيجاز - إلى الحديث عن تلك المحاولات القديمة والحديثة لتعليم الشامبانزي اللغة المنطوقة، ولو أنّها لاقت فشلاً ذريعاً كان حليفها بدليل أنّ الحيوان لا يملك بدوره جهاز النطق كالذي يملكه الإنسان من خلال بعض التجارب الحديثة التي أجريت على نظم الاتصال والتواصل، والتي تتكئ على وسائل بصرية يدوية وليس على وسائل نطقية سمعية مما جعل تشو مسكي يقارب ويقارن بينهما،

14 - ينظر: نظرية تشو مسكي، جون ليونز، تر: حلمي خليل، ص: 59.

ويخلص أنّ مجرد اكتساب البدايات الضجّة الأولى للغة فوق طاقة أيّ فرد مهما أوتي من ذكاء¹⁵.

ومنه يطرح السؤال: هل تتمتع القردة حقاً بذكاء ما؟

هذا سؤال شغل حيّزاً كبيراً من اهتمام الدّارسين والباحثين، حيث بدا جلياً للذين اقتفوا أثر هذه الأبحاث والتجارب التي أجريت على القردة لم تقدّم نتائج ملموسة، بل تركت معضلة اكتساب الحيوان للغة كما كانت عليه، ومع ذلك فقد قيل عن القردة إذا كانت لم توفّق في اكتساب المبادئ اللّغويّة الأولى، فإنّ الأطفال في مراحلهم العمرية الأولى يصيبهم ذلك أيضاً.

ولكن هذا الاعتراض ينطوي على مغالطة مضلّلة، لأنّ الأطفال بعد المرحلة الأولى - حسب علماء الاجتماع - يمضون قدماً إلى مراحل أبعد من تلك التي تتوقف عندها القردة، والسبب راجع عند تشو مسكي إلى كون الأطفال ينطلقون من خلال قدرات إنسانية خاصة تفتقر إليها القردة؛ أي ما ينطق به الطفل الصغير لا يشبه تماماً ما ينطق به صغار القردة هذا لأنّ اللّغة الإنسانية لها خصائص عامّة أهمّها: (الازدواجية، الإبداعية، والتركيب التابع، وأضف إلى ذلك خاصيّة الاعتباطية، والتمفصل)¹⁶ هكذا لا توجد أدلّة تدعو للاعتقاد بوجود أيّ اختلافات في الملكة (القدرة اللّغويّة) وهو يرجع سببه إلى الاختلاف العرقي ناهيك عن وجود اختلافات وراثية تؤثر على اكتساب اللّغة، واستعمالها مما لا تستطيع قدراتنا الحالية اكتشافه باستثناء العيوب الخلقية نحو: الإصابة بمرض المنغوليين أي (Down) الذي يكون الطفل معرّضاً له تمنعه من تحقيق نجاح كبير من النواحي الفكرية والذهنيّة ولكن باستطاعته رغم ذلك اكتساب لغة تشبه لغة الأطفال الأصحاء، وإن كان ذلك بصورة أبطأ وفي حدود ضيّقة.

- آراء وانتقادات متفرقة:

15- اللّغة ومشكلات المعرفة، نعوم تشومسكي، تر: المزيّني حمزة بن قبلان، ص: 45.

16- ينظر: الألسنية علم اللّغة الحديث، ميشال زكريا، ص: 261- 342.

وترجع شهرة تشو مسكي بلا شك لأرائه الفلسفية والسيكولوجية بخاصة في مؤلفاته المتأخرة¹⁷، وليس لإسهاماته التقنية في اللسانيات بوصفها عملاً مستقلاً بذاته، فبالعودة إلى الاختلاف بين اللسانيات الوصفية واللسانيات التشومسكية يثبت أن الأخيرة ركزت على اللغة الإنجليزية واللغات الأوروبية القريبة منها من أجل ربح قليل من الوقت على خلاف المدرسة الوصفية التي أخذت وقتاً أطول لدراسة اللغات الغربية القديمة، كاللاتينية واليونانية، هذا المنهج من شأنه أن يقلص من حظوظ إقامة نظرية عالمية مبنية على الكليات اللغوية¹⁸ على نحو ما اصطلاح عليه بـ: **Linguistique Universels**.

وبالمقابل هناك موقف يرى صاحبه أن هجرة اللسانيين لنظرية تشو مسكي لأنها غير ملائمة لوصف اللغات، معتبرا ما قام به الرجل شكلنة (formalisation) للمتصورات المستخدمة في التحليل اللغوي حتى وإن قدر لثورة تشومسكي اللسانية أن تفضل يوماً ما إلا أنها كانت ثورة لغوية ناجحة¹⁹.

أما سامبسون (G,Sampson) فلم يتردد في مؤلفه المدارس اللغوية عن القول: "إنه لا يوجد شيء في دفاع تشو مسكي عن النظرية العقلانية يبرر الطريقة التي انحرفت فيها طلقات أتباعه، ولكن - ولحسن الحظ - ظهرت في نهاية السبعينات علامات كثيرة تبشر بعودة هذا الفرع من اللسانيات إلى وضع أكثر صواباً وتعددية وبدأت نضج النسيم تدب بين بقايا التراتب"²⁰.

17- مؤلفاته المتأخرة المقصود بها: مظاهر النظرية التركيبية (1965م)، اللسانيات الديكارتية (1966م)، واللغة والعقل (1968م).

18- المدارس اللغوية بين الصراع والتطور، جيفري سامبسون، تر: أحمد نعيم الكراعين، ص: 153.

19- ينظر: تشومسكي، جون ليونز، تر: حلمي خليل، ص: 219.
20 - schools of linguistics, G. Sampson, 1980, P :165.

وجواباً على هذا النقد الموجه لتشومسكي وبخاصة بعد التطورات الأخيرة التي جعلت اللسانيات مقترنة بالدلالة والرياضيات، والبيولوجيا، وعلم النفس، غيرها من العلوم فإن المنهج التوليدي التحويلي قد بلغ درجة لم تبلغها النظريات اللسانية السابقة، ولذلك يبقى الرجل الأول دون منازع في قائمة الذين قدّموا مساهمة فعالة في خدمة اللغة والفكر، ولاسيما الدراسة اللسانية، سواء على مستوى المبادئ أو المناهج أو المصطلحات.

وعلى العموم فإن المنهج العقلاني أعطى نفساً جديداً للدراسات الدلالية، فعلم الدلالة بدوره استفاد من القواعد التوليدية التحويلية ومن النظريات التي انبثقت عنها²¹ وكثرة حاقديه ممن قالوا أنّ أفكار تشومسكي يمكن أن تكون خاطئة، الناقد الفرنسي المعاصر ثيموتي ماسون (T.Massoun) والحوار الذي دار بينهما حول مختلف القضايا اللغوية والفكرية، والتي رآها خصمه بمنظار الخطأ الذي قد يحتمل الصواب²².

وهذا السجال ما هو إلا محاولة لتحقيق التوازن؛ إذ ستجد أنّ ما وجهه تيموتي ماسون من بدائل جعلت تشومسكي بين مطرقة الحقيقة، وسندان المجاز لما يبدو أن هذا هو النموذج السائد، ويصف ماسون قائلاً: "على الرغم من أنني لست لغوياً ولا عالم الأعصاب، ولقد حاولت أن تُمارس قدراً من الحكم على مدى ما لتشمل كل الحقائق البيولوجية اللغوية، ولكن قد نجد لك اعتراضاً وتناقضاً مع الفكر - حتى إذا كان هناك أي تعليقات - بخلاف ما سبقك فيه غيرك تسعى إلى تفنيد الفكرة كلها"²³.

21- الدلالة التفسيرية: هي نظرية لـ: كاتز Katz interpretive semantics، الدلالة التوليدية ومن أشهر أصحابها: ليكوف مكاوليروس، وبوستال، والنظرية المعيارية الموسعة لـ: تشومسكي ونظيره: جاكندوف، قواعد الحالات لتشارلز فيلمور case Grammar للتوسع ينظر: اللسانيات التوليدية، من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنى: مفاهيم وأمثلة، مصطفى غلفان، بمشاركة أمحمد الملاح وحافظ إسماعيلي علوي، ص: 173.

22- ينظر مؤتمر باريس حول نظرية اللغة على موقع كفاية.

لا نعتقد أن لغة الإنسان تطورت من أي حيوان كنظام الاتصالات السابقة، ولكن ينبع من العدم إلى الوجود "بينكر" يختلف مع هذا الرأي، وقد ترغب في قراءة ويليام كالفين في مؤلفه الموسوم: رحلة جيمس الصيفية مراجعة سيميائية أين أكد كالفين في حواراته مع بكرتون أنه يتعاطف مع الفكرة القائلة بأن اللغة هي اختصاص فطري ومحدد، وأطباء الأعصاب لهم رأي وموقف آخر نحو الفيلسوف وطبيب الأعصاب: رالف إكسيل مولر، الذي كتب في ورقة بعنوان 'الفطرة الحكم الذاتي والعالمية، جاعلا من هذه النقطة التي كثيرا ما أثبتت من قبل المتخصصين في المخ داعيا للبحث والتخصص في مناطق معينة من الدماغ لمعالجة اللغة باعتبار ذلك الفعل نتيجة نهائية للتنمية اللغوية بدلا من أن تكون مبرمجة في جينوم، وبصفة عامة، فإنه لا يمكن القول إن أيا من ارتفاع وظائف المخ الفطرية قد يكون من تزايد الاهتمام في تطور اللغة²⁴.

إضافة لواحدة من أقوى الأصوات المناهضة للنمطية، إنها الشاعرة والمفكرة البريطانية المعاصرة إليزابيث بيتس، والتي تتبنى وجهة نظر مختلفة في كتابها الموسوم بـ: "التلازم بين النحو والمعجم : شواهد من حياة وفقدان القدرة على الكلام في الوقت الحقيقي والتجهيز"²⁵ على سبيل المثال كانت جيدة وبخاصة في اختيار ثغرات في حجج سامبسون المتقدمة حول أسس خصائص اللغة وبنية العقل البشري، وسوف تحتاج أيضا حسب تيموثي ماسون إلى النظر لـ: (A Karmiloff)²⁶ في مؤلفيه "الملخص من وراء

Sadrel@web.Com

24- ينظر مؤتمر باريس حول نظرية اللغة على موقع

Sadrel@web.Com

25- ينظر: الموقع السابق

26- (Karmiloff) ، عالم لديه أيضا عدد من الأوراق على الخط - يقصد على شبكة الأنترنت أين يمكن التواصل معه- وهو القائل: "إن ظهور اللغة نظرية مؤامرة"، يمكن وصفها بأنها (connexionnistes)، على الموقع التالي [p://www.4Shared.org](http://www.4Shared.org)

نمطية منظور إنمائي على العلوم المعرفية"، و"السلوكية وعلوم المخ"، لتدرك من خلاله أن أفكار تشومسكي خاطئة في هذا الحقل المعرفي. وتجدر الإشارة إلى أن ما قدمه الفيلسوف ديفيد بلوت، بما في ذلك اكتساب اللغة في غياب أدلة سلبية واضحة كيف؟ فالفهم هو البدء بالمشاريع الصغيرة التي ألفها بالاشتراك مع دوغلاس رود، حيث يرى عبره المؤلفان أنه "في ظل النموذج الإحصائي للبيئة اللغوية، مع احتمال عدم وجود أدلة سلبية واضحة لا تجرم الفطرية، وآليات لغوية محددة" حول مسألة علاقة الفكر بالعقل، وفي ذلك استحضار للفلسفة العرفانية وثنائية الضدية التي راح ضحيتها كل من الفيلسوف "ديكارت ومعارضه تشومسكي" حول قضية الوعي واللاوعي العرفاني²⁷.

إضافة لوليام بكتل (B. William) واحد من أهم الأصوات في الاتصالية (connexionnismes) وصاحب مقال: "ماذا يجب أن تكون المعرفة في رأسه من أجل اكتساب اللغة"²⁸ والذي يحتج فيه على فودور عندما ذكر أن اللغة لا يمكن أن تكون موقعا فريدا في الذهن متوفرا في شكل ما من الأشكال يرى فودور الاتصالية كقوة عظمى ولدت من جديد السلوكية وهذا التوصيف هو ما لقي ترحيبا وحماسا من قبل بعض المؤيدين واستهجانا من طرف بعض المعارضين.

ويمكن ذكر المزيد من الانتقادات والمواقف حول عرفانية تشومسكي من المنظور السلوكي في شكل ومضات دلالية كثيرة ومتعددة؛ خذ على سبيل المثال تلك المراجعة في التحليل اللفظي للسلوك: أين نلغي الناقد المفكر الذي عاصر تشومسكي ألا وهو ديفيد بالمر يقوم بمراجعة نقدية وإعادة النظر في أفكاره جعلته - أي بالمر - يرى تشومسكي الاستعراض الشفهي للسلوك لدى سكينر هو ضارة للسانيات؛ فتأثره بأراء المدرسة الفلسفية العقلانية التي كانت سائدة خلال القرن 17م، والتي اعتبر الفيلسوف "ديكارت" واحدا

27- اللغة والمعرفة، رؤية جديدة، صابر الحباشة، ص: 59- 61.

28- [Http://www.En.Wikipedia.org/wiki/Noam_Chomsky.Com](http://www.En.Wikipedia.org/wiki/Noam_Chomsky.Com)

من أبرز أعلامها أين كانت آراؤها عن طبيعة اللغة عميقة للغاية، مناقضة تماما للرؤية السطحية التي تميزت بها آراء سابقه²⁹.
 من هذا المنطلق راح تشومسكي يهاجم في كتابه (التركيب النحوي للبنية اللغوية) آراء سكينر ويدحض أفكاره³⁰ فمنتقدو تشومسكي كثيرون من بينهم روجر شانك (Schank.R) لما قال أنه غاضب من قبل على تشومسكي لإقصائه المتعمد المعنى، في مقارنة تفصيلية لـ: (Schank) بين عمل تشومسكي من خلال بحثه عن كيفية تمكنه - أقصد شانك - من بناء معجم يعين في إثراء التعبير الإنساني، وهذا ما يحمل على إنكار الذات ذات الأبعاد الرهيبة³¹، وأنه لا يمكن تبريرها.

أمّا المفكر (Beau grande) يذهب إلى أن تشومسكي قد يقود حملة الأدائية لتحل محل لغة حقيقية مع لغة مثالية، والذي يسمح له بتجنب مواجهة الطبيعة الاجتماعية لعمليات لغوية³².

موقف آخر (غوي Gowy) عمله الرئيسي هو بناء قواعد اللغة بمساعدة الكمبيوتر (Remko Scha) لمعهد المنطق واللغة وعلوم الحاسوب في جامعة أمستردام في "نظرية اللغة والتكنولوجيا اللغة، لكفاءة والأداء" نشرت لأول مرة باللغة الهولندية في عام 1990، وهو يقول أنه: "إنّ الجيل الحالي من أنظمة معالجة اللغة يقوم على نماذج لغوية من اللغات الطبيعية، والمشاكل التي تواجهها مع هذه النظم توحى بالحاجة إلى أداء نماذج من معالجة

29- ينظر: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، نايف خرما، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 9، سنة 1978 م، ص: 112 - 113.

30- ينظر: اللسانيات منطلقاتها النظرية وتعميقاتها المنهجية، حنيفي بناصر و مختار لزعر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2009 م، ص: 65

31- المتخصص في الذكاء الاصطناعي، ينظر: موقع كفاية www.Kefea.com

32- ينظر: الموقع نفسه.

اللغة، والتي تأخذ بعين الاعتبار الخصائص الإحصائية للاستخدام الفعلي للغة"³³.

على الرغم أن عددا من العاملين في هذا المجال، اتبعوا نهجا مثيرا للجدل والاهتمام كالصحفية الأمريكية (Hutten locher Janelle) من خلال التحقيقات التي تشير إلى أن السلوك اللفظي للأمهات تجاه أبنائهم يعدّ أمرا حاسما ليس فقط على اكتساب المفردات، ولكن يساعد على التمكن من قواعد لغة أمهات الأطفال الذين يتحدثون معهم كثيرا، وهم في وضع أفضل لفك ترميز الجمل المعقدة من أولئك الذين يتلقون تحفيزا قليلا .

كما تشير الدراسات إلى أن التمكن من أشكال الجملة المعقدة يرتبط ارتباطا وثيقا بنسبة استخدام الخطاب المعقد من قبل الآباء، وتعتقد أنّه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الدرجة الأصلية الفردية للناطقين من اكتساب الكفاءة اللغوية"³⁴، ولكن هذه الصحافية لم يسعفها الحظ كي تنشر آراءها في مؤلّف بعد أن عصفت بها ريح المنون في سنّ مبكرة، وهذا ما تأسّف له تشومسكي.

وتأسيسا على ما سبق ذكره، فهذه المواقف النقدية التي تعود لمتخصصين وأطباء نفسانيين، وفلاسفة، علماء هندسة رياضيات... وغيرهم ما هي إلا غيض من فيض، وفي ذلك دلالة على تأثره بالفكر اللغوي الفلسفي والعلمي.

وتبقى آراء تشومسكي محل نقد ودراسة، من قبل الدارسين المتأخرين من أجل فهم حقيقة اللغة واستنتاج آلية اكتسابها، وطرق عمل الدماغ لتوليد الجمل الصحيحة فبحوثه وإسهاماته متواصلة يصحح بعضها بعضا، على غرار ما عده في مقالاته العلمية المتتابعة والتي استفادت من النقد الموجه في

33- ينظر: ستانفورد "لغة الطفل منتدى البحوث، موقع على الشبكة، كما يمكنك الذهاب إلى 'لغة العلم مجموعة بحوث"، والذي يحتوي على مجموعة غنية من الموارد، بما في ذلك العديد من المقالات، وبعض التسجيلات - مع النصوص - خطاب للأطفال) على الشبكة .

34 مجلة 'بروسبكت فوريين بوليسي' جانلين هوتن لوشير، الو.م.أ، عدد 2006 م، عن موقع كفاية .

كل مرة للنظرية النموذجية، والسؤال المطروح هو: ما الفرق بين النظرية الكلاسيكية والنظرية النموذجية ؟

أشار تشومسكي في النظرية الكلاسيكية 'للدلالة' التي رأى أنها "لا ترتبط مباشرة بالتركيب بالرغم من وجود تطابق جزئي بين التراكيب المكتشفة في التحليل النحوي والوظائف الدلالية الخاصة من جهة أخرى" ³⁵، ولكنه عاد بعد ذلك إلى المعنى جاعلا إيّاه مثل التركيب تماما، إذ يجب في اعتقاده أن يخضع للتحليل العلمي الدقيق، وأنّ الدلالة وجب إدراجها في التحليل النحوي بوصفها جزءا مكمّلا لا مناص من الاستغناء عنه .

وهكذا اتّضح جلياً، أنّ التراكيب اللغوية في مجموعها لا تولد بطريقة واحدة فعالة حينها لجأ تشومسكي إلى التطوير وإعادة النظر فيما أسماه : " بالمتكوّن الدلالي"، وقد أطلق على هذه المقاربة الجديدة اسم : (النظرية النموذجية الموسّعة) ³⁶، فقد ظهرت معالم هذه الأخيرة منقحة في بعض مقالات تشومسكي الذي سعى من خلال عمله إلى إقامة نظرية معجمية تأويلية معيدا الاعتبار لمكانة البنية العميقة ومع ضرورة تقليص عدد القواعد التحويلية، وكذا إدراج القواعد المعجمية .

كما دافع تشومسكي عن رأيه في الدلالة التوليدية ³⁷، والتي أطاحت بالبنية العميقة مقابل المستوى الدلالي، والحجة في ذلك أنّ التراكيب التي خصّصت لها بنى تحتية مماثلة في الدلالة التوليدية تظهر في الواقع اختلافات تركيبية معتبرة لا يمكن تبنيها من خلال الاختلاف في الاشتقاق

35- البنى النحوية : نعوم تشومسكي ، تر: يوثيل يوسف عزيز، مراجعة : مجيد الماشطة، مطبعة النجاح الجديدة ودار الشؤون الثقافية العامة الدار البيضاء ، المغرب، ط2، 1987م ص:101.

36- (The Extended Standard Theory) النظرية النموذجية الموسّعة

ينظر: اللسانيات -النشأة والتطور- ، أحمد مومن، ص:231 وما بعدها .

37- دعاة الدلالة التوليدية من أمثال : كاتز وبوستال .وللمزيد ينظر لمؤلفهما : An Voir : Chomsky ; Integrated Theory of Linguistic Dextriptions J.Lyons,London Peng Un,1970,p :79

التحويلي، وإنّما من خلال الاختلاف في البنية العميقة، وبما أنّ الظاهرة تنطبق على الجمل المترادفة فإنّ مستوى البنية العميقة - في رأيه - يجب أن يكون متميّزاً عن مستوى التمثيل الدلالي، وأنّ النحو يحتوي على مكوّن دلالي تفسيري .

إنّّه موقف عبّر عنه تشو مسكي في كتبه بعنوان: ملاحظات حول التأسيس؛ أي الأسماء أو التسميات من خلال نظريته، ويعنى مقاله الثاني بالنقائص التي بدت في النظرية النموذجية والأسباب الداعية لاقتراح أخرى منقحة للتفسير الدلالي، أمّا مقاله الثالث الذي طوّر فيه النظرية النموذجية الموسعة بشكل ملفت للانتباه مع مقارنتها ببعض المقاربات الأخرى، وبخاصّة الدلالة التوليدية مبرزاً أفضليّة النظرية النموذجية الموسّعة على المستويين: المنهجي والتجريبي، وكلّ هذه الأصول المعرفيّة والجوانب النظرية للقواعد التوليدية جعلت الرجل يعتمد فيها على المنطق والرياضيات وعلم الأحياء (البيولوجيا) لإقامة نظريّة القواعد الكلية.

وقد بدا هذا الاتجاه جلياً من خلال كتابه: "مقالات في الشكل والتفسير" الصادر عام (1977م) بعده جاء بنظرية أخرى أسماها: "نظرية العامل والربط الإحالي لعام (1981م)"³⁸ والتي تناول فيها العلاقات القائمة بين القواعد التوليدية التحويلية واللسانيات البيولوجية .

خاتمة:

ومن خلال الوقوف على هذه الأطر الفكرية التي جاء بها تشو مسكي، واعتمدها في بناء دراسته للغة خاصّة، وللعلوم الإنسانية والتكنولوجيا بشكل عام، لابدّ من التركيز على أهمية الدور الذي أداه هذا المفكر والمثقف الكبير ليس فقط في حقل اللسانيات التوليدية التحويلية الحديثة بل كذلك مجال المعارف والعلوم البشرية عامة، صحيح أنّ الأبحاث المتتالية التي انطلقت من

38- ينظر في: (مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، مرتضى جواد باقر، ص: 170 / 179، اللسانيات واللغة العربية، عبد القادر الفاسي الفهري ص: 91، وقضايا إبستمولوجية، حافظ اسماعيلي وأحمد الملاح، ص: 154) .

مفاهيمه وتصوراته قد أدخلت على هذه الأخيرة بعض التغييرات التي قد تكون صغيرة أو كبيرة، ولكن أقلّ ما يمكن قوله هو أنّ تشو مسكي كان الدعامة الأساسية لجانب كبير من الدراسات الدلالية والعرفانية وحتى الفلسفة اللغوية، ليتمكن من الارتقاء بالدرس اللساني في كامل ميادينه نظرياً وتطبيقياً .

بيبلوغرافيا البحث:

- 1- التداولية والحجاج ، مداخل ونصوص، صابر الحباشة ،صفحات للدراسات والنشر ، دمشق، سورية ، ط1 ، 2008 م
- 2- أصول تحليل الخطاب، في النظرية النحوية العربية، تأسيس "نحو النص"، جامعة منوبة، كلية الآداب منوبة، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، 2001، ج:2
- 3- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، نايف خرما، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت، العدد 9 ، سنة 1978
- 4- الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1400هـ - 1980م.
- 5- البنى النحوية :نعوم تشومسكي ، تر: يوثيل يوسف عزيز، مراجعة :مجيد الماشطة ، مطبعة النجاح الجديدة ودار الشؤون الثقافية العامة ، الدار البيضاء ، المغرب، ط2، 1987م
- 6- الخصائص، ابن جنيّ أبو الفتح عثمان ، تحقيق محمد علي النجار ،عالم الكتب،بيروت ، لبنان ، ط(د.ت.)، ج2 ،
- 7- صميم الفلسفة :جورج لايكوف ،مارك جونسن،تر: محمد أحمد خليل ، منشورات عويدات ، بيروت، ط(د.ت.)، 1999م
- 8- العصاب بحث مقدم في علم النفس، ألفريد أدلر،تر: أحمد الرفاعي وفارس ضاهر، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت ، لبنان ط1، 1982 م
- 9- قضايا إبستمولوجية في اللسانيات،حافظ اسماعيلي و أمحمد الملاخ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009م.
- 10- اللسانيات التوليدية - من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنى :مفاهيم وأمثلة، مصطفى غلفان ، بمشاركة أمحمد الملاخ وحافظ إسماعيلي علوي
- 11- اللسانيات -النشأة والتطور، أحمد مومن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2005م.

- 12- اللسانيات منطلقاتها النظرية وتعميقاتها المنهجية، حنيفي بناصر و مختار لزعر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2009 م
- 13- اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية دلالية، عبد القادر الفاسي الفهري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، دط، 1986م.
- 14- آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل، تشومسكي، ترجمة وتحقيق: عدنان حسن، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 2009
- 15- اللغة والمعرفة، رؤية جديدة، صابر الحباشة، صفحات للنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ط2008م.
- 16- اللغة ومشكلات المعرفة، تشومسكي، ترجمة: حمزة بن قبلان المزيني، دار توبقال، المغرب، دط، 1990م
- 17- المدارس اللغوية بين الصراع والتطور، جيفري سامبسون، تر: أحمد نعيم الكراعين، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان، بيروت، ط1، 1993م.
- 18- مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، مرتضى جواد باقر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2002م.
- 19- نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، تر: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، مصر، دط، 1995 م

مراجع أجنبية:

- 20 Aspects of theory of syntax, Chomsky, N , Cambridge, Mass MIT, Press(1965)
- 21Chomsky « the listener 30 may 1968
- 22 Chomsky ; J.Lyons,London Peng Un,1970
- 23Foundation of Sociolinguistics; Dell, Hymes (1972), Ingram(eds.),New York Academic Press
- 24schools of linguistics, G. Sampson , 1980

مواقع على الشبكة:

- 25WWW.KEFEYA.org
- 26Sadrel@web.Com
- 27www .Kefea.com
- 28http://www.4Shared.org
- 29Http/ www.En .Wikipedia .org/wiki/Noam Chomsky.Com



منطلقات تأسيسية نحو لسانيات عربية
ابن جني من شجاعة العربية إلى التداولية
عائشة برارات

كلية الآداب واللغات جامعة غرداية _ الجزائر
ص ب : 455 طريق المطار غرداية 47000. الجزائر
aichabara.03@gmail.com

ملخص -

استندت التداولية إلى الاستعمال في تفسير الظواهر اللغوية ، تجلى ذلك في اهتمامها بعناصر السياق المختلفة (متكلمين ، ومستمعين، الزمان ، والمكان ...وغيره) ، هذا المبدأ كانت تطبيقاته واضحة في ما أنتجته العقلية العربية بمختلف اتجاهاتها في الدرس اللغوي ، على سبيل المثال ما نجده عند ابن جني في كتابه الخصائص ، فقد كان يعرض للتغيرات المختلفة التي تطرأ للبنية (تقديم وتأخير حذف...إلخ) وما يستتبعها من تأثير في كيفية فهم المعنى ، مما يؤكد أنّ نظرة النحاة للغة ليست نظرة شكلية بل نظرة تستهدف الوصول إلى المعنى بما يحقق وظيفة التواصل من جهة، كما تتأكد صلاحية هذا التراث العربي للمقاربة اللسانية من جهة ثانية.

الكلمات المفتاحية -

التداولية ، القصد ، المعنى ، السياق ، التواصل ، البنية ، الاستعمال.

Precursors Of Arabic Linguistics: Ibneldjini Of Chadjaat Elarabia. To Pragmatics

Summary

Pragmatics Is Based On The Usage In Interpreting The Language Phenomena, Which Has Revealed Its In Different Components And Items Contexts (Speakers, Audiences, Time , Place And Others) .

The Applications Of This Principle F Were Clear In Which The Arabic Mentality Has Brought In Various Trends In The Linguistic Source. For Example , What Has Been Found For Ibn Djenni In His Book "ELKHASSAISSE "Which Has Shown The Various Changes To The Structure (Omission , Anastrophe.... Etc) Which Led To The Impact On How To Understand the Meaning , Which Confirms That The Grammarians Conspectus To The Language Was Not Morphological Conspectus , Yet Was Targeted To Get The Meaning That Assure The Communication Function Instead , As Efficiency Of This Arabian Heritage Has Been Confirmed To The Linguistic Approach .

Keywords-

Pragmatics, Intention, Meaning, Context, Communication, Structure. Use

أولاً: إشكالية التأصيل:

ننطلق من التساؤل التالي: هل يمكن القول بوجود لسانيات عربية تضاهي اللسانيات الغربية؟ هل هناك قطيعة مع التراث العربي؟ ، أو السؤال الذي طرحه مازن الوعر عن طبيعة العلاقة بينهما: هل هناك صلة بين ما فعله العرب في مجال الدراسات اللغوية القديمة وبين هذا العلم الجديد المسمى بـ(اللسانيات)؟¹.

يقدم أحمد المتوكل إجابة مختصرة مفادها أنّ الفكر اللغوي العربي القديم "يشكل مرحلة من أهمّ مراحل الدرس اللساني الوظيفي ، وأنه لا يعقل

بالتالي ، أن يؤرخ لهذا النمط من المقاربات اللسانية دون ذكر لما ورد في إنتاج اللغويين العرب القدماء².

إنّ اللسانيات العربية حسب فاطمة بكوش إشكال ثقافي بين أنموذجين متنافرين محاولة نقل النظرية اللسانية الغربية وإعلان القطيعة ، لذلك اتجهت اللسانيات العربية إلى ما يمكن تسميته لسانيات توفيقية تتبنى أنموذجا وصفيا يمزج مقولات النظرية الغربية مع مقولات النحو العربي³.

يصف تمام حسان هذه التناقضات بقوله: "وتشبع المسالك أمام الشعب بعد أن تشاءب وتمطى ونفض عن نفسه غبار الموت، فوجد أمامه طريقا في الماضي يقوده إلى التراث العربي الخصب، و رأى أنه إن بعث هذا التراث وأحياه لكان دافعا لعزة جديدة لا تقل روعة عن التأريخ العربي نفسه ووجد أمامه طريقا في المستقبل معالمة ما في أيدي الأمم من علوم و معارف... ثم رأى أنه لو سلك الطريق الأول فحسب لانقطع به التاريخ عن الحياة، و لو سلك الثاني فحسب لانقطعت به الحياة عن التاريخ، ففضل أن يأخذ بنصيب من التراث العربي يوحي إليه بالاعتزاز ، ونصيب من الثقافة المعاصرة يمنحه العزة"⁴.

هكذا تطرح إشكالية التأصيل بين خطابين متباعدين زمنا ، ومكانا ، ومنطلقا ، ومنهجيا وغاية⁵ ، يقول عبد السلام المسدي عن إهمال الغرب للتراث العربي وتناسيه مما أدى إلى نتيجة قطع في تسلسل التفكير اللساني عبر الحضارات الإنسانية: "إن أهل الغرب لو انتبهوا إلى نظرية العرب في اللغويات العامة عند نقلهم لعلومهم فجر النهضة ؛ لكانت اللسانيات المعاصرة على غير ما هي عليه اليوم ، بل لعلها كانت تكون قد أدركت ما قد لا تدركه إلا بعد أمد"⁶.

هذا ما يؤكد عبد العزيز حمودة في معرض وصف منجزات العقل العربي والعقل الغربي في وقفاته المطولة ونماذجه العديدة ، فهو يقرر " أن كل معطيات علم اللغة كما طوره سوسير لم تكن فتحا جديدا ، وكان يجب ألا تكون كذلك بالنسبة للمُثقف العربي ، لو أنه في حماسه للتحديث و انبهاره بمنجزات العقل الغربي لم يتجاهل تراثه العربي ، و قد أثبتنا حتى

الآن أن القول إن اللغة نظام أو نسق علامات تربطها شبكة العلاقات من التتابعية و الاستبدالية؛ أمر عرّفه العربي و قتله بحثاً و جدلاً لما يقرب من خمسة قرون على الأقل ، و أننا فيما ناقشناه من نظرية اللغة العربية حتى الآن كنا نستطيع تطوير المفاهيم التراثية لو أردنا، مستخدمين مصطلحات عربية أصيلة⁷.

إنّ نظرة شمولية أو قطاعية لعلاقة التراث باللسانيات ، ومحاولة إيجاد لسانيات عربية ، جدلية مازالت قائمة .

ثانياً: إعادة قراءة التراث:

لعلّ أهمّ الأسئلة التي تطرح في هذا السياق : كيف نقرأ تراثنا؟ هل نستطيع أن نستخدم اللسانيات كأداة إجرائية في ذلك ؟

صحيح أنّ التراث اللغوي العربي هو وليد بيئة معرفية خاصة تختلف تماماً عن تلك البيئة التي ظهرت فيها اللسانيات ، غير أنّ سمة (التراكمية) التي تتصف بها المعرفة العلمية تسمح بإمكانية الجمع بين المتناقضين في كثير من الأحوال، ومن ثمّ تكون محاولة استثمار المناهج اللسانية للكشف عن التطبيقات المختلفة في التراث اللغوي العربي إنجازاً لا يخلو من المزالق التي ينبغي أن نتعامل معها وفق مبدأ الحيطة والحذر، انطلاقاً من مراعاة الخصوصية.

يقول عبد القادر الفاسي الفهري: " و هذه القراءات قراءة التراث على نوعين: قراءات تقف عند شرح المادة الموجودة في التراث و تنظيمها، و قراءات تحاول أن تنتقل مما هو موجود في هذا التراث بغية عصرنته والخروج به إلى الحاضر. القراءات من النوع الأول نفهمها على أنها مساهمة في التعريف بالتراث وإحيائه و تسهيل الاطلاع عليه، والقراءات من النوع الثاني نريدها مساهمة في تاريخ الفكر اللغوي القديم"⁸.

من هنا تتنزل قراءة التراث اللغوي العربي في ضوء اللسانيات منزلة ذات بعد حضاري تقوِّك على أساس استرداد هذا التراث لبريقه بحمله على المنظور الجديد في محاولة جادة لتأسيس الحاضر والمستقبل على أصول الماضي ، وتأسيس البحث اللساني المعاصر في الظاهرة اللغوية العربية⁹.

ثالثاً: المناهج اللسانية من البنية إلى الاستعمال:

من خلال الوقوف على هذه المناهج وملاحظة قصور بعضها كالبنوية ، والتوليدية التحويلية في استيعاب الظاهرة اللغوية من حيث ربطها بالاستعمال ؛ ذلك أنّ البنيوية " تُعنى بدراسة المنجز في صورته الآنية بغض النظر عن السياق الذي أُنتج فيه ، أو علاقته بالمرسل وقصده بإنتاجه ؛ ويتم ذلك بتحليل مستويات لغة بعينها مثل اللغة العربية بوصفها كيانا مستقلا ، ذات بنية كلية ، وإيجاد العلاقة بين هذه المستويات بدءا من تحليل الأصوات والصرف ، والتراكيب إلى تحليل مستوى الدلالة"¹⁰ .

فالنظرة البنيوية للغة هي نظرة تجريدية صورية عامة تعتبر "الكلام والفرد المتكلم والسياق غير اللغوي عناصر خارجية عن اللغة ، ومن ثمّ تقوم بإقصائها من مجال الدراسة"¹¹ .

أمّا التوليدية التحويلية فعلى الرغم من سعيها نحو التفسير وعدم اكتفائها بوصف الظواهر وذلك "بوضع نظرية تعصم اللغة من سكونها وتمنحها طابعها الإبداعي الخلاق"¹² ؛ فلا يُكتفى بالوصف المجرد والتصنيف النموذجي لوحداث اللغة وتحديدتها داخل نظامها بل مجاوزة ذلك إلى الاهتمام بكيفية حدوث اللغة منتقلة من الموجود بالقوة (اللغة) إلى الموجود بالفعل (الكلام) ؛ أي الكشف عن الحركية الداخلية للغة التي بإمكانها أن تُفسّر - ضمن عملية التبليغ اللغوي- سرّ الطاقة الإبداعية الخلاقة عند الفرد المتكلم الذي لم يعد لدى التوليديين مجرد مستقبل للغة يخزنها في ذاكرته بكيفية سلبية¹³ .

إنّ اعتبار اللغة مقدرة عقلية موجودة قبلا في ذهن الإنسان ، ومن ثمّ البحث عن "الكفاءة" التي يمتلكها "المتكلم السامع المثالي" دون الأداء الواقعي للمتكلم الحقيقي قد جعل منها دراسة شكلية تكتفي في دراسة اللغة بوصفها بنية مستقلة بذاتها دون الاهتمام باستخداماتها وبالمحدثين بها وبوظائفها¹⁴ ، وابتعدت بتجربتها من الكفاءة إلى نظرية الأداء عن آثار الاستخدام والسياق¹⁵ .

وظهرت التداولية كمنهج سياقي موضوعه بيان فاعلية اللغة متعلقة بالاستعمال من حيث الوقوف على الأغراض والمقاصد ، ومراعاة الأحوال ، وفقه

ملا بسات الوضع والإنتاج والفهم فالتداولية تنظر إلى اللغة باعتبارها نشاطا يمارس من قبل المتكلمين لإفادة السامعين معنى ما ضمن إطار سياقي ، ولا تكتفي بوصف البنى في أشكالها الظاهرة ، ومن ثمّ فهي نظرية " لا تفصل الإنتاج اللغوي عن شروطه الخارجية ولا تدرس اللغة الميتة المعزولة بوصفها نظاما من القواعد المجردة ، وإنما تدرس اللغة بوصفها كيانا مستعملا من قبل شخص معين في مقام معين موجّها إلى مخاطب معين لأداء غرض معين " ¹⁶.

لقد عُيّنت التداولية بالعناصر اللغوية والعناصر غير اللغوية التي يُنجز فيها الحدث الكلامي ، فلم تهمل الأشخاص المتكلمين ، ولم تقص الكلام ، فهذه العناصر من صميم بحثها ، وكذا لم تهمل السياق والظروف والملابسات ، والمقاصد، فالمبدأ العام الذي تقوم عليه هو "الاستناد إلى الواقع الاستعمالي من أجل تفسير الظواهر اللغوية" ، وبذلك "تعطي لغة حجمها الحقيقي وتسدّ فراغات المناهج السابقة" ¹⁷.

رابعا: ابن جني من شجاعة العربية إلى التداولية:

ليس هناك أدل على حكمة العرب المنسوبة إليها مما أسماء ابن جني شجاعة العربية ، وشجاعة العربية لا نجدها فقط في باب الحذف ، وإنما نجدها في أبواب كثيرة أخرى ، هي أقرب شيء إلى ما نظرت له التداولية في الاستعمال اللغوي.

أ. تلازم اللغة والأغراض:

كان تعريف ابن جني للغة كونها: " اللغة أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم " ¹⁸ ، تعريفا لسانيا جمع بين المستوى الصوتي (البنية) ، وبين تلك الوظيفة التي تؤديها اللغة في إطار التواصل (التعبير) ، فاللغة إذن وسيلة أداء الأغراض التي هي المعاني المختزنة في الصدور ، ومن أجل ذلك كانت العناية بالألفاظ دليلا على العناية بالمعاني ، فلها الشرف والمزية (المعاني) ، يقول ابن جني: « فالعرب كما تُعنى بألفاظها فتصلحها وتهذبها وتراعيها ، وتلاحظ أحكامها ... فإنّ المعاني أقوى عندها وأكرم عليها ، وأفخم قدرا في نفوسها ، فأول ذلك عنايتها بألفاظها ، فإنها لما كانت عنوان معانيها وطريقا إلى إظهار

أغراضها ومراميها ، أصلحوها ورتبوها ، وبالعوا في تحبيرها وتحسينها ؛ ليكون ذلك أوقع لها في السمع وأذهب بها في الدلالة على القصد»¹⁹.

فابن جني ينطلق من اعتبار المعاني والدلالات ، فما الألفاظ إلا خدم لها ومشروطة بها ، ولما كانت المعاني من الأمور الباطنة التي لا تتبدى للعيان إلا بأدلة وضعت الألفاظ من أجلها وللتعبير عنها كما قد يُعبر بالإشارة والإيماء... وغيره ، فالألفاظ هي الطريق إلى إظهار أغراض العرب من الكلام والدليل على المعاني التي تريد الإحاطة بها .

لقد أدرك ابن جني قيمة المعنى ، فهو يشكل الدعامة الأساسية التي يقوم عليها التواصل بين طرفي الخطاب من خلال ما يُتلفظ به لتبليغ الأغراض والمقاصد التي يتم الكشف عنها بجملة من القرائن اللفظية والحالية من جهة ، وهو غاية الدرس النحوي من جهة أخرى ؛ أي إن التحليل أو إعطاء الوظائف الإعرابية للكلمات والجمال يُنظر إليه من زاوية المعنى وبالاكتفاء عليه ، ولا يكون القول بالإعراب إلا بموجبه ، ويدلنا على إصرار ابن جني على أهمية المعنى وتتبعه في التركيب اللغوي تلك الأبواب التي خصصها لبيان تقدير الإعراب وتفسير المعنى ، وكيف يلزم مراعاة أحدهما على الآخر ، أو الترجيح بينهما²⁰.

يقول في "باب الفرق بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى": « هذا الموضوع كثيرا ما يستهوي من يضعف نظره إلى أن يقوده إلى إفساد الصنعة وذلك قولهم في تفسير قولنا: (أهلك والليل) معناه الحق أهلك قبل الليل ، فربما دعا ذاك من لا درية له إلى أن يقول: (أهلك والليل) فيجره ، وإنما تقديره: الحق أهلك وسابق الليل ، وكذلك قولنا: (زيد قام) ، ربما ظن بعضهم أن زيدا هنا هو فاعل في الصنعة ، كما أنه فاعل في المعنى ، وكذلك تفسير معنى قولنا: سرتي قيام هذا ، وعود ذاك ، بأنه سرتي أن قام هذا وأن قعد ذاك ، ربما اعتقد في هذا وذاك أنهما في موضع رفع لأنهما فاعلان في المعنى. ولا تستصغر هذا الموضوع ؛ فإن العرب أيضا قد مرت به وشمت روائحه ، وراعتة»²¹.

فابن جني يميز تمييزا واضحا بين ما تفرضه الصنعة من أحكام يجب التقيد بها ، وبين المعنى وما يترشح (ينتج) عنه من دلالة وتفسير لا يتفق مع ما تتطلبه حدود الصنعة ، فيختلفان بموجب ذلك ولتوضيح هذا يطرح جملة

من الأمثلة يبين فيها اختلاف تفسير المعنى عن تقدير الإعراب²² وهذا الأمر مما قد مرّت به العرب وشملت روائحه وراعتة كما صرح بذلك ابن جني بلفظه الدقيق ونظرته الواعية للعربية بين التفسير والتقدير ، بين المعنى والإعراب ، وبين التحفظ والاسترسال ، وبين الإفساد والإصلاح ، وبين التقبل والتصحيح ، وبين الاختلاف والاتفاق الذي لا غاية وراءه .

يقول: « ألا ترى إلى فرق ما بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى ؛ فإذا مرّ بك شيء من هذا عن أصحابنا فاحفظ نفسك منه ، ولا تسترسل إليه ، فإن أمكنك أن يكون تقدير الإعراب على سمت تفسير المعنى فهو ما لا غاية وراءه ، وإن كان تقدير الإعراب مخالفا لتفسير المعنى تقبّلت تفسير المعنى على ما هو عليه ، وصحّحت طريق تقدير الإعراب حتى لا يشدّ شيء منها عليك ، وإياك أن تسترسل فتفسد ما تؤثر إصلاحه ؛ ألا تراك تفسّر نحو قولهم: ضربت زيدا سوطاً ، أنّ معناه ضرب زيدا ضربة بسوط . وهو - لاشك - كذلك ، ولكن طريق إعرابه أنه على حذف المضاف أي ضربته ضربة سوط ثم حذف الضربة على عبرة حذف المضاف. ولو ذهبت تتأوّل ضربه سوطا على أنّ تقدير إعرابه: ضربة بسوط كما أنّ معناه كذلك للزمك أن تقدر أنك حذف الباء ، كما تحذف حرف الجر في نحو قوله: أمرتك الخير وأستغفر الله ذنبا ، فتحتاج إلى اعتذار من حذف حرف الجر وقد غنيت عن ذلك كله بقولك: إنه على حذف المضاف ؛ أي: ضربة سوط ، ومعناه ضربة بسوط فهذا - لعمري معناه - ، فأما طريق إعرابه وتقديره فحذف المضاف»²³.

يضع هذا النص بين أيدينا حقيقتين بارزتين نوردهما فيما يلي:

- أنّ الغاية المطلوبة أن يكون تقدير الإعراب مساوقا لتفسير المعنى ، وإذا اختلفا فالأجدر رعاية المعنى والبقاء عليه مع التزام تصحيح التقدير الذي تقرّه الصنعة (الإعراب) ، فالحفاظ على المعنى أولى وأكد عندهم من الحفاظ على اللفظ ، والترخّص في اللفظ بالتأويل والتقدير أسهل من نقض المعنى وإفساده.
- وبقدر ذلك يُحذّر من الانسياق وراء المعاني والدلالات حتى يؤدي ذاك إلى الإغراب والتعقيد - بموجب الاستناد إلى المعنى وسلامته -

أكثر مما تدعو إليه الصنعة ، فتفسد ما تؤثر إصلاحه (إصلاح اللفظ

بمراعاة المعنى) ، ونقع فيما لا يراد الوقوع فيه من ضروب التأويل والتكلف وغيره.

ويضرب لنا مثلاً وهو قوله: (ضربة سوط) ثم يدلّ على كيفية إعرابه وتقدير المحذوف فيه بالنظر إلى الجانبين: جانب المعنى ، وجانب الصنعة ، فطريق إعرابه بتقدير "حذف المضاف" أقلّ تكلفاً من حذف الباء ، واحتياجنا إلى اعتذار أو علة تجيز ذلك الحذف ، والأوّل (حذف المضاف) يغني عن الثاني على رغم كون المعنى على ما هو عليه (الثاني) ²⁴، ويؤكد ابن جني هذه الحقيقة في موضع آخر من كتابه يقول: «فكثيراً ما تجد في كلام العرب منظوماً أو منشوراً الإعراب والمعنى متجاذبين هذا يدعوك إلى أمر ، وذاك يمنعك منه ، فمتى اعتورا كلاماً ما أمسكت بعروة المعنى وارتحت لتصحيح الإعراب» ²⁵.

إنّ هذا الفهم الذي جاء به ابن جني في توجيه المعنى للإعراب من أولية تقبل تفسير الأوّل (المعنى) على حساب تقدير الثاني (الإعراب) ، وضرورة التمسك به وتصحيح غيره ، يستدعي صياغة أخرى وهي أنّ الإعراب يحصل تبعاً لما يريد المتكلم أن يوصله إلى السامع من معانٍ ، ومن ثمّ فإنّ الإعراب تابع للغرض والقصد ؛ أي إنه متعلق بإرادة المتكلم فهو الذي يركّب الألفاظ بما يحقق مؤدّى الكلام ومعناه فتارة يختار الذكر أو الحذف ، و أخرى التقديم أو التأخير ، وغيرها من الأساليب التعبيرية التي تتوافق والغرض الذي يؤمّه من وراء كلامه ويسعى إلى إفهامه السامع ²⁶.

وعلى ذلك أرجع ابن جني فكرة العمل وما يتصل بها إلى المتكلم بالدرجة الأولى « فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم ، إنما هو للمتكلم نفسه لا لشيء غيره وإنما قالوا لفظي ومعنوي لما ظهرت آثار فعل المتكلم بمضامة اللفظ للفظ ، أو باشتمال المعنى على اللفظ » ²⁷.

وقد يكون ذلك بسبب ملاحظة هذا الجانب المتمثل في الأغراض والمقاصد ، ولعلّ تأكيداً على لفظ " المتكلم " بمؤكّدين (نفسه) و(لا لشيء غيره) ، ثم تعليل نسبة العمل للفظ بظهور آثار فعل المتكلم ما يرجّح هذا المذهب ، لكن لا يعني هذا التصرف في اللغة كيفما جاء واتفق حسب رغبة المتكلم وذوقه ، وإنما

يستدعي ضوابط يحتكم إليها (السليقة) ، و يمكن تقبل هذا الرأي على أساس التذليل بأهمية الأغراض وبيان أثرها في توجيه الإعراب .

فها هو ابن جني يصرّح في معرض حديثه عن الإعراب: « ألا ترى أنك إذا سمعت (أكرم سعيد أباه) ، و(شكر سعيدا أبوه) علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول ، ولو كان الكلام شرحا واحدا لاستبهم أحدهما من صاحبه ، فإن قلت: فقد تقول: (ضرب يحيى بشرى) ، فلا تجد هناك إعرابا فاصلا وكذلك ونحوه ، قيل إذا اتفق ما هذه سبيله مما يخفى في اللفظ حاله ألزم الكلام من تقديم الفاعل وتأخير المفعول ما يقوم مقام بيان الإعراب ، فإن كانت هناك دلالة من قبل المعنى وقع التصرف فيه بالتقديم والتأخير، نحو: (أكل يحيى كمثرى) ، لك أن تُقدّم وأن تؤخر كيف شئت وكذلك: (ضربت هذا هذه) و(كلم هذا هذه) ، وكذلك إن وضع الغرض بالتثنية أو الجمع جاز لك التصرف نحو قولك: (أكرم اليحيان البشريين) ، و(ضرب البشريين اليحيون) ، وكذلك لو أومأت إلى رجل ، وفرس ، فقلت: (كلم هذا هذا فلم يجبه) لجعلت الفاعل والمفعول أيهما شئت لأنّ في الحال بيانا لما تعني ، وكذلك قولك: (ولدت هذه هذه) ، من حيث كانت حال الأم من البنت معروفة غير منكورة ، وكذلك إن ألحقت الكلام ضربا من الإتياع جاز ذلك التصرف لما تعقب من البيان نحو: (ضرب يحيى نفسه بشرى) ، أو (كلم بشرى العاقل معلى) ، و(كلم هذا وزيدا يحيى)»²⁸.

فابن جني يوضّح القرائن التي يمكن التوسّل بها لمعرفة المعنى الوظيفي إذا قصرت العلامة الإعرابية عن إيوائه ، وذلك من خلال الرتبة ، أو المطابقة في التذكير والتأنيث ، أو دلالة الحال... وغيره مما يقوم مقام الإعراب باعتبار المعنى.

لقد جعل ابن جني من المعاني الموجودة في نفس المتكلم ، والمعبر عنها بالألفاظ والعبارات أساسا يقوم عليه التحليل النحوي ، وأداة يفهم من خلالها ، ويبنى الحكم عليه بالصحة في مختلف الأساليب والأنماط التركيبية ، فاحتفاؤه بالقرائن اللفظية والمعنوية التي تنوب عن الحركة الإعرابية أو كما عبّر عنه بـ"ما يقوم مقام الإعراب" مما يدلّ على وعيه التام بأثر العناصر

اللغوية ولاسيما العناصر غير اللغوية في رسم طريق الإعراب وتوجيه الدلالة بمراعاتها .

ب. قاعدة الحذف من منظور تداولي :

يصف الجرجاني الحذف بأنه "باب دقيق المسلك لطيف المأخذ"²⁹ ، ثم يأتي بمجموعة من الأمثلة شارحا ومقدرا لهذا المحذوف؛ "فربّ حذف هو قلادة الجيد وقاعدة التجويد وكأنك تتوقاه توقّي الشيء تكره مكانه والثقل تخشى هجومه"³⁰ .

وكذلك نجد ابن جني يعرض للحذف في أبواب مختلفة ، "فقد حذفت العرب الجملة ، والمفرد والحرف ، والحركة ، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل ، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته"³¹ ، مؤكدا ارتباطه بالأغراض والمقاصد ، أي بالاستعمال ، فلم يكن يعنيه من الحذف قاعدة النحاة " لا حذف إلا بدليل سواء كان الدليل مقاليا أم حاليا أم عقليا" بقدر ما كان يعنيه بيان قيمته ووظيفته التعبيرية التي يؤديها في الكلام.

فنراه يستبجح حذف الموصوف إن أرادوا التنصيص على المعنى لأنّ حذفه يؤدي إلى احتمال أكثر من معنى ، وبذلك ينتفي الغرض المعقود عليه الكلام ، يقول: « ذلك أنّ الصفة في الكلام على ضربين إمّا للتلخيص والتخصيص ، وإمّا للمدح والثناء ، وكلاهما من مقامات الإسهاب والإطناب لا من مظان الإيجاز والاختصار ، وإذا كان كذلك لم يلق الحذف به ، ولا تخفيف اللفظ منه هذا مع ما يضاف إلى ذلك من الإلباس وضد البيان ، ألا ترى أنك إذا قلت: مررت بطويل ، لم يستبن من ظاهر هذا اللفظ أنّ الممرور به إنسان دون رمح ، أو ثوب ، أو نحو ذلك ، وإذا كان كذلك كان حذف الموصوف إنما هو متى قام الدليل عليه أو شهدت الحال به ، وكلما استبهم الموصوف كان حذفه غير لائق بالحديث»³² ، فابن جني في هذا النص يمنع حذف الموصوف إذا استبهم على السامع قصد المتكلم وغرضه مع انتفاء قيام الدليل أو شاهد الحال عليه ، زد عليه أن المقام مقام إطناب لا إيجاز أي مراعاة قاعدة الكم ومتطلبات المعنى والغرض .

بينما نجده يجيز الحذف ما دلت القرائن ، وذلك من خلال تناوله قول العرب: سير عليه ليل وهم يريدون: ليل طویل (حذف الصفة)، يقول ابن جني: «وكان هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دلّ من الحال على موضعها ، وذلك أنك تحسّ في كلام القائل لذلك من التطويح و التطريح والتضخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طویل أو نحو ذلك ، وأنت تحسّ هذا من نفسك إذا تأملتة ... فأما إن عُرّيت من الدلالة عليها من اللفظ أو الحال فإنّ حذفها لا يجوز ...»³³.

فالتطويح ، والتطريح ، والتضخيم ، والتعظيم هي حالات ومقامات تغني عن الذكر ، من منطلق العلاقة التفاعلية بين المتكلم والمستمع التي تفرض الاقتصاد اللغوي بناء على المعرفة المشتركة بينهما يعني ذلك أنّ جواز الحذف بمراعاة الحال المشاهدة بدل الإطالة التي تقسد المعنى .

ويصوغ ابن جني قاعدة عامة تجيز حذف "الصفة" أو "الموصوف" (قيام الصفة مقام الموصوف) ، وذلك من خلال قوله: «واعلم من بعد أنّ الصفات لا تتساوى أحوالها في قيامها مقام موصوفاتها ، بل بعضها في ذلك أحسن من بعض ، فمتى دلت الصفة على موصوفها حسنت إقامتها مقامه ، ومتى لم تدل على موصوفها قبحت إقامتها مقامه ، فمن ذلك قولك : مررت بظريف ، فهذا أحسن من قولك : مررت بطویل ، وذلك أنّ الظريف لا يكون إلّا إنسانا مذكرا ورجلا أيضا ، وذلك أنّ الظرف هو حسن العبارة وأنه أمر يخص اللسان ، فظريف إذا مما يختص الرجال دون الصبيان لأنّ الصبي لا تصحّ له غالبا صفة الظرف ، وليس كذلك قولنا: مررت بطویل ؛ لأنّ الطویل قد يجوز أن يكون رجلا وأن يكون رمحا ، وأن يكون حبلا وجذعا ، ونحو ذلك ، فهذا هو الذي يقبح والأوّل هو الذي يحسن ، فإن قام دليل من وجه آخر على إرادة الموصوف ساغ وضع صفته موضعه فاعرف ذلك»³⁴، هكذا يستحسن ابن جني الكلام أو يقبحه سواء بحذف أو ذكر بعض عناصر الجملة بالالتكاء على قرينة كبرى تتمثل في (غرض المتكلم وقصده) ، أو كما أسماه بـ"قيام الدليل" الذي يؤدي إلى تعيين المعنى المراد .

وتجدر الإشارة إلى أنّ ابن جني كغيره من اللغويين دائما ما يثير قضية توفر الدليل الذي يعين على الفهم الصحيح للمعنى ، وبالتالي إعطاء الحكم

النحوي الصحيح ، مما جعله يقرر بأن المحذوف إذا دلت الدلالة عليه كان في حكم المفوظ به ، يقول: «...فإن قلت: فإذا كان المحذوف للدلالة عليه عندك بمنزلة الظاهر فهل تجيز تأكيد الهاء المحذوفة في نحو قولك: الذي ضربت زيد ، فتقول: الذي ضربت نفسه زيد ، كما تقول: الذي ضربت نفسه زيد ؟ ، قيل: هذا عندنا ، غير جائز ، وليس لأن المحذوف هنا ليس بمنزلة المثبت بل لأمر آخر ، وهو أن الحذف هنا إنما الغرض به التخفيف لطول الاسم ، فلو ذهبت تؤكد لنقض الغرض ، وذلك أن التوكيد والإسهاب ضد التخفيف والإيجاز ، فلما كان الأمر كذلك تدافع الحكمان فلم يجز أن يجتمعا»³⁵.

وليبيين ذلك يطرح المثال الآتي من خلال قوله: «وكذلك قولهم لمن سدّ سهما ثم أرسله نحو الغرض فسمعت صوتا فقلت: القرطاس... لا يجوز تأكيد الفعل الذي نصب (القرطاس) . لو قلت: إصابة القرطاس ، فجعلت (إصابة) مصدر الفعل الناصب للقرطاس لم يجز ؛ من قبل أن الفعل هنا قد حذفته العرب وجعلت الحال المشاهدة دالة عليه ونائبة عنه ، فلو أكدته لنقض الغرض ، لأن في توكيده تثبيتا للفظه المختزل ورجوعا عن المعتزم من حذفه واطرحاه والاكتفاء بغيره منه»³⁶.

هكذا يوفر لنا ابن جني حلاً نهائياً لمعضلة "تدافع الحكمان"، وذلك من خلال النظر في الأغراض والرجوع إليها في كل مرة ، فغرض التأكيد يتطلب الإسهاب ، والتخفيف يتطلب الإيجاز... وغيره.

يؤكد هذا التوجه الذي يعطي الأولوية لفهم الأغراض والمقاصد أن ابن جني لم يستحسن حذف "المفعول المطلق" (المصدر) ، لأن الغرض منه ، إنما هو تأكيد الفعل وحذف المؤكد لا يجوز³⁷ ، يقول ابن جني: «وإنما كلامنا على حذف ما يحذف وهو مراد ، فأما حذفه إذا لم يرد فسائق لا سؤال فيه وذلك كقولنا: انطلق زيد ، ألا ترى هذا كلاما تاماً ، وإن لم تذكر معه شيئاً من الفضلات مصدرا ، ولا ظرفا ، ولا حالا ، ولا مفعولا له ، ولا مفعولا معه ، ولا غيره ، وذلك أنك لم ترد الزيادة في الفائدة بأكثر من الإخبار عنه بانطلاقه دون غيره»³⁸.

و "الحال" أيضا من بين المكملات التي لا يجوز حذفها لئلا يؤدي ذلك إلى إفساد غرض المتكلم الذي يريد إيصاله إلى السامع ، يقول: « وحذف الحال لا يحسن ، وذلك أنّ الغرض فيها إنما هو تأكيد الخبر بها ، وما طريقه طريق التوكيد غير لائق به الحذف ، لأنه ضدّ الغرض ونقيضه... فأما ما أجزأه من حذف الحال في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة 185] ؛ أي فمن شاهده صحيحا بالغا ، فطريقه أنه لما دلت الدلالة عليه من الإجماع والسنة جاز حذفه تخفيفا ، وأما لو عريت الحال من هذه القرينة وتجرد الأمر دونها لما جاز حذف الحال على وجه»³⁹ .

فلما كان غرض المتكلم من الإتيان بالحال هو تأكيد الخبر لم يجز له الحذف وتجريد الكلام منه لأنّ ذلك الحذف يبطل الغرض الذي سعى إلى إنجازه⁴⁰ .

ومما لا يجوز حذفه أيضا " التمييز " ، يقول: « وذلك قولك: عندي عشرون ، واشتريت ثلاثين وملكت خمسة وأربعين ، فإن لم يُعلم المراد لزم التمييز إذا قصد المتكلم الإبانة ، فإن لم يرد ذلك وأراد الإلغاز وحذف جانب البيان لم يوجب على نفسه ذكر التمييز ، وهذا إنما يصلحه ويفسده غرض المتكلم وعليه مدار الكلام فاعرفه»⁴¹ ، فأصل التمييز أن يُذكر لرفع الإبهام وإزالته سواء عن المفرد أم الجملة ، وما كانت هذه حاله فلا ينبغي حذفه لئلا يذهب بالغرض المعقود عليه الكلام وإنما يجوز الحذف إذا عُلِمَ قصد المتكلم من وراء ذلك ، فوجوب الذكر إذن متعلّق بإرادة المتكلم الإبانة والإفصاح ، بينما إذا كان مراده الإلغاز والتعمية على المخاطب لم يوجب على نفسه الإتيان به في الكلام ، ومن ثمّ يكون الحكم عليه (الكلام) من ناحية الفساد أو الصحة مشروط بـ "غرض المتكلم"⁴² .

فهذه النصوص تؤكد تأكيداً مطلقاً ضرورة مراعاة " الغرض " أثناء التحليل النحوي للتركيب فالنحو وسيلة للوصول إلى المعنى ، ولا يمكن الوصول إلى المعنى إلا عن طريق معرفة الأغراض والمقاصد فلا يتعارض الحكمان بسبب ذلك ، مما دعاه إلى أن يقرّر بأنّ "كلّ ما حذف تخفيفاً فلا يجوز توكيده لتدافع حاله به من حيث التوكيد للإسهاب

والإطناب ، والحذف للاختصار والإيجاز فاعرف ذلك مذهبا للعرب⁴³ ، ومن مذاهب العرب عدم إفساد أغراضها وعدم نقض المعاني التي تريد نقلها حين الأداء بحذف أو ذكر بعض العناصر التي تتألف منها الجملة .

فابن جني يؤكد تأكيداً واضحاً لا مجال للشك فيه أنّ الحذف وتقدير المحذوف مرهونان بما يقتضيه المعنى ، فالمحذوف إذا دلت الدلالة عليه كان في حكم الملفوظ به ، كلّ ذلك بالامتثال إلى إحدى القرائن الكبرى "القصْد" الذي يرتبط بالسياق ، وبالتالي تحقيق وظيفة اللغة المتمثلة في تحقيق أمن اللبس والإبانة.

خاتمة:

لقد وظّف ابن جني ظاهرة الحذف توظيفاً دقيقاً يدلّ على أنّ النحو ليس قالباً شكلياً فقط بل هو يراعي معطيات المعنى ، وهو بذلك يشبه إلى حدّ ما ما جاءت به التوليديّة التحويلية في قواعد التحويل في البنية العميقة والسطحية ، غير أنّ النحاة العرب وابن جني على الخصوص ، تجاوزوا ذلك البحث التفسيري إلى ربطه بالاستعمال ، وما ينطوي تحث ذاك الاستعمال من قصديّة متنوعة ، ومن ثمّ جواز الحذف أو عدم جوازه.

كما يجب التنبيه إلى أن من عوارض الجملة التي التفت ابن جني إليها أيضاً ظاهرة التقديم والتأخير إذ ربط الغرض العام منها بالعناية والاهتمام كما ذكر سيبويه قبله ، يقول: «كأنهم إنما يقدّمون الذي بيانه أهمّ لهم وهم ببيانه أعنى ، وإن كانوا جميعاً يهتمّونهم ويعنيانهم»⁴⁴؛ فتقدّم الفاعل على الفعل أو المفعول على الفاعل ، أو المفعول على الفعل والفاعل في الجملة الفعلية ، وتقدّم الخبر على المبتدأ في الجملة الاسمية لا يتأتّى دون غرض أو قصد ينويه المتكلم من خلال ذلك يعقد عليه الخطاب (الكلام) ، ومن ذلك حديثه عن تقديم المفعول به حتى يصبح من قوة العناية والاهتمام عمدة في الكلام ... وغيره مما يمكن الرجوع إليه في مظانه.

وهكذا لا يدرس ابن جني باباً من أبواب النحو إلا وربطه بالاستعمال والغرض ، والمعنى فشجاعة العربية ، والتداولية كلاهما دراسة اللغة من خلال

الاستعمال ، ومنه يمكن أن تكون جهود ابن جني منطلقات تأسيسية لبناء نظرية لسانية عربية قائمة بأصولها المنهجية ومرجعيتها الاستمولوجية.

- ¹ مازن الوعر ، صلة التراث اللغوي العربي باللسانيات ، مجلة التراث العرب ، دمشق ، سوريا ، العدد 48 ، 1992 ، ص 86.
- ² أحمد المتوكل ، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري ، منشورات عكاظ ، الرباط ، المغرب ، ط (1988) ، ص 41.
- ³ ينظر: فاطمة بكوش ، نشأة الدرس اللساني العربي ، ايتراك للنشر والتوزيع ، مصر ، ط 1 ينظر: (2004) ، ص 14/15.
- ⁴ تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط (1986) ، ص ج/د (التقديم).
- ⁵ حافظ اسماعيلي العلوي ، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط (2009) ، ص 123.
- ⁶ عبد السلام المسدي ، التفكير اللساني في الحضارة العربية ، الدار العربية للكتاب ، ط 2 (1986) ، ص 23.
- ⁷ عبد العزيز حمودة ، المرايا المقعرة ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، (1878) ، ص 257.
- ⁸ عبد القادر الفاسي الفهري ، اللسانيات واللغة العربية ، منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان ، ط 1 (1986) ، ص 59/60.
- ⁹ حافظ اسماعيلي علوي ، نفسه ، ص 131.
- ¹⁰ عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقارنة تداولية ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، ص 7.
- ¹¹ مسعود صحراوي ، المنحى الوظيفي في التراث اللغوي العربي ، مجلة الدراسات اللغوية ، الرياض ، مج 5 ، ع 1 (2003) ، ص 12.
- ¹² عبد الهادي ظافر الشهري ، نفسه ، ص 8.
- ¹³ الطيب دبة ، مبادئ اللسانيات البنيوية ، دار القصب ، الجزائر ، ط 1 (2001) ، ص 31.

- ¹⁴ محمود سليمان ياقوت ، منهج البحث اللغوي ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، ط1 (2003)، ص183.
- ¹⁵ صلاح الدين صالح حسنين ، الدلالة والنحو، توزيع مكتبة الآداب ، دون د ، ط1 ، ص189 (بتصرف).
- ¹⁶ مسعود صحراوي ، نفسه ، ص11.
- ¹⁷ الطيب دبة ، نفسه ، ص 31 .
- ¹⁸ ابن جني ، الخصائص ، تح محمد على النجار ، عالم الكتب للطبع والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 (2006) ، ج1 ، ص67.
- ¹⁹ المصدر نفسه ، ج1 ، ص186.
- ²⁰ عائشة برارات ، أغراض المتكلم ودورها في التحليل النحوي في شرح كافية ابن الحاجب لرضي الدين الأستراباذي ، رسالة ماجستير ، جامعة ورقلة ، (2009) ، ص 66.
- ²¹ ابن جني ، نفسه ، ج1 ، ص229.
- ²² عائشة برارات ، نفسه ، ص 67.
- ²³ المصدر السابق ، ج1 ، ص232.
- ²⁴ عائشة برارات ، نفسه ، ص 67.
- ²⁵ المصدر السابق ، ج3 ، ص805.
- ²⁶ عائشة برارات ، نفسه ، ص 68.
- ²⁷ المصدر نفسه ، ج1 ، ص117.
- ²⁸ المصدر نفسه ج1 ، ص 68 / 69.
- ²⁹ عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، اعتنى به علي محمد زينو ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، بيروت ، لبنان ، ط(2005) ، ص 120.
- ³⁰ المصدر نفسه ، ص 123/124 ..
- ³¹ ابن جني ، نفسه ، ج2 ، ص544.
- ³² المصدر نفسه ، ج2 ، ص 548 .
- ³³ المصدر نفسه ، ج2 ، ص551.
- ³⁴ ابن جني ، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، تح محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط (1998) ، ج2 ، ص145.
- ³⁵ المصدر نفسه ، ج1 ، ص234.
- ³⁶ المصدر نفسه ، ج1 ، ص 234 / 235.
- ³⁷ كريم حسين ناصح الخالدي ، نظرية المعنى في الدراسات النحوية ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 (2006) ص 341.

³⁸ ابن جني ، الخصائص ، ج 2 ، ص 556.

³⁹ المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 556.

⁴⁰ عائشة برارات ، نفسه ، ص 70.

⁴¹ المصدر السابق ، ج 2 ، ن ص .

⁴² عائشة برارات ، نفسه ، ص 70.

⁴³ المصدر السابق ، ج 1 ، ص 235.

⁴⁴ سيبويه ، الكتاب ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، ج 1 ، ص 34.

المصادر والمراجع:

(1) عائشة برارات ، أغراض المتكلم ودورها في التحليل النحوي في شرح كافية ابن الحاجب للرضي الدين الأسترباذي، رسالة ماجستير. جامعة ورقلة ، (2009).

(2) فاطمة بكوش ، نشأة الدرس اللساني العربي ، ايتراك للنشر والتوزيع ، مصر ، ط 1 (2004).

(3) عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، اعتنى به علي محمد زينو ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، بيروت ، لبنان ط (2005) .

(4) ابن جني ، الخصائص ، تح محمد على النجار ، عالم الكتب للطبع والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ط 1 (2006).

(5) _____ المحتسب ، تح محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط (1998).

(6) تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط (1986).

(7) صلاح الدين صالح حسنين ، الدلالة والنحو، توزيع مكتبة الآداب ، دون د ، ط 1.

(8) عبد العزيز حمودة ، المرايا المقعرة ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، (1878).

(9) كريم حسين ناصح الخالدي - نظرية المعنى في الدراسات النحوية ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ط 1 (2006).

(10) الطيب دبة ، مبادئ اللسانيات البنيوية ، دار القصة ، الجزائر ، ط 1 (2001).

(11) سيبويه ، الكتاب ، تح عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط 1.

(12) عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط 1

(13) مسعود صحراوي ، المنحى الوظيفي، مجلة الدراسات اللغوية ، الرياض ، مج 5 ، ع 1 (2003).

(14) حافظ اسماعيلي العلوي ، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط (2009).

- 15) عبد القادر الفاسي الزهري ، اللسانيات واللغة العربية ، منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان ط1(1986).
- 16) أحمد المتوكل ، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري ، منشورات عكاظ ، الرباط ، المغرب ، ط(1988).
- 17) عبد السلام المسدي ، التفكير اللساني في الحضارة العربية ، الدار العربية للكتاب ، ط2(1986).
- 18) مازن الوعر ، صلة التراث اللغوي العربي باللسانيات ، مجلة التراث العرب ، دمشق ، سوريا ، العدد 48 ، (1992).
- 19) محمود سليمان ياقوت ، منهج البحث اللغوي ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، ط1(2003).



الزواج بين إرشادات المثل الشعبي الجزائري ونضات العولة

فعرور عبد الله، قاسي محمد عبد الرحمان

1- قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات

جامعة أحمد دراية - أدرار -

2- قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات

أحمد دراية - أدرار -

farour@gmail.com

الملخص -

يُعتبر الزواج من أهم العمليات التي عُرِفَتْ في كل البيئات من دون استثناء، وعلى مَرَّ العصور من دون توقف، وعند كل المخلوقات من دون تمييز. وهي بلا شك عملية حيوية لتحقيق الوجود، واستمرار الحياة، وتفاذي الانقراض العام. و الزواج يكاد يكون احد مرادفات البهجة والسُرور- بل هو كذلك- لأن كافة شعوب العالم و أممه، توليه فائق العناية والتقدير، و تحيطه بهالة من الطقوس و الشعائر. كلُّ حسب عاداته وتقاليده ومعتقداته.

أوردنا هذه الحقائق- الثابتة- لنتساءل على ضوءها؛ هل بقي- أم سيبقى- شيء من هذه البهجة والسُرور، وهذه العناية والتقدير، وهذه الشعائر و الطقوس، على أصالتها الأولى، في ظل طوفان العولة الجارف ؟ أم أنها سائرة إلى الزوال لا محالة، وإذا كان الأمر كذلك فما هي الأسباب؟ وهل هناك إمكانية ما لتفاذي هذا الانجراف المدمر للعادات والتقاليد والخصوصيات ؟

الكلمات المفتاح -

الزواج - الأسرة - المثل الشعبي - العولة - النفس

Marriage Between The Guidance Of The Algerian Folk Proverbs And Globalization Spits

The Abstract-

Marriage Is One Of The Most Important Acts That Have Been Known In All Environments Without Any Exception, Continuously Along All Times And Among All Creatures Without Any Distinction. Undoubtedly, Marriage Is A Vital Act For The Maintenance Of Existence, The Continuity Of Life And Avoiding Total Extinction. It Is Almost One Of The Equivalents Of Delightness And Happiness; It Is So – As All Peoples And Nations Of The World Highly Care About It Through Holy Rites And Rituals,, According To Everyone's Customs, Traditions And Beliefs.

We Have Supplied These –Constant- Facts In Order To Wonder On The Light Of Which If Anything Of This Delightness, , Care, Saintliness, These Rites And Rituals Keep – Or Will Keep- Their Authenticity, Regarding The Deluge Of Globalization, Or They Are On Their Way To Unavoidable Disappearance. If It Is So, What Are The Causes? Is There A Possibility To Avoid This Deluge That Devastates Traditions, Customs And Specificities. ?

Key Words-

Marriage – Family – Folk Proverb – Globalization – Spit.

مقدمة -

لا شك أن الاجتياح الجارف للعوالم على دول العالم، شرقا و غربا، شمالا و جنوبا، وفي شتى المجالات، يُعدُّ من المؤشرات المعبرة على قوة تأثير هذا الجارف، و آثاره الحتمية على مختلف الجوانب الحياتية للشعوب، خاصة شعوب ما يسمى بالعالم الثالث أو النامي؛ فهذا الجزء من العالم يفتقد لعناصر القوة المادية و المعنوية، التي تؤهله للحفاظ على مقومات سيادته وخصوصيات كيانه؛ من عادات و تقاليد و أعراف و لغة و تاريخ ...و التي بها يتميّز عن الكيانات الأخرى. و من بين هذه العادات والأعراف و التقاليد، التي طالتها نفثات العوالم؛ نجدها متجلية في خطورة التبعات التي تركتها على عادات الزواج في بلادنا

الجزائر. و نقصد بذلك المحطات الكبرى؛ كاختيار الزوجة و الخطبة و حفل الزفاف أو العرس و تقاليده ؛ فهي محطات كانت تحوز على نسبة عالية من الاستقرار و الرتبة يصعب تعديلها ، رغم شساعة الرقعة الجغرافية للجزائر و تباين العادات و التقاليد فيها. و قد سعت هذه الدراسة إلى محاولة تجلية مدى تأثير العولمة بنفثاتها على تعديل أو تغيير هذه المحطات في تقاليد الزواج الجزائري.

مشكلة الدراسة:

إن الغنى و التنوع الثقافي المذهل، التي يتمتع به هذا البلد الطيب، بقدر ما جعلها متميزة في الكثير من العادات و التقاليد، فهي تحمل أيضا قدرا لا بأس به من التشابه، فضلا عن أنها تتطابق في معظمها في كثير من الأماكن، من ربوع هذا الوطن الواسع الشاسع. و منها على سبيل التمثيل لا الحصر، عادات و تقاليد الزواج في محطاته المفصلية. هذه المحطات، و إلى عهد قريب كانت لا تزال كما عهدناها قبل تسعينيات القرن الماضي (20م)؛ أي قبل حلول طيف العولمة بنفثاتها على بلدنا؛ بفعل التطور الهائل لتكنولوجيا الإعلام والاتصالات. و قد لعب المثل الشعبي الجزائري دورا بارزا، في تحقيق هذا التناغم الرائع، و في تجسيد فرحة و بهجة هذا الحدث (الزواج) عبر محطاته المختلفة .

إن التوجيهات التي تضمنها المثل الشعبي الجزائري، تُعتبر إحدى العناصر المهمة في تدعيم ركائز بناء المجتمع، التي تُعتبر الأسرة أهم لبنة فيه؛ - بل هي أساسه و نواته الصلبة - حيث يتطلب بناؤها وجود رجل و امرأة يرتبطان فيما بينهما برباط ما، وفقا للعادات و التقاليد السائدة؛ فيُشار إليه بلفظ - عقد القران- أو - الزواج - و هو الخطوة الأولى المؤدية إلى تكوين هذه النواة الأساسية؛ التي بفضلها تنمو المجتمعات و تتضخم لتصبح شعوبا وأما ، على درجة عالية من التداخل والتعقيد، وبفضلها أيضا يستمر النسل البشري ليتخطى حتمية الانقراض. ومن ثم تبوء هذا الزواج مكانة مهمة في كل الأعراف، و الديانات السماوية، على انه سُنّة من سُنن الله السارية في هذا الكون، من دون تحويل و لا تغيير.

هذا الأمر الفارق في حياة الفرد هو نقطة تحول هامة، بل وحاسمة في الوقت نفسه في مسيرة حياته؛ عندما تتحول من الفردية إلى إشراك الآخر، في التعاون على مصاعب الحياة، كلٌ حسب طبيعته وقدراته؛ إذ تنقلب هذه الحياة من الفردية (العزوبة) إلى الحياة المشتركة (الزوجية)؛ و بالتالي مسؤولية مشتركة مع الزوجة بدايةً، قبل توسُّعها تالياً إلى الأبناء، و لاحقاً إلى المجتمع. هذا الأخير الذي أصبح مرتعاً كبيراً، ومصباً سهلاً لنفثات العوالة، و التي من ضمنها المنتجات ذات المضمون الأسري الكثيف؛ الذي يتمحور جزء كبير منه عن الأسرة و بنائها. يُبث عبر الوسائط الجديدة من فضائيات و انترنت و غيرهما، ضمن المئات من القصص الدرامية، و الحلقات المسلسلة؛ عن الحب و الزواج و كل من مشتقاتهما و ملحقاتهما.

لقد أوّلت التشريعات الوضعية أيضا الزواج؛ القدر الكبير من الاهتمام و الرعاية؛ فكان له الشأن العظيم، في حياة كل من الأفراد و المجتمعات، و الشعوب و الأمم، كممثل لأحد أهم الأنظمة الاجتماعية التي يقرها المجتمع ضمن حدود و ضوابط، في إطار القيم التوجيهية السائدة بين الناس. و لهذا تسعى هذه الدراسة إلى بحث الإشكالية التالية.

هل أثار هذا المضمون الأسري الذي حملته إنتاج العوالة في الوسائل التكنولوجية الحديثة على العادات و القيم التي سعى و يسعى المثل الشعبي الجزائري إلى ترسيخها، في جانب محطات الزواج، و بناء الأسرة في المجتمع الجزائري ؟

إن طبيعة الموضوع المثار في الإشكالية يقتضي بلورته ضمن محاور ثلاثة هي:

المحور الأول: معالجة مفاهيم : الزواج ، الأسرة ، المثل الشعبي ، العوالة ، النَّفْث .

المحور الثاني: الزواج في المثل الشعبي الجزائري.

المحور الثالث: مظاهر تأثير العوالة على محطات الزواج في المجتمع الجزائري.

أولاً - تحديد المفاهيم:

1- مفهوم الزواج: أ- لغة: الاقتران، فهو اقتران احد الشيئين بالآخر وارتباطهما بعد أن كان كل واحد منهما منفصلا عن الآخر، ومنه قوله تعالى: "و زوجناهم بحور عين: ومعناها قرناهم بهن، و الزواج اقتران، الزوج بالزوجة أو الذكر بالأنثى" (1)

ب- اصطلاحاً: الزواج حسب المشرع الجزائري هو: " عقد يتم بين رجل وامرأة على الوجه الشرعي، من أهدافه تكوين أسرة أساسها المودة و الرحمة و التعاون و إحصان الزوجين والمحافظة على الأنساب." (2) وفي هذا توضيح للصيغة التي تتم وفقها الرابطة الزوجية. و يحدد الزواج في تعريف آخر بأنه: " رابطة مقدسة أو شرعية تجمع بين الرجل و المرأة و التي يترتب عنها وظيفة الإنجاب و يتوقف عليها بقاء النوع البشري، و نستطيع أن نقول أن تتبع النسب القرابي يكون عبر الروابط الزوجية المختلفة التي تؤدي إلى إنجاب السلف للخلف الذي يصبح عبر الزمن الأسرة و العشيرة و القبيلة و المجتمع" (3) فهذا التعريف يشير إلى تشكيل المجتمع بفعل عملية الاقتران، بين الرجل و المرأة المؤدية إلى إنجاب خلفا للسلف، ضمانا للاستمرار و التواصل. و في تعريف نستشف منه شرعية التعدد و الطلاق التي اقرهما الإسلام، من دون غيره من بعض الديانات، بالتأكيد على أن الزواج: " وحدة جنسية دائمة نسبيا بين فردين أو أكثر على أن تكون هذه الوحدة مقبولة من الناحية الاجتماعية، ومنهم من يعرفه بأنه النمط الاجتماعي الذي على أساسه يتم الاتفاق بين شخصين أو أكثر على تكوين

(1) ابن منظور- لسان العرب - دار صادر - بيروت - لبنان - ط3 - 1994م - ج 2 - ص 29 - مادة (زوج)

(2) قانون الأسرة الجزائري - المادة 4 (معدلة) - ص 1 - مرسوم (11/84)

(3) عامر مصباح - علم الأنثروبولوجيا - دار الكتاب الحديث - القاهرة - مصر - د ط - 2010م - ص 219 .

أسرة⁽¹⁾ فالدوام النسبي بين فردين أو أكثر؛ معناه إمكانية الانفصال (أي الطلاق) بعد مدة غير محددة من عقد هذا القران، الذي يكون بين رجل و لا أكثر من أربع نسوة في زمن واحد، كما هو محدد في الشريعة الإسلامية .

و في تعريف أكثر تفصيلا يُعرف الزواج على انه : " علاقة جنسية تقع بين شخصين مختلفين في الجنس (رجل وامرأة) يشرعها و يبرر وجودها المجتمع، و تستمر لفترة طويلة من الزمن يستطيع خلالها الشخصان المتزوجان البالغان إنجاب الأطفال و تربيتهم تربية اجتماعية و أخلاقية و دينية يقرها المجتمع و يعترف بوجودها و أهميتها " ⁽²⁾ إن المثير حقا للاستغراب في هذا التعريف هو التأكيد على حدوث العلاقة الجنسية بين شخصين مختلفين في الجنس (رجل و امرأة) و كأن الأمر خرج عن هذا (التقليد) أو هو خارج إلى أمر آخر غير هذا الذي عرفناه و نعرفه في أصلنا و ثقافتنا !!

إن الزواج في البلدان الإسلامية كما حددها الشرع، زيادة على عفاف النفس و التعارف؛ هو بناء قرابات أوسع عن طريق المصاهرة، بهدف خلق روابط عائلية جديدة، تزيد من تماسك و تآلف أفراد المجتمع و تلاحمهم، الذي يؤدي قطعاً إلى الازدهار و الرفاهية، و هذا لا يتحقق إلا بالقدر الذي نوليه للأسرة من الرعاية و الاهتمام؛ عن طريق التعاضد و التعاون و التأزر على مصاعب هذه الحياة.

نقصد بالزواج في هذه الدراسة: هو علاقة تقام بين رجل و امرأة، لا مانع شرعي بينهما، بغرض الإنجاب، و بمباركة الأهل أولاً، ثم المجتمع عن طريق إقامة احتفالية خاصة هي العرس، يتجسد فيها البعد الديني و الاجتماعي له، وفق النمط الثقافي السائد،

(1) - عصام محمد منصور- المدخل إلى علم الاجتماع - دار الخليج - الأردن - د

ط - 2010م - ص 95

(2) - عامر مصباح - علم الأنثروبولوجيا - دار الكتاب الحديث - القاهرة - مصر - د

ط - 2010م - ص 182 .

2- مفهوم الأسرة: أ- لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور: " أسرة الرجل، عشيرته و رهطه الأدنون ، لأنه يتقوى بهم ، و الأسرة عشيرة الرجل و أهل بيته ".⁽¹⁾ و عند الرجوع إلى أصل كلمة أسرة في مادة (أ.س.ر)؛ نجد أنها تحمل معاني: الشد، و الوثاق، و القوة. و في القاموس المحيط: " الأسر: الشد و العصب، و شدة الخلق و الخلق".⁽²⁾ كما في قوله تعالى: " نحن خلقناهم و شددنا أسرهم " سورة الإنسان - الآية 28

ب- اصطلاحاً: لقد تعددت مفاهيم الأسرة بتعدد الاعتبارات التي يستند إليها كل تعريف. فابن منظور يرى أن: " الأسرة عشيرة الرجل، و أهل بيته ؛ لأنه يتقوى بهم " هذا التعريف حدد اصغر حجم يمكن أن تكون عليه الأسرة من حيث عدد الأفراد. كما أن الأسرة هي: " جماعة اجتماعية أساسية ودائمة، و نظام اجتماعي رئيس، و هي ليست أساس وجود المجتمع فحسب، بل هي مصدر الأخلاق و الدعامة الأولى لضبط السلوك، و الإطار الذي يتلقى منه الإنسان أول دروس الحياة الاجتماعية"⁽³⁾ نستشف من خلال هذا التعريف أن الأسرة بوظيفتها اكبر من أن تكون رابطة زواج أو دم أو قرابة ؛ فهي مدرسة الحياة الأولى؛ و أول من يتولى إعداد المولود الجديد، بتلقينه لغة المجتمع و مبادئه الدينية ، و ما يتصل بتاريخه و أمجاده، و تراثه الثقافي؛ أي ما يحمله المجتمع من صفات اجتماعية و أخلاقية.

ندرك من هنا أن التنشئة الاجتماعية من أهم الخدمات التي تقدمها الأسرة للمجتمع، بصفاتها النواة الأساسية فيه، التي يترتب عنها تزويد المجتمع بأفراد، حاملين لقيمه و مبادئه و أهدافه، و يستعملون لغته و يدينون بدينه. ننتخب كتعريف محدد لمفهوم الأسرة؛ قول (سناء الخولي) بأنها: " جماعة اجتماعية أساسية ودائمة، و نظام اجتماعي رئيس، و هي ليست أساس وجود

(1) - ابن منظور - لسان العرب - دار صادر - ج 2 - ص 141.

(2) - الفيروز آبادي - القاموس المحيط - 1991م - ص 107

(3) - سناء الخولي - الأسرة و الحياة العائلية - دار النهضة للطباعة و النشر - بيروت -

لبنان - د ط - 1984م - ص 24

المجتمع فحسب، بل هي مصدر الأخلاق والدعامة الأولى لضبط السلوك، والإطار الذي يتلقى منه الإنسان أول دروس الحياة الاجتماعية".

3- مفهوم المثل: أ- لغة: من بين المعاني الكثيرة - للمثل - التي تتضمنها المعاجم العربية ⁽¹⁾: الشبه، النظير، المماثلة، الخبر، الالتصاق بالأرض، القالب... الخ فهي تخبر عن أحداث ما، في موقع ما، وفي زمن ما؛ أي إن هذه الأحداث تنطبع و تلتصق بأرض ذلك المكان، ثم يتم إخراجها في قالب موجز غني بالدلالات المختلفة و محمّل بالوقائع التاريخية. يسهل حفظه و تداوله بين أفراد المجتمع؛ و هو أحد أسرار ديوعها و استمرار تداولها بين الناس.

ب- اصطلاحاً: بالرغم من إيجازها وقلة ألفاظها، إلا أنها ذات قيمة عظيمة، يقول سليمان محمد سليمان: " لا يوجد في كلام الناس أوجز من الأمثال فهي كلمات قليلة تحمل في طياتها معاني كثيرة، فتطوي الكثير من التفصيلات و تثير - على قلة كلماتها - أحداثاً و وقائع تاريخية ذات دلالات متعددة..." ⁽²⁾ لابد و أن هذه الدلالات لا تخرج عن بيئة المثل و مجتمعه الأصلي؛ فتكون بذلك عين على هذه البيئة و تصويراً لهذا المجتمع. و في هذا السياق يقول احمد أمين: "... فمن أمثال الأمة نستطيع أن نتفهم الدرجة التي وصلت إليها و نستطيع أن نعرف كثيراً من أخلاقها و عاداتها." ⁽³⁾ إذا فالأمثال حاملة لأخلاق الأمة و عاداتها؛ و لذلك استنطقناها في ما يخص أخلاقنا و عاداتنا، في أيام أفراننا و خصوصاً في أعراسنا.

(1) - الرازي - مختار الصحاح - ص 407 / ابن منظور - لسان العرب - ج 14 - ط 3 - ص 17 / الجوهري - الصحاح - ص 21 / الزمخشري - أساس البلاغة - ط 1 - 1998م - ص 193

(2) - سليمان محمد سليمان - دراسات أدبية في الخطب و الأمثال الجاهلية - دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر - الإسكندرية - مصر - ط 1 - 2005م - ص 204

(3) - احمد شوقي - فجر الإسلام - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - د ط - 1979م - ص 96

و لأن المثل أيضا عبارة عن : " سياج من القيم يضربه المجتمع من حوله ليحمي نفسه و عاداته و تقاليده و شخصيته المتميزة "(1) فقد تفقدنا هذا السياج؛ لنقف على الحدود التي رسمها، وعلى التعليمات التي أصدرها، و على التوجيهات و الإرشادات، التي أسداها لضمان المحافظة على شخصيته و تمايزه، حتى و لو كان ذلك في أحلك الظروف، و أصعب المراحل، التي تجتاح الشعوب و الأمم و المجتمعات. و على هذا الأساس: " فالأمثال تراث يحتوي على ما لو أمكن تصويره شعرا أو نثرا، تمثيلا أو قصصا، لكان من خير الأدوات للضبط الاجتماعي، الذي لا بد منه لتنشئة الأفراد منذ طفولتهم تنشئة اجتماعية سليمة "(2) و في هذا الجانب: " يلعب عنصر التحذير فيها و التنوير و التوعية دورا كبيرا في تبصير المستمع بنتائج و احتمالات ما هو مقدم عليه، وبالتالي فإن للمثل الشعبي وظيفة اجتماعية لا يمكن تجاهلها. "(3) لأنه أدلى هو الآخر بدلوه في كل القضايا الاجتماعية؛ صغيرها و كبيرها، بكل جرأة و إخلاص، ناشدا بذلك الرقي و الازدهار، و محذرا من التقهقر و الاندثار.

4- مفهوم العولة : أ- لغة: " العولة لغة و مثلها الكوننة و الحوقلة و الرودنة و القوقعة و الهوجلة ، على وزن فوعلة ؛ و هي من المصادر القياسية في اللغة العربية و بالتالي فهي مصطلح سليم من النحت و التركيب و عليه فإن لفظة - العولة- غير موجودة في القواميس اللغوية العربية حتى مطلع التسعينيات من القرن العشرين المنصرم؛ و إنما هي- و حسب التعريف اللغوي - مصدر قياسي قيس على غيره من الكلمات، اشتق من جذر كلمة هي-

(1)- احمد بن نعمان - سمات الشخصية الجزائرية ، من منظور الأنثروبولوجيا النفسية - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - د ط - 1988م - ص 336

(2)- الساعاتي حسن - حكمة لبنان - دار النهضة العربية - بيروت - لبنان - د ط - 1980م - ص 25

(3)- نبيل راغب - فنون الأدب العالمي - الشركة المصرية العالمية للنشر - القاهرة - مصر - ط 1 - 1996 م - ص 248

العالم - ومنها الفعل - عَوَّلَم - على صيغة - فَوَعَلَ - وهي من أبنية الموازين الصرفية العربية، وهذه الصفة تفيد وجود فاعل يقوم بالفعل".⁽¹⁾

ب- اصطلاحاً : العولمة أيضاً من المصطلحات التي تعذر حصرها أو قولبتها في تعريف جامع مانع ، فكل تعريف يركز على الجانب الذي يريد إبرازه و تجليته فيها ، مما قد يترتب عليه صعوبة التجرد من الدوافع الذاتية، سواء بالنسبة للأطراف المناصرة لها أو المعارضة . لذلك سنكتفي بذكر البعض منها على كثرتها.

يقول عالم السياسة الأمريكي- جيمس روزناو- : "إنها العلاقة بين مستويات متعددة، لتحليل الاقتصاد، والسياسة، والثقافة، والأيديولوجية، وتشمل: إعادة الإنتاج، وتداخل الصناعات عبر الحدود وانتشار أسواق التمويل، وتمائل السلع المستهلكة لمختلف الدول، نتيجة الصراع بين المجموعات المهاجرة والمجموعات المقيمة"⁽²⁾ وهذا التعريف رغم إشارته العابرة إلى كل من الجانب السياسي و الثقافي و الإيديولوجي، فهو يركز على الجانب الاقتصادي؛ التي اقترنت به العولمة في أولى بداياتها، وبه امتدت و انتشرت .

في تعريف آخر يعتبر العولمة : "نظام عالمي جديد يقوم على العقل الإلكتروني، و الثورة المعلوماتية القائمة على المعلومات و الإبداع التقني غير المحدود، دون اعتبار للأنظمة و الحضارات و الثقافات و القيم، و الحدود الجغرافية و السياسية القائمة في العالم"⁽³⁾، أما هذا التعريف فيركز على ما اسماء بالعقل الإلكتروني، و الثورة المعلوماتية، من دون أي اعتبار للسياسة أو الثقافة أو الأيديولوجية؛ أي أن العولمة حدثٌ تقني بحت. و لكننا نجد في تعريف

(1)- خليل نوري مسيهر العاني - العولمة الإسلامية في زمن العولمة الثقافية - ديوان الوقف السني - مركز البحوث و الدراسات الإسلامية - بغداد العراق - ط 1 - 2009م - ص 107

(2) - نعيمة شومان - العولمة بين النظم التكنولوجية - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ط 1 - 1998م - ص 40 .

(3) - أبو زعرور محمد سعيد - العولمة - دار البيارق - عمان - الأردن - ط 1 - 1998م - ص

الدكتور - مصطفى محمود - ما يخالف التعاريف السابقة تماماً فهو يقول بأن: "العولمة مصطلح بدأ لينتهي بتفريغ الوطن من وطنيته، و قوميته، و انتمائه الديني و الاجتماعي و السياسي، بحيث لا يبقى منه إلاّ خادم للقوى الكبرى". لكن ما المقصود بتفريغ الوطن من وطنيته و قوميته و انتمائه الديني والاجتماعي والسياسي؟ ربما يكون الجواب في هذا التعريف الذي يشير إلى العولمة باعتبارها: " العمل على تعميم نمط حضاري، يخص بلداً بعينه، هو الولايات المتحدة الأمريكية بالذات على بلدان العالم أجمع" ⁽¹⁾، إذا فالعولمة هي الأمركة من وجهة النظر هذه؛ بدليل شيوع نمط الحياة الاستهلاكي الغربي، أو الأمريكي منه تحديداً، في معظم أرجاء المعمورة- أو على الأقل محاولة تحقيق ذلك- عن طريق ممارسة هذه الأخيرة للضغوطات السياسية، والاقتصادية، والإعلامية، وحتى العسكرية إذا تعذرت أو فشلت الوسائل السابقة.

5- معنى النفث: جاء في تفسير ابن كثير لسورة (الفلق الآية 4)، في قوله تعالى: "وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ": الساحرات . و في - أساس البلاغة ⁽²⁾ - : ن ف ث، نفث الشيء من فيه: رمى به، نفث في العقدة : نفث عليه عند الرقية، امرأة نفّاثة : سحّارة ، رجل منفوث: مسحور، نفث الثعبان سُمّه : أي أرسله .

و من معاني - النفث - في بعض المعاجم العربية: نفث البصاق من فمه: رمى به، نفث الجرح الدم: أظهره وأخرجه، النفث: صوت الحية عند نفث السم، نفث الراقي في العقدة: نفخ فيها، نفث المسلول: رمى بالنفّاثة.

النفث ما يُلقى من الفم من البصاق الغليظ، نفث صاحبها: سحرته، نفثه: سحره، نفث القلم: الكتابة...

و اقصد بالنفث كل ما تنفث و تلقي به العولمة من قيم سلبية دخيلة (كل ما هو مخالف لقيمنا الأصيلة) تؤثر بها على بناء الأسرة منذ بدايتها .

ثانيا - الزواج في المثل الشعبي الجزائري:

(1) - محمد عابد الجابري - العولمة والهوية الثقافية ، عشر أطروحات - دار المستقبل العربي - بيروت - لبنان - 1998م - ص 137

(2) - الزمخشري - أساس البلاغة - ج 2 - ص 879 و ما بعدها

يستقي المثل الشعبي الجزائري معالجته لفكرة الزواج بجملتها من مبادئ الدين الإسلامي، و السنة النبوية الشريفة. كقوله تعالى في كتابه العزيز: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" ⁽¹⁾ وفي قوله سبحانه: "وَأِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا" ⁽²⁾ وقوله تعالى: "وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ" ⁽³⁾ وقوله جل جلاله: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" ⁽⁴⁾ وقد حث رسول الإسلام - صلى الله عليه و سلم - الشباب على الزواج؛ خاصة لمن هم قادرون على ذلك في قوله: "يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء." ⁽⁵⁾ وقوله أيضا: "تنكح المرأة لأربع: لمالها و لحسبها و لجمالها و لدينها، فاطظر بذات الدين تربت يداك" ⁽⁶⁾. و قول المنال الشعبي: "الزواج هم ديمما يحتاج تدبيرة عام و ليلة" أي أن التفكير فيه مستمر و يبدأ مبكرا فيشغل بالنا لمدة طويلة. و يقول أيضا: "الخير مرأ و الشر مرأ" و الواجب بل و المطلوب هو التحري، و التنقيب عن هذا الخير و تجنب الشر ما أمكن. لذلك كان هذا الأمر عادة من اختصاص كبار السن الذين خبروا شيئا من أسرار الحياة؛ بحكم تجربتهم و طول أعمارهم.

(1) - سورة الروم - الآية 21

(2) - سورة النساء - الآية 3

(3) - سورة النور - الآية 32

(4) - سورة الحجرات - الآية 13

(5) - صحيح البخاري - كتاب النكاح - تحت رقم 5065/.. صحيح مسلم - كتاب

النكاح - تحت رقم 1400

(6) - صحيح البخاري - دار الحديث - القاهرة - مصر - د ط - 2004م - ج 3 - ص 364

1- فكرة الزواج في المثل الشعبي الجزائري :

لقد حظي الزواج في المثل الشعبي الجزائري بالعناية الفائقة و المتابعة الدقيقة مرشداً وموجهاً وناصحاً، و حتى فاضحاً؛ لتلاعبات و تجاوزات بعض الأطراف التي تحاول العبث به لسبب أو لآخر فقد : " كان الحكيم الشعبي حاضراً و بقوة في هذا المجال، بل لقد تتبع أدق التفاصيل و أدنى التصرفات، معلماً و مرشداً تارة، و ناقداً موجهاً أخرى، و ساخراً متهمكاً مرات و مرات؛ كل هذا بهدف الارتقاء بهذا المجتمع إلى مراتب أعلى، من التطور و الازدهار." ⁽¹⁾ في جميع المجالات الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية و السياسية و غيرها ؛ و ذلك عبر الإرشادات و التوجيهات التي قدمها في كل محطة من المحطات المصيرية في هذه العملية، و أولى هذه المحطات بل و أخطرها في عملية الزواج هي عملية اختيار الشريك القادم؛ فعلى هذه العملية يتوقف مصير العملية برمتها.

2- معايير اختيار الشريك في المثل الشعبي الجزائري:

وعُيِّنَ منه بأن البناء الاجتماعي و الثقافي الخاص، الذي يميّز المجتمعات بعضها عن بعض؛ يبدأ من هذه العملية الفارقة، وجّه الحكيم الشعبي الشخص المقبل على تشكيل هذه اللبنة الأساسية الأولى في صرح المجتمع، إلى المجموعة التي يختار منها شريكة حياته بقوله : " اللي تُعرفو خير من اللي ما تُعرفوش " و هو واضح المغزى بالدعوة إلى الاختيار من أفراد العائلة أو الأقارب عموماً؛ لأن هذا الاختيار في نظره يُوفر الكثير من الوقت و الجهد في البحث و التحري عن بنت الأصل، و النسب، و ما إلى ذلك من المعايير الجسمانية، و الأخلاقية؛ بالإضافة إلى الحفاظ - ما أمكن ذلك - على الثروة و بقائها في المحيط العائلي الضيق، من دون مغادرتها أو انتقالها إلى رهط آخرين، و هذا ما عبّر عنه بالقول: " زيتنا في دقيقتنا " و من دون لف و لا دوران يقولها و بصراحة : " زيتنا في بيتنا ". و في حالة من الإصرار و ربما عزة النفس في هذا الأمر، يُعزز

(1)- فعرور عبد الله - الدلالات الاجتماعية و الاقتصادية في المثل الشعبي الجزائري -

رسالة ماجستير - مخطوط - كلية الآداب و اللغات - جامعة الصديق بن يحيى -

جيجل - السنة الجامعية - 2013 / 2014 - ص 156

المثال الشعبي رأيه السابق بالقول: " خُذ طريق العافية⁽¹⁾ و لو دائرة ، و خُذ بنت العم و لو بايرة⁽²⁾ ".

لكن الحكيم الشعبي و بصفته متتبعا لدقائق أمور المجتمع، فهو على دراية تامة بأن هذا التوجه السابق الذكر لا يروق لفئة من أفراد المجتمع؛ و ذلك لأسباب مختلفة، منها مثلا المكانة أو الوظيفة الاجتماعية، و عندها نرى أن الحكيم الشعبي يُوسّع دائرة الاختيار، من دائرة العائلة إلى الدائرة أو الفئة الاجتماعية بقوله: "الزياة تدّي⁽³⁾ الزيات" و ليس ذكر مهنة - الزيات من الزيت - في المثل مقصودة لذاتها تحديدا أو تحقيرا، و إنما المقصود هو تساوي المعنيين بالزواج في المرتبة الاجتماعية. و لمن تعذر أو أشكل عليه معنى المثل السابق، يعبر الحكيم الشعبي عن المعنى نفسه بصيغة أخرى في قوله: " ملّس من طينك يسجى⁽⁴⁾ لك" و هو تعزيز للمعنى السابق لأن لفظة - طينك - تقابل لفظة - معدنك في المعنى - أي من نفس المعدن ؛ و هو رمز للعائلة و القرابة أو الفئة الاجتماعية أيضا. و إذا تعذرت الاختيارات السابقة لسبب أو لآخر ، قرر الحكيم الشعبي القاعدة الذهبية الأصلية في المجتمع الجزائري بقوله: " قص اللحم على المفصل و أدّي بنت الأصل " و بها رفع الكثير من الحرج على من يرفعون شعار: " وِين بِنْت عَمِّي تَلْقَى هَمِّي " و هذا في حقيقته ناتج في عمومته من بعض التدخلات السافرة بين الزوجين بحجة القرابة و الدم لا غير.

مرة أخرى تتجلى عبقرية الحكيم الشعبي، في عبارة موجزة رائعة ، جمعت بين متطلبات الجسد - الفريزة - و المنافع الاجتماعية بقوله: " خُذ بنت الناس إذا ما لقيتشْ لَهْناء تَلْقَى لَخْلَاصْ " فعبارة - بنت الناس - تعني أي امرأة من سلالة البشر، على وجه هذه البسيطة ، بغض النظر عن كل الاعتبارات السابقة التي حصر فيها الزواج بين أفراد العائلة أو الأقارب أو الفئة الاجتماعية، توسيع

(1) - العافية : الأمانة (من الأمن)

(2) - بايرة : كاسدة

(3) - تدّي : تأخذ و هنا بمعنى تتزوج

(4) - يسجى : يتهيا لك (ينضج)

دائرة هذا الاختيار إلى أقصى مدى، وصولاً إلى المستوى الكوكبي، ومبرره في هذا يعود إلى التخلص من هذا الرباط - المقدس - بشيء من اليسر والسهولة؛ في حال تعذرت أو اعترضت صعوبات ما هذه العلاقة، من دون أي خدش لسمعة العائلة؛ على اعتبار أن عملية الطلاق من الظواهر غير المحبذة، التي تتدنس بها هذه السمعة. لهذا تُبذل جهود مضمّنة من العقلاء للحيلولة دون وقوعه. وبهذا يكون للمثل الشعبي (الجزائري) فضل السبق في الدعوة إلى عوامة الزواج؛ ولكن ليس بالصيغة أو المبررات التي ينعق بها دعاة العوامة من ديمقراطية و مساواة و تحرُّر وغيرها من المسميات الافتراضية الجوفاء.

3- شكل المرأة في المثل الشعبي :

لا شك أن الجمال عنصر إغراء قوي، إلا أنه من المؤكد أيضاً أنه ليس هو كل شيء؛ فالجمال بدون أخلاق في عاداتنا، يفقد بريقه و جاذبيته خاصة عند العقلاء من الناس؛ لأنه لا محالة زائل في يوم ما، بل يستحيل الاحتفاظ به إلى الأبد، فهو بهذا رأس مال بائر من وجهة نظر الحكيم الشعبي إذ يقول: " الزَّيْنُ ما بُنِيَ دِيَارٌ " أو " الزَّيْنُ ما دَارَ الدَّارُ " فالجمال وحده - الزَّيْنُ - كما عبّر عنه في هذين المثلين لا يجدي نفعا في آخر المطاف، ولا يمثل ثروة فعلية ؛ لأن الجمال الحقيقي هو جمال الأخلاق. كما يؤكد في هذه العبارة المشفرة بقوله: " لا يَغْرَكَ نَوَّارُ الدَّفْلَةِ ⁽¹⁾ في النَوَّادِ عَامِلٌ ظَلَايِلُ وَ لا يَعْجَبُكَ زَيْنُ الطِّفْلِ حَتَّى تُشَوِّفَ لَفْعَايِلُ ". و قوله أيضاً: " زَيْنُ بَلَا فَعَايِلُ يَخْزِي مُوَلَاتُو " والمقصود ب (لفعايل) هي محاسن سيرة و أخلاق و سلوكيات الفتاة.

و في إشارة إلى الشكل المطلوب في المرأة يقترح هذا الحكيم الشعبي على المقبل على الزواج بقوله : " ادي مَرَا وَ نَصْ إِذَا رَاحَ النَّصْ تَبْقَى لَمَرَا " المرأة معروفة، فكيف بنصفها ؟ إن اقتراح الحكيم الشعبي هذا يمكن تأويله من ناحيتين.

(1) - الدفلة - شجيرات تنمو بكثرة على ضفاف الأودية خاصة لها أزهار زاهية الألوان لكنها

أولها : المرأة البدينة المكتنزة؛ التي لها القدرة على الاشتغال والعمل داخل و خارج البيت، من زراعة و تربية المواشي، و جلب الماء و الحطب و ما إلى ذلك...على عادة أهل زمان الحكيم الشعبي؛ و بالتالي إعانة الزوج على تحمل صعوبات الحياة بتوفير و ضمان متطلباتها الضرورية. إذا فجهدها أو بالأحرى قوتها العضلية - و ليست رشاقتها أو نعومتها بالمناسبة - تعادل نصف امرأة أخرى.

و ثانيها: المرأة الغنية، فمالها يُمثّل أو يعادل نصف امرأة أخرى، لأن المال يُلغي الكثير من المشاق والأعمال المضنية.

و في الحالتين فهو طلب الإعانة سواء بالجهد البدني أو بالمال الخالص؛ و كلاهما يروم إلى تسهيل وتيسير سُبُل العيش، و التعاون على مصاعب و هموم الحياة؛ التي قد يغيب أكثرها على مقتحم تجربة الزواج لأول مرة . فمن قال أن الحكيم الشعبي ضد عمل المرأة ؟

4- إرشادات المثل الشعبي الجزائري في الخطبة:

إن ثاني أهم محطة بعد الاختيار هي مقتضيات هذا الاختيار، و ما يتطلبه من تكاليف، و لوازم مادية خاصة بهذه المناسبة، تستدعي تقدير الأمور حق قدرها منذ البداية، و إعطائها القدر الكافي من التحضير المادي و كذلك المعنوي؛ المتمثل في المسؤولية الإضافية المترتبة عن عملية الاقتران. يلخص الحكيم الشعبي هذا بقوله: " الزواج همّ ديمّا يحتاج تدبيرةً عامّة و ليلة " . و خبرته أيضا بالحياة، ثم حرصه الشديد على أن تغمر هذا البيت الجديد السعادة و الاستقرار. يكرر الحكيم الشعبي التنبيه للقادم على هذا الأمر الجلل، بنصيحة أخرى محذرا بها و مرشدا في الوقت ذاته فهو يقول: " قيس قبل ما تُغيس⁽¹⁾ " و معنى هذا القول، تقدير الأمور حق قدرها، و الوقوف بدقة على مآلاتها، قبل مباشرتها و الشروع في تنفيذها. قبل أن " يَحْصَلَ الفاسُ فالرأس " و تؤوّل الأوضاع إلى غير وجهتها المرجوة .

(1) - تُغيس بمعنى تغرق أو تغوص أي تبتعد عن البداية أو المدخل (الشاطئ)

فقول الحكيم الشعبي " قيس قبل ما تغيس " يحيل إلى كم هائل من المعلومات الواجب توفرها قبل الإقدام على أي نوع من المشاريع؛ وهي ما يُصطلح عليه حديثا في عالم الاقتصاد - بدراسة الجدوى - وهي إحدى المراحل المهمة، بل و الأساسية في أي مشروع؛ و خصوصا المشاريع الاقتصادية منها، فعلى ضوء نتائجها يتقرر قبول أو رفض المشروع برمته. و بهذا يقدم الحكيم الشعبي أعظم نصيحة تُجَنَّبُ المقبل على الزواج كل أسباب الفشل، و توجهه إلى ما يخدم مصالحه و المجتمع من ورائه.

لقد كان الحكيم الشعبي على دراية تامة بضعف المرأة و انسياقها وراء الشهرة و المال فهو يقول: " المرأ يُجيبوها الذهوبي و إلا الكذوبي" و يقصد - بالذهوبي - معدن الذهب و كل أصناف المال عموما، و أما - الكذوبي - فهو الكذب و البهتان و الدعاية عموما، و منها الإشهار. فالمال و الشهرة وسيلتان من أقوى وسائل الإغراء و أشدها، بل و أسرعها تأثيرا على المرء، و ليس من السهل على أي كان الإفلات من سطوتهما .

إن استعمال وسائل الإغراء هذه يبدو جليا أثناء الخطبة؛ التي تعتبر أولى الخطوات الرسمية و الفعلية على طريق بناء الأسرة، و على ضوء هذه الخطوة تتشكل المعالم الأولى لهذه اللبنة الأساسية في المجتمع، و فيها يتحدد مسارها المستقبلي العام؛ فإذا كان الصدق و الصراحة، هما عماد المناقشة و الحوار، فما يُتخذ من قرارات و يُكشف من المواقف يكون بمثابة المناعة الهائلة لكل النوائب و المطبات، التي تصادفها حتما هذه الأسرة الفتية في رحلتها مع الزمن .

أما إن كانت هذه الخطبة كما وصفها الحكيم الشعبي - طبعاً بما سُرِّبَ له من معلومات - بقوله: " وَأَشْ مَا كَذَّبُوا لَيْلَةَ مَا خَطَّبُوا " فإن كان هذا الكلام صحيحا فمصير هذا البناء إلى الانهيار لا محالة، و لا يعدو الأمر إلا مسألة وقت و فقط؛ لأن حبل الكذب قصير كما يُقال؛ أو قولهم: "ما بُنيَ على باطل فهو باطل".

و يخبر الحكيم الشعبي أهل العروس عن الخطاب كاشفا ألامعيه و أكاذيبه حتى لا ينخدعوا بها بقوله: " الْخَطَّابُ رَطَّابٌ " و- رطاب- هنا بمعنى الكذب و البهتان؛ و ذلك عندما يدَّعي العريس أو من ينوب عنه، أمام أهل

العروس بما ليس فيه من الصفات، وبما لا يملك من المتاع ؛ لكي يفوز بغرضه و فقط ، دون تقدير للعواقب والآلات .

و بالمقابل ينبه الحكيم الشعبي أهل العريس، إلى توخي الحيطة والحذر مما يسمعه من أهل العروس؛ من تضخيم و تضخيم ونفخ للأمور أكثر مما هي عليه بقوله : " ما يشكرُ لعروسة غير أمها وإلا فمها وإلا خالتها أخت أمها " فالأم هي الناطقة باسم الوعد، و هي التي تتولى بالنيابة عن ابنتها، ذكر المحاسن و المناقب و المحامد، التي تتصف بها هذه العروسة؛ على اعتبار أنها فلذة كبدها، و تربية يدها، و خريجة مدرستها، فتضفي على ابنتها من الصفات، و الخصال حتى يُخيّل للسامع أن هذا الموصوف من الملائكة و ليس من البشر.

كان هذا زمن الحياء و العزة فكيف هو حالنا اليوم في زمن التحرر و العولمة ؟ ربما محاكمنا اليوم هي وحدها من يملك الخبر الرهيب و اليقين أيضا.

بهذا يكون الحكيم الشعبي قد ارشد و وجّه، بل و زوّد الوفيدين المفاوضين أثناء الخطبة بحيل و مراوغات كل طرف، حتى تكون الأمور واضحة متجلية للجميع. و بهذا الصنيع يكون قد قدّم خدمة للطرفين؛ بإرشادهما إلى تشييد بنائهما، على أسس متينة منذ البداية؛ لتجنب أسباب التدهور في العلاقات الأسرية المقبلة، و حمايتها من الانهيار. لا شيء إلا لغيرته على أفراد مجتمعه و حرصه على تماسكه و ازدهاره. .

5- إرشادات المثل الشعبي في عادات إجراء العرس (حفل الزفاف):

إن المحطة الفعلية للزواج تتجسد في ما يُعرف بحفل الزفاف أو العرس فهو: " إلى جانب كونه حفلة اجتماعية فهو حفلة دينية وشرعية وقانونية موقرة لها صفاتها الاجتماعية والأخلاقية التي يقرها المجتمع ويتمسك بها " ⁽¹⁾ و لكن هل بقي شيء من الهيبة و الوقار و هذه الصفات، الاجتماعية و الأخلاقية الأصيلة في أعراسنا ؟ بعد أن نفثت العولمة زُعاف سُمها في هذه الأعراس التي :

(1) - إحسان محمد حسن، عدنان سليمان الأحمد - المدخل إلى علم الاجتماع - دار

وائل - الأردن - ط 2 - 2009 م - ص 185.

أصبحت مظهرا من مظاهر التفاخر و التباهي التي تحرص عليها بعض الطبقات الجديدة التي ظهرت مؤخرا و التي تحرص على إقامة حفلات الزفاف في قاعات الفنادق الكبرى مع ما يصاحب هذا من ثياب فاخر وفرق موسيقية ومطربين مشهورين و موائد الطعام من كل الأصناف...و قد يلجأ البعض لتحقيق ذلك إلى إنفاق كل ما معهم من نقود أو ربما الاستدانة على اعتبار أن حفل الزواج هو ليلة العمر" ⁽¹⁾ لكن الحكيم الشعبي و بكل صراحة يعلنها بقوله : " اللي عيئو يفلس يبنو و إلا يعرّس " و ليس هذا معناه الدعوة إلى الإعراض عن إقامة هذا الحفل البهيج، أو حرمان المجتمع من سروره و سعادته؛ إنما هو تحذير شديد اللهجة لصاحب العرس، من مغبة الإفراط في الإنفاق، وتجاوز الحدود المعقولة؛ كالاستدانة والرهن وما إلى ذلك من الأساليب، التي تُورط صاحبها في المديونية؛ ولفترة ليست بالقصيرة.و هي الحالة التي عبّر عنها الحكيم الشعبي في عبارة مذهلة بقوله:"ما يعرّس حتى يتهرّس" أي لا تقوم له بعد ذلك قائمة بين الناس لأن:" الدين مسوّذ الخدين" كما خبرها الحكيم الشعبي. و في إشارة لا تخلو من الغمز إلى بعض الأسباب المفضية إلى ذلك يقول:" مال العريس زخيص" لأنها تُصرف يُمنة و يُسرة من دون قيود أو حدود، وهذا غالبا ما يتأتى من المقربين والأصحاب كما يفهم من قول الحكيم الشعبي. أليست هذه الإرشادات و التوجيهات من أقوال الحكيم الشعبي، بكافية لتجنب كوارث هذه المناسبات، التي نراها اليوم، أو على الأقل التخفيف من حدتها ؟

ليت الأمر توقف عند هذا الحد؛ بل لقد تعداه إلى أهم مظهر من مظاهر العرس، ألا و هو الغناء: دليل البهجة و الضح ، هذا الأخير ، الذي كان مقتصرًا على أغاني شعبية ، و مدائح دينية ، غالبا ما تؤدي من طرف المدعوات طيلة أيام الضح . و بعض العاب الفروسية للابتهاج و الاستمتاع أكثر.

ثالثا - مظاهر تأثير العولمة على محطات الزواج في المجتمع الجزائري :

(1) - سناء الخولي- الأسرة والحياة العائلية - دار المعرفة الجامعية - الأزاريطة- د

إن المتابع لتقاليد الزواج في الجزائر ليلحظ ذلك التغير الواضح إن لم يكن الفاضح في مراسيم و عادات هذا الحدث الأهم في حياة الفرد. و للإحاطة بخبايا هذا الموضوع لابد من التمييز بين فترتي الآباء و الأجداد من جهة، و فترة الأبناء والأحفاد من جهة أخرى، فالفئة الأولى المنتمية زمتنا إلى ما قبل تسعينيات القرن العشرين (20م) كانت تتخذ من تراثها وأمثالها الشعبية خصوصا، منارات تسترشد بها وتحدد معالم حياتها، لأنها كانت بمثابة المجسّد الحقيقي للتعالم الدينية، والقيم الاجتماعية الراسخة في الذاكرة الشعبية، إضافة إلى التوافق بين هذه التوجهات ومضامين الأمثال الشعبية .

أما الفئة الثانية فقد أصابتها نضات العولة مبكرا، و رافقتها منذ سنين الإدراك الأولى فانفتحت أعينهم على ملوثاتها و بهرجها المزيف، و لا منقذ لهم منه، في عالم اقل ما يُقال عنه: انه عالم افتراضي بعيد عن الواقع الحياتي المعاش. و شتان بين الواقعي و الافتراضي في دنيا الناس. هذه الفئة هي التي اضطلعت بعملية التغير لكثير من العادات و التقاليد في المجتمع؛ لما توفر لها من وسائل تكنولوجية متطورة، ساعدتها في الانفتاح على ثقافات العالم الأخرى، و بالمقابل جعلها أيضا عرضة و فريسة لتأثيرات ثقافية؛ مدعومة بترسانة رهيبة من الوسائل المادية و الفنية و البشرية، لا يقوى على ردها أو مقاومتها، ففرضت نفسها و اضطرت إلى الاستسلام لها طوعا و كرها؛ فكانت نتيجتها ما نلاحظه من هذه التغيرات الجارية في المجتمع، و التي من بينها عادات الزواج .

1- الزواج من منظور العولة و التشكيك فيه :

يعترف عقلاء الحضارة الغربية اليوم بأنهم أمام ورطة حقيقية تهدد الوجود الغربي برمته؛ نتيجة التدهور و التفكك الحاد الذي وصلت إليه الأسرة الغربية؛ فمظاهر الأسرة التقليدية قد انهارت و تلاشت و فقدت كل وظائفها التقليدية الريادية في المجتمع؛ بفعل التدهور و الانهيار الرهيب المتواصل، للروابط الزوجية على مرّ الأعوام و في عقر دارهم : " ففي السبعينات، وافقت 80% من السيدات المتزوجات في الولايات المتحدة الأمريكية على - انه من الأفضل كثيرا لجميع أفراد الأسرة أن يكون الرجل هو المسؤول عن كسب المال

خارج المنزل و المرأة تكون مسؤولة عن الاهتمام بالمنزل و أفراد العائلة - أما في عام 1991م، فلقد وافقت على ذلك 28% فقط من النساء⁽¹⁾ و لنا أن نتساءل بعد مرور أكثر من عقدين من الزمن، عن مصير عملية الزواج برمتها ؟ في ظل الاجتياح المدمر للعولمة على مستوى البناء الأسري في المجتمعات البشرية، بعد توظيفها لكامل ترسانتها و مخترعاتها الرهيبة، التي من أهمها و أخطرها على الإطلاق ما اصطلح على تسميته- بالجندر- و هو المصطلح الجديد الذي يسعى من خلاله غلاة العولمة إلى إلغاء صفة الجنس (ذكر/أنثى) خاصة في العنصر البشري !! يقول الأمريكي صاحب كتاب- الأسرار السبعة للزواج السعيد-: " و من المثير للقلق بشكل اكبر هو عدد الشباب الذين لا يفضلون فكرة الزواج على الإطلاق و هؤلاء الشباب لا يعرفون الكثير عن كيفية نجاح العلاقات و تقريبا واحد من بين كل عشرة في الفئة العمرية التي تتراوح ما بين خمسة و عشرين و أربعة و ثلاثين عاما من الذين تزوجوا أصبحوا مطلّقين الآن."⁽²⁾ فهل معنى هذا أن مفهوم الزواج عندهم أصبح في خبر كان - كما يُقال- أو هو في الطريق لأن يكون كذلك ؟

إن السؤال الذي يفرض نفسه بإلحاح شديد عند هذه النقطة بالذات: ما هو البديل المقترح لتعويض الزواج في ظل استحالة إلغاء و تعطيل، أو حتى إمكانية كبح جماح الغريزة الفطرية في الإنسان؟ أو بالأحرى لدى جميع دواب الأرض- فيما نعلم - ؟ نكتطف هذه الإجابة من المرجع السابق الذكر إذ يقول صاحبه حرفيا: "و هناك زيادة 40% في الثلاثين عاما الأخيرة لما أسمته وسائل الإعلام مؤخرا - الزيجات التجريبية - و العديد منهم هم أطفال عايشوا الطلاق بين الوالدين، و يعرفون من البداية الآلام الناتجة عن الانفصال، إلا أنهم لا يعلمون الكثير عن كيفية الحفاظ على زواج سعيد و صحي

(1)- مارجري دي روزين - الأسرار السبعة للزواج السعيد - حقوق الترجمة و النشر و

التوزيع محفوظة - مكتبة جرير- ط 1 - 2008 - ص 12

(2)- الأسرار السبعة للزواج السعيد - مرجع سابق - ص 16

لأنفسهم".⁽¹⁾ إذا فمشكلة إشباع الغريزة وجدت لها الحل عن طريق ما أسموه (بالزيجات التجريبية) ؛ وهذا ما يدل على عدم احترام الرابط المقدس، الذي تتأسس وتقوم عليه عملية الزواج الحقيقية، و لذلك توصف بالمقدسة ؛ كما أقرت بذلك الأديان السماوية، فهل لازالت هذه القداسة مصونة فعلا ؟ بعبارة أخرى هل بقي هناك شيء من طقوس الزواج إذا كان الأمر كله قيد التجريب ؟ الإجابة ببساطة- و بمرارة أيضا- تقول إنها إحدى نفايات العولمة، لأننا بهذا المنطق يمكننا القول بالأسرة التجريبية، التي نحصل منها حتما على المجتمع التجريبي، وبالمحصلة أخيرا على العالم التجريبي أو العالم المعولم، أو بالقرية الكونية - إمعانا في تقزيم هذا العالم بما رحب و حوى - و هي آخر المحطات التي تسعى العولمة للوصول و الإيصال إليها، بمنطق الغاية تبرر الوسيلة. ممتمطة في ذلك شؤون المرأة و الأسرة؛ لصرفها عن دورها الحقيقي في بناء المجتمعات، و توجيهها الوجهة الطبيعية المتوازنة. و لِيَت الأمر توقف عند هذا الحد، فما خفي أعظم و ما هو آت أدهى وأمر.

2- مظاهر تأثير العولمة على اختيار الشريك :

لقد تحجّم دور الأسرة عموما، و الوالدين خصوصا عن هذا الدور الحيوي في اختيار الشريك؛ الذي كان ربما من اختصاص الجميع إلا المعني أو المعنية بالزواج، فهم آخر من كان يُؤخذ برأيهما. أما اليوم فقد انقلبت الأوضاع رأسا على عقب؛ و أصبح آخر من يعلم هم الوالدين. و هي نتيجة طبيعية للقفزة العملاقة التي عرفتها الجزائر في مجال الحريات الفردية و الجماعية، المكفولة بأكثر من نص تشريعي؛ اضافة إلى تعدد و تنوع فضاءات الاختلاط؛ في الجامعات و المعاهد و أماكن العمل المختلفة و كذا الشارع. هذا النوع من الفضاءات لم يكن متاحا في السابق بهذه المساحة الواسعة المتنوعة، و خصوصا بالنسبة للمرأة. هذه الأخيرة هي المستفيد الأكبر من الوضع الجديد؛ لأنها استطاعت أن تثبت جدارتها العلمية، و مشاركتها الفعالة في مختلف الميادين. لكنها بالمقابل هي الخاسر الأكبر أيضا؛ بسبب تعدد مجالات استغلالها، و

(1)- المرجع السابق - ص 17

احتقارها، و الحط من إنسانيتها، و النيل من كرامتها؛ عندما أصبحت مطية لعديمي الضمير، لتحقيق مآرب مهينة لأدميتها، و خادشة لشخصيتها، فأصبحت بذلك شريكة للجميع، و ليست ملكا لأحد ؛ فضاعت بذلك و أضاعت معها خلقا كثيرا .

و إذا عدنا للعولة نجدها تلغي بنفثاتها هذا البند تماما من أجندتها؛ لأن التحرر المفرط للمرأة أعطاه الحرية المطلقة في التصرف بجسدها، الذي تعود ملكيته لها وحدها و فقط، فهي تفعل به ما يحلو لها، و ما يحقق لها كل مبتغياتها.

هكذا هي الدعوات و النصائح الموجهة للمرأة الغربية؛ بالتمرد على كل الأعراف و المبادئ و القيم الأخلاقية؛ وذلك بالتسكع في الشوارع والطرق، وعلى الشواطئ وفي الغابات من دون حسيب ولا رقيب، ولا مرشد وموجه، ناصح أمين.

3- العولة وشكل المرأة :

إن جمال المرأة من أهم المواضيع التي تستثمر فيها العولة للوصول إلى أهدافها- الشيطانية- فهي عكس ما ذهب إليه الحكيم الشعبي تماما. فالجمال في زمن العولة ثروة مادية عظيمة لصاحبه، يتضح هذا في المبالغ الضخمة، التي تُصرف في مقابل استعمال صورها في العروض الإشهارية المختلفة، التجارية والصناعية و الخدماتية و في اختيار مديعات القنوات و منشطات الحفلات، وعارضات الأزياء، و راقصات الباليه، و بطلات المسلسلات والأفلام، بكل أنواعها، وفي عمليات الإغراء والتحايل، في المعاملات المالية والتجارية، والمافياوية، و به يتم السطو على ممتلكات الغير. وعلى أساسه تُنظم مسابقات- ملكة جمال العالم- كل هذا وغيره كثير يذر على صاحبه الكثير من المال، و يُمكنها من كل المتع المادية بلا شك. لكن للأسف الشديد، فالمال لا يحقق لها الاطمئنان النفسي الدائم، و لا يمكنه أيضا في نهاية المطاف، أن يشتري أو يُعوّض لها إطلاقا غريزة الأمومة، و بناء الأسرة المُفرط فيها. فهل تراعي العولة الجانب الفطري في المرأة ؟

لقد أصبح جسد المرأة لعبة هيئة رخيصة في أيدي هؤلاء؛ توظف خارج إطارها الطبيعي، و في غير موضعها اللائق بها. فانصرف همها الأكبر إلى شأن

الرشاقة، وتخفيف الوزن، و الحماية والتمارين الرياضية، وأنواع الحركات وكل الألعاب المناسبة التي تحقق المواصفات- المثالية- للجسد؛ من حيث شكله و مقاسه و قوامه و تناسقه... و ما إلى ذلك من الصفات و المواصفات-ربما - التافهة؛ لخروجها أولا عن طبيعة تكوينها البيولوجي الخاص بها كأنثى (و ليس الذكر كالأنثى)، و ثانيا عن طبيعة تكوينها النفسي، بالقياس للدور العظيم المنوط بها في تربية النشء، بما أودع الله فيها و ما خصّها به، من الرحمة و الرأفة، و المودة و الحنان، و الصبر، كما و أنها الجسر الذي يتم من خلاله تسليم أمانة السلف للخلف. فإذا تعطلت الحركة عبّرهُ أصيبت الأجيال اللاحقة حتما بعدم التوازن و التيه و الضياع.

4 - مظاهر تأثير العولة في عادات الخطبة :

إن أهم مظهر يمكن ملاحظته في هذا الجانب، هو طول المدة الفاصلة بين مراسيم الخطبة و إقامة حفل الزفاف (العرس)، أي انتقال العروس إلى الاستقرار في بيتها الجديد ؛ إذ أنها تصل في بعض الحالات إلى أكثر من خمس (5) سنوات، بحجة الاطلاع على خصال الطرف الثاني، و محاولة الانسجام معها، أو بذريعة متابعة الدراسة، أو بحجة عدم توفير المال الكافي لتمويل و تغطية تكاليف المهر و العرس...الخ.

إن الملاحظة الميدانية لهذا النمط، في غالبية العظمى ينتهي بفسخ الخطوبة، و الانفصال التام، تاركا وراءه جراحا غائرة لا تندمل، على الفرد و المجتمع سواء بسواء. كما أن التفاهات التي كانت تجري بشيء من التفصيل بين العقلاء من أولياء الأمور سابقا، قد اختزلت كلها في عبارة مبهمّة مفادها - راهم متفاهمين و يعرفوا بعضاهم، و زدّ على ذلك راهم قاريين (متعلمين) - و تركت المبادرة كلها للطرفين فقط، لتحديد مسار حياتهما بالكيفية التي تناسبهما؟. و بذلك يُسند الأمر لقليلي الخبرة و التجربة الحياتية، عوض الوالدين و من هم في مرتبتهم؛ و هي إحدى نفايات العولة الهادفة إلى تهميش الأسرة و تقويض دورها؛ بقطع الصلة بين الماضي و الحاضر، و فسخ المجال بالتالي للأفكار الشاذة الغربية، التي تجد في مجتمعاتنا اليوم و للأسف مرتعا و مستقرا لها.

5 - تأثير العوالة على عادات العرس (حفل الزفاف):

أول ما يلاحظ من تغير في عادات العرس بوضوح تام ، هو نوعية الأغاني الشعبية و المدائح الدينية؛ التي انقلبت من الهدوء و العذوبة، و الأصوات الطبيعية للأمهات و الأخوات، إلى أصوات الآلات الموسيقية الفارحة، التي تصمّ الأذان و تחדش الحياء؛ بأغاني ما يسمى بالراي، أو مثيلاتها من الأغاني الغربية، التي أنتجت مستنقعات العوالة، ليتم نفثها في قلب أصالتنا، و رموز خصوصيتنا ؛ التي طُعنَت مرتين في المشهد نفسه ؛ نمط الأكل و نمط الغناء .

على العكس تماما مما أرشد و حذر منه الحكيم الشعبي، من ترشيد الإنفاق في مثل هذه المواضع، و تجنب الإسراف و التبذير. تدعو العوالة للاستهلاك المفرط و لوعلى حساب الأجيال القادمة؛ لأن الاستهلاك يمثل احد المحركات الرئيسية الدافعة لسفينة العوالة؛ و بدونها سوف تُصاب بدون شك بشيء من التقهقر و التراجع، إن لم يكن التوقف النهائي لزحفها، و هذا ما تسعى إلى تفاديه بكل الطرق و الأساليب، و إن كانت غير مشروعة، في بسط نمطها الاستهلاكي على الغير إلى أقصى الحدود؛ و هذا ما نلاحظه بوضوح في أعراسنا اليوم. في نوعية الأكل المبتدعة من الأنظمة الاجتماعية الغربية؛ عندما تم استبدال طبق الأصالة و الكرم - الكسكسي باللحم و الحليب- بما أصبح يعرف بالأطباق؛ المرفقة بأنواع الفواكه و المكسرات و المشروبات بكل أنواعها، على موائد و في صحون و بملاعق و سكاكين و أباريق و عديد (الأكسيسوارات)... التي يجب أن يُراعى فيها الديكور، و الألوان و كل مظاهر التبذير و الإسراف، كل هذا للتعبير عن علو المكانة، و التحضر و مسيطرة العصر... كلا إنه الشعور بالدونية أمام الآخر، في أقبح صورها، و الاستلاب في أبشع حالاته. إنها من نفثات العوالة (...حتى لو دخلوا جُحر ضبّ على نتانته لدخلناه).

خاتمة ونتائج :

بحثت هذه الدراسة الزواج بين إرشادات المثل الشعبي الجزائري، و نفثات العوالة و توصلت إلى النتائج التالية :

التأكيد على وجود تغيير في المحطات المدروسة (اختيار الشريك ، و مراسيم الخطبة ، و عادات العرس) بفعل نفثات العولمة ، على المستويات التالية .

- تغير نظرة جزء معتبر من أفراد المجتمع نحو قيمة فكرة الزواج .
- ظهور معايير جديدة لاختيار الشريك على عكس ما ارشد إليه المثل الشعبي.

- تغير عادات و مراسيم الخطبة حيث باتت من اختصاص الشريكين، و انحصار كبير لدور الأسرة . عكس ما أوصى به المثل الشعبي .
- تراجع كبير لتقاليد إجراء مراسيم ليلة العرس؛ و تعويضها بعادات مقتبسة من الأفلام و المسلسلات؛ مثل: قاعات الحفلات كفضاء مغلق لهذه المراسيم، و ما يستلزم من بروتوكولات بعيدة عن تقاليدنا و عاداتنا في هذا الشأن، لم نعهدها من قبل، إضافة إلى انتشار أنواع من الغناء الفاحش، الخادش للحياء، وهو المظهر الأكثر تجلية و تمظهرًا لنفثات العولمة .
- انتشار المخدرات و الخمور في بعض هذه المناسبات، و هي التي لم يعرفها المجتمع الجزائري على الأقل بهذه الكثافة إلا في عصر العولمة.
- زيادة مظاهر التباهي والسير نحو التقليد الأعمى للغرب، على حساب الخصوصية والهوية، وهو مكمّن الخطر.
- و ما يُطمئن البال قليلا هو وجود مناطق كثيرة في وطننا الحبيب، لا تزال على عذريتها في هذا المجال، لكن لا يمكن الجزم بحمايتها من نفثات العولمة المسعورة؛ وستلحق بالركب، إذا كان رد فعل الجميع هو الاستسلام واللامبالاة.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- ابن منظور - لسان العرب - دار صادر - بيروت - لبنان - 1994م
- 2- أبو زعرور محمد سعيد - العوثة - دار البيارق - عمان - الأردن - ط 1 - 1998م
- 3- إحسان محمد حسن، عدنان سليمان الأحمد - المدخل إلى علم الاجتماع - دار وائل - الأردن - ط 2 - 2009م.
- 4- أحمد بن نعمان - سمات الشخصية الجزائرية ، من منظور الأنثروبولوجيا النفسية - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - د ط - 1988م
- 5- أحمد شوقي - فجر الإسلام - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - د ط - 1979م
- 6- الساعاتي حسن - حكمة لبنان - دار النهضة العربية - بيروت - لبنان - د ط - 1980م
- 7- خليل نوري مسيهر العاني - العوثة الإسلامية في زمن العوثة الثقافية - ديوان الوقف السني - مركز البحوث والدراسات الإسلامية - بغداد العراق - ط 1 - 2009م
- 8- سليمان محمد سليمان - دراسات أدبية في الخطب و الأمثال الجاهلية - دار الوفاء لنديا الطباعة و النشر - الإسكندرية - مصر - ط 1 - 2005م
- 9- سناء الخولي - الأسرة و الحياة العائلية - دار النهضة للطباعة و النشر - بيروت - لبنان - د ط - 1984م
- 10- صحيح البخاري - دار الحديث - القاهرة - مصر - د ط - 2004م - ج 3
- 11- عامر مصباح - علم الأنثروبولوجيا - دار الكتاب الحديث - القاهرة - مصر - د ط - 2010م
- 12- عصام محمد منصور - المدخل إلى علم الاجتماع - دار الخليج - الأردن - د ط - 2010م
- 13- فعرور عبد الله - الدلالات الاجتماعية و الاقتصادية في المثل الشعبي الجزائري - رسالة ماجستير - مخطوط - كلية الآداب و اللغات - جامعة الصديق بن يحيى - جيجل - السنة الجامعية - 2013 / 2014م

- 14- محمد عابد الجابري- العولمة و الهوية الثقافية، عشر أطروحات-دار المستقبل العربي- بيروت- لبنان- 1998م
- 15- نبيل راغب - فنون الأدب العالمي - الشركة المصرية العالمية للنشر - القاهرة - مصر - ط1 - 1996 م
- 16- نعيمة شومان - العولمة بين النظم التكنولوجية - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ط 1 - 1998م.
- 17- مارجري دي روزين- الأسرار السبعة للزواج السعيد- حقوق الترجمة و النشر والتوزيع محفوظة- مكتبة جرير- ط1-2008م .



تحليل الخطاب من اللسانيات إلى السيميائيات

عبد الجليل لغرام

قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات

جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي - 04000

laghramabde@gmail.com

الملخص-

إذا كانت دلالة الخطاب تتضمن في المعجم اللاتيني الحوار وكذا معاني الخطابة فإن اللسانيات المعاصرة حددت جغرافية الخطاب عند حدود الجملة ، حيث حظيت بالاهتمام والدرس بوصفها وحدة تتوافر على شرط النظام . وهي غير قابلة للتجزئة ، وإذا أمعنا النظر في ماهية الخطاب على أنه ملفوظ يشكل وحدة جوهريّة خاضعة للتأمل . ففي حقيقة الأمر فإن الخطاب ما هو إلا تسلسل من الجمل المتتابعة التي تصوغ ماهيته في النهاية . إن هذا المعطى التصوري للجملة لا يقلل من قيمة اقترابها من مفهوم الخطاب ، فإذا كانت عناصر مثل الكلمة والصوت والنغم تشكل إطار الجملة ، وتعمل على بناء المعنى ، فهذا لا يعوق دراسة الخطاب من وجهة نظر لسانية .

الكلمات الدالة -

الخطاب ، اللسانيات المعاصرة ، مفهوم الخطاب ، الكلمة والصوت ،

Speech Analysis From Linguistics To Semi

Abstract -

If The Indication Of Speech In Latin Dictionary Contains The Discussion And Also The Meaning Of Elocution So The Modern Linguistic Defined The Geography Of Speech At The Boundaries Of Sentence ,Whereas It Got Interest By Describing It As A Union That Contains A System Condition . And It Is Not Available To Division Also If We See The Meaning Of Speech As It Is Pronounced And That It Forms Substantial Union Submissive To The Meditation .In Fact The Speech Is A Hierarchy Of Followed Sentences That Form Its Meaning At The End.This Given Conception Of Sentence Does Not Decrease Its Value Of Approaching To The Meaning Of Speech .So If Elements Such As :Words ,Voice And Tone Form The Frame Of The Sentence And Building The Meaning This Does Not Impede The Study Of Speech From A Linguistic View

Keywords-

The Speech ، Contemporary linguistics ، speech Concept

لسانيات الجملة:

إذا كانت دلالة الخطاب تتضمن في المعجم اللاتيني الحوار وكذا معاني الخطابة فإن اللسانيات المعاصرة حددت جغرافية الخطاب عند حدود الجملة ، حيث حظيت بالاهتمام والدرس بوصفها وحدة تتوافر على شرط النظام . وهي غير قابلة للتجزئة ، وإذا أمعنا النظر في ماهية الخطاب على أنه ملفوظ يشكل وحدة جوهرية خاضعة للتأمل . ففي حقيقة الأمر فإن الخطاب ما هو إلا تسلسل من الجمل المتتابعة التي تصوغ ماهيته في النهاية .

وهنا يظهر مأزق اللسانيات أو محدوديتها على الأصح . في معالجة إشكالية الخطاب لأنها تحصره في نطاق الجملة التي نظر إليها اندريه مارتيني Andre Martinet أنها أصغر مقطع ممثل بصورة كلية وقامة للخطاب . غير أن هذا لا يفضي إلى عجز الدراسات اللسانية في عدم قدرتها على معالجة قضايا أكبر من الجملة ، وبالتالي عدم عجزها عن تحليل الخطاب . فهناك تباين في تحديد بنية الظاهرة

اللغوية . فعلماء اللغة يحددون الكلمة بأنها "وحدة في جملة تحدد معالم كل منها بإمكانية الوقوف عندها" والجملة هي. "تتابع من الكلمات والمرقمات التنغيمية"⁽¹⁾ وهكذا تتداخل الكلمة والجملة في مفهوم متلاحم ، وعليه فإن الجملة تتشكل من "مجموع الوحدات التي يصح أن يقف بينها (الكلمات) بالإضافة إلى درجة الصوت والتنغيم والمفصل ، ونحو ذلك مما يدخل في إيضاح المعنى "⁽²⁾.

إن هذا المعطى التصوري للجملة لا يقلل من قيمة اقترابها من مفهوم الخطاب ، فإذا كانت عناصر مثل الكلمة والصوت والنغم تشكل إطار الجملة ، وتعمل على بناء المعنى، فهذا لا يعوق دراسة الخطاب من وجهة نظر لسانية .

إسهامات اللغويين العرب

إن المفهوم السابق للجملة يقترب كثيرا من أطروحات علماء اللغة العربية عندما يعرفون ما . الكلام على أنه كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لعناه . وهو الذي يسميه النحويون الجمل ، "نحو: زيد أخوك ، وقام محمد، وضرب سعيد، وفي الدار أبوك ، وصه ومه ورويدا... فكل لفظ مستقل بنفسه وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام "⁽³⁾. ويشير ابن هشام إلى تحديد ماهية الجملة بمنطق اللساني المعاصر، لأن الخطاب اللساني وضع أسسا اللساني المعاصر هو، لأن الخطاب اللساني وضع أسسا ابستمولوجية لمنطقاته المنهجية عندما أوضح الفروق القائمة بين اللغة والكلام ، كما هو الشأن لدى دي سوسير في كتابه دروس في اللسانيات العامة إن "الكلام هو القول المفيد بالقصد ، والمراد بالمفيد ما دل على معنى يحسن السكوت عليه "⁽⁴⁾، وهو التصور ذاته الذي نلغيه عند هاريس

إن اللغويين العرب أولوا أهمية كبرى للكلام وربطوه بماهية الجملة وقسموا عناصرها إلى اسمية وفعلية من حيث موقع المسند والمسند إليه وما أنجز عنها من علاقات حددها

¹ ماريو باي : أسس علم اللغة _ ترجمة : أحمد مختار عمر _ ص 112.

² المرجع السابق : ص 113.

³ ابن جني : الخصائص ج 1/ ص 18.

⁴ ابن هشام : مغني اللبيب - ص 490.

تمام حسان في العلاقات السياقية (القرائن المعنوية وحصرها في الإسناد) والتخصيص والنسبة والتبعية والمخالفة⁽⁵⁾.

إذا كانت الجملة هي الكلام عند ابن جني، فهي تقابل القول عند سيبويه، أما جار الله الزمخشري فعرف الكلام بأنه "المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى... وذلك لا يتأتى إلا في اسمين كقولك زيد أخوك، وبشر صاحبك أو في فعل واسم نحو قولك ضرب زيد وانطلق بكر ويسمى جملة"⁽⁶⁾، إن تصور اللغويين العرب للجملة وصلتها بالكلام لا يخلو من غموض وتناقض في بعض الأحيان.

هناك تصور آخر للعلاقة بين الجملة والكلام نتيجة للفروق التي تكمن بينهما فيقول الرضي "والفرق بين الكلام والجملة أن الجملة ما تضمن الإسناد الأصلي سواء كانت مقصودة لذاتها أولا كالجملة التي هي خبر المبتدأ وسائر ما ذكر من الجمل.. والكلام ما تضمن الإسناد الأصلي وكان مقصودا لذاته فكل كلام جملة ولا ينعكس"⁽⁷⁾.

بين لسانيات الجملة ولسانيات الكلام

هناك إذن _طرحان يتمثلان في لسانيات الجملة ولسانيات الكلام، فأين نضع مفهوم الخطاب ضمن هذين الطرحين. فإذا قررنا بأن الخطاب مجموعة جمل تتوافر على شرط النظام، حتى يتسنى درسه وملاحظته فإننا نكون قد صدمنا المنطق الصارم للسانيات التي تحدد موضوعها في الجملة ولا تتجاوزه. فإن الخطاب كما يرى رولان بارت "يمتلك وحداته وقواعده و" نحوه":

فما بعد الجملة، ورغم أن الخطاب مكون فقط من جمل، فمن الطبيعي أن يكون الخطاب (هذا لما بعد) موضوعا للسانيات ثانية. وقد كان للسانيات الخطاب هذه، ولفترة جد طويلة، اسم مجيد (إلا وهو) البلاغة. لكن وكنتيجة للعبة تاريخية، وبانتقال البلاغة الى صف الآداب الجميلة،

⁵ ينظر: تمام حسان اللغة العربية معناها ومبناها _ ص 189، 204.

⁶ الزمخشري: المفصل _ ص 6.

⁷ الرضي: شرح الرضي على الكافية _ ص 52.

وانفصال هذه الأخيرة عن دراسة اللغة فقد أصبح من اللازم حديثا العودة إلى إثارة المشكل من جديد⁽⁸⁾.

إن إثارة بارت لهذا المشكل كان منطلقه الاقتراب من فكرة البنية السردية ولفتها وبالتحديد دراسة ما بعد الجملة ويبدو ظاهريا نقد بارت لجمود اللسانيات عند حدود ضيقة محصورة في الجملة لكنه يرى بأنه لا مندوحة من مقارنة البنية السردية من منطلق لساني إلى درجة إقراره بمعقولية "التسليم (بوجود) علاقة تماثلية بين الجملة والخطاب، (وذلك) اعتبارا إلى أن نفس التنظيم الشكلي، هو ما ينظم ظاهريا كل الأنساق السيميائية مهما اختلفت موادها وأبعادها: هكذا سيصبح الخطاب "جملة كبيرة" (ولا تكون وحداتها بالضرورة جملا) تماما مثلما ستكون الجملة في استعانتها ببعض المواصفات "خطابا صغيرا" (...) فمن المشروع إذن التسليم بعلاقة ثانوية بين الجملة والخطاب ومنسمي هذه العلاقة اعتبارا لطابعها الشكلي المحض، علاقة تماثلية⁽⁹⁾ "وانطلاقا من هذه الفرضية التي وضعها بارت خلص إلى أن السرد من وجهة التحليل البنيوي يعد "طرفا في الجملة دون أن يكون في المستطاع أبدا اختزاله إلى "مجرد" مجموعة من الجمل. فالسرد جملة كبيرة. وهو يكون بطريقة ما مثل كل جملة تقريرية Conaontative مشروع سرد صغير⁽¹⁰⁾

لا تزال حقول تحليل الخطاب تتراوح بين الذين يتشبثون بمنطق صرامة اللسانيات وتضييق مجالاتها المعرفية وبين من يدعون إلى نهج المرونة في الاقتراب من فضاءات الخطاب وتوسيع مجالات اللسانيات لتشمل رحابة المعرفة وتشعباتها ولاسيما أن فلسفة العصر الحديث هي اللغة بوصفها قناة لكل معرفة متوخاة.

المرجعية اللسانية في تحليل الخطاب

بظهور اللسانيات التاريخية في القرن التاسع عشر كانت القواعد العامة تبحث عن إيجاد تفسير للاستعمالات الخاصة للغة وفق قواعد عامة تتأسس حول المنطق. وقد

⁸ رولان بارت: التحليل البنيوي للسرد _ ترجمة: مجموعة من المؤلفين مجلة آفاق المغربية

ع: 8، 9 _ 1988 _ ص 9.

⁹ المرجع السابق: ص 9.

¹⁰ المرجع نفسه: ص 9.

كان اللغويون العرب القديس سابقين إلى رسم هذه الاستراتيجية للغة العربية . فتأسس على أيديهم علم أصول النحو مستثمرين المنطق اليوناني وعلم أصول الفقه . غير أن ميلاد اللسانيات التاريخية في أوروبا حدد تصورات جديدة لم تكن متبلورة في السابق ، مثل التغيرات التي تشهدها اللغة فهي ليست رهن الإرادة الواعية للبشر وإنما ضرورة داخلية . كما أنها طبيعية وتخضع للتنظيم الداخلي للغات .

ومن أبرز معالم اللسانيات التاريخية ظهور مؤلف الألماني في. بوب F-Bopp "نظام التصريف للغة السنسكريتية مقارنة مع اللغات الإغريقية واللاتينية والفارسية والجرمانية" عام 1816. فقد كان إعلانا عن ميلاد النحو المقارن ، رفقة الأخوة شليجل وجريم وشليغر. فسمح بإيجاد القرابة بين اللغة السنسكريتية المقدسة للهند القديمة وأغلب اللغات الأوروبية القديمة والحديثة . وأخذت الدراسات اللسانية هذا المنحى حتى مع "النحويين الجدد" في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، الذين تطلّعوا إلى تجديد النحو المقارن . بحيث دعوا إلى تفسير التغيرات الحاصلة داخل اللغة وعدم الوقوف عند وصفها، ورأوا أن الأسباب الوحيدة القابلة للمراجعة هي البحث عن نشاط الفاعلين المتكلمين ، وفضلوا تحديد مسافة لدراسة التغيرات اللغوية . وكما هو واضح فإن طبيعة اللسانيات التاريخية وموضوعاتها لم تسمح بمعالجة موضوع الخطاب معالجة ذات صلة بجوهر اللفظ . فالتحليل التعاقبي الذي طبع المنهج التاريخي في الدراسات اللغوية فرض على الباحث السويسري فرديناند دي سوسير F. desoussure أن يؤسس معالم اللسانيات البنيوية ، ويرسم خطابا ابستمولوجيا يتعامل مع نظام اللغة بمنطق علمي جديد لا يخفي أصوله الفلسفية والعلمية (علم الاقتصاد/ علم الاجتماع .. الخ) . وأبرز المقولات اللسانية التي انتهى إليها هي:

1- مقولة التزامن والتعاقب DIACHRONIE SYMCHAROMIECET

2- اللغة والكلام ETPAROLE LANGUE

3- النسقي والاستبدال ET PARADIGMATIQUE SYNTAGMATIQUE

4- اعتبارية العلامة (الدال والمدلول) .

إن التحليل البنيوي للغة ترك مجالا واسعا وفضاء خصبا لدراسة الخطاب من مستويات عديدة : - المستوى الصوتي

- المستوى التركيبي.
- المستوى الصرفي
- المستوى الدلالي
- المستوى المعجمي
- حتى المستوى البلاغي

وذلك انطلاقاً من أطروحات إبستمولوجية لعلم اللغة . والتعيين بينها وبين الكلام الذي يتسم بالتصرف الفردي للمؤسسة الاجتماعية للغة ، فهو نشاط يتسم بالتحويل والتغير ويتيح فرصاً لتحليله من توجهات علمية عديدة : نفسية ، اجتماعية ، انثروبولوجية .. الخ .

وضعية تحليل الخطاب

إن مصطلح الخطاب يرادف الكلام لدى سوسير، إن مصطلح الخطاب يرادف الكلام لدى سوسير، وبالتالي يعارض اللغة ومن سمات الكلام التعدد والتلون والتنوع ، لهذا فإن اللسانيات لم ترفيه حدة الموضوع التي يمكن للعلم أن يقبل عليها بالدرس والملاحظة . لقد فرق فرديناند دي سوسير بين اللغة والكلام : "إن اللغة والكلام عندنا ليسا بشيء واحد، وإنما هي منه بمثابة قسم معين وإن كان أساسياً ، والحق يقال ، فهي في الآن نفسه نتاج اجتماعي للملكة الكلام ومجموعة من المواضع التي تبناها الكيان الاجتماعي ليتمكن الأفراد من ممارسة هذه الملكة . وإذا أخذنا الكلام جملة بدأ لنا متعدد الأشكال متباين المقومات موزعاً في الآن نفسه ، إلى ما هو فردي، وإلى ما هو اجتماعي... أما اللغة فهي على عكس ذلك ، كل بذاته ومبدأ من مبادي، التبويب " (11)

ويمكن استنتاج خصائص الخطاب بالمفهوم السوسييري بأنها تتوافر على العنصر الفيزيائي (الموجات الصوتية) والعنصر الفيزيولوجي (التصويت والسمع) والعنصر النفسي (الصور اللفظية والمتصورات) وتنحصر طبيعة دراسته في قسمين : أولاً : قسم جوهري يركز موضوعه على اللغة ذات الطابع الجماعي المستقل عن الفرد . وهو أقرب إلى الدراسات النفسية التي تحلل الخطاب تحليلاً نفسياً بحتاً .

¹¹ دي سوسير : دروس في الألسنية العامة _ ترجمة : مجموعة من المؤلفين التونسيين . ص :

ثانيا : قسم ثانوي ينحصر موضوعه في الجانب الفردي من الكلام (اللفظ بما في ذلك عملية التصويت) ويتعلق بالجانب النفسي الفيزيائي. ولكن مهما يكن من فروق بين اللغة والكلام فإنهما متلازمان ومتواصلان وعلى الرغم مما يبدو للوهلة الأولى من أن دي سوسير قد أهمل لسانيات الكلام وأبعدها من صفتها العلمية لافتقارها لعنصر الانسجام والوحدة ، ويرى بعض الباحثين بأن "سوسير لم ينف الكلام ، ولم يبعده من الدراسة اللسانية ، كما قد توهم البعض ، إلا لما كان مقبولا حديثه عن لسانيات الكلام ، والمراد بذلك أن الكلام - أي الذات المتكلمة - لا يغيب في الدراسة اللسانية إلا مؤقتا وفقا لمتطلبات منهجية مادام يستحضر ويخصص له حيزا في الدراسة اللسانية . صحيح أنه ليس من صميم الدراسة اللسانية الصارمة لأن دراسته لا تقوم إلا بتدخل عدة علوم ، أي عدة مناهج تختلف من حيث الطبيعة والجوهر مع المنهج اللساني المقترح . لهذا السبب أكد سوسير على ضرورة التمييز بين هذين النوعين من الدراسه "(12).

إن الوقائع الكلامية في واقع الأمر لم تحظ بالاهتمام العلمي الكبير من قبل سوسير كما هو الحال بالنسبة للغة ، لهذا فإننا لا نحصل على متصورات منهجية وأسس ابستمولوجية لعلم الخطاب في دروس سوسير .، وقد أثر ذلك سلبا في الدرس اللساني حيث مال الى التضيق والحصار. وقد دعا بعض علماء اللغة المعاهوين إلى تخليص اللسانيات من الجمود والضيق ، والانتقال بها إلى مجال الحركة والسعة . وقد دافع نوام تشومسكي عن هذا الاتجاه حين حدد واحدة "من الإشكاليات الإستراتيجية الرئيسية عندما يتساءل عن المدى الذي يحرز هذا التضيق المتعمد كمصدر للتبصر العلمي العميق ، وهل ينتفىر بانتفاشه ثم عن المدى الذي يقلل به هذا التضيق إمكانيات الاكتشافات الهامة"(13).

لكي تحقق اللسانيات استكشافات جديدة في مجال علم "تحليل الخطاب" ينبغي أن تفك عزلتها بالتفاعل مع حقول العلوم الإنسانية . ولا تبقى حبيسة زاوية ضيقة

¹² حنون مبارك : مدخل للسانيات سوسير _ ص : 36.

¹³ ينظر يوسف الطعاني : اللغة كأيدولوجية _ مجلة الفكر العربي المعاصر لبنان _ ص :

ومحدودة ، وهذا الطموح يسمح بإبراز قضايا كثيرة تتعلق بالإشكالية اللسانية وموقع تحليل الخطاب ، وسيفني ال إشارة أسئلة جوهرية ذات صلة بنظرية النص ونظرية القراءة ، والشروط التي تحيط بفضاء الخطاب منها ما هو معرفي ومنها ما يتصل بالسوسيو تاريخي عندما أشار دي سوسير الى السيميولوجية ، ذلك العلم الذي لم يكن سوى تصور أتاح إمكانات دمج اللسانيات في منظومة العلوم الإنسانية واحتكاكها بالعلوم الأخرى. وهكذا فإن اللغة بالمفهوم السيميولوجي أضحت مجموعة من العلامات وأن الظاهرة اللغوية هي ظاهرة سيميائية ستكون مادة خصبة للمنهج السيميائي في تحليله للخطاب مع تجاوز الثنائية السوسيرية (اللغة الكلام) مع التركيز على اهتمام السيميائي بالاجتماعي ، وحينئذ سيصير الكلام بوصفه انجازا فرديا غير ذي أهمية في مجال البحوث السيميائية .. وقبل هذا فإن التحليل البنيوي استفاد من المنهجية اللسانية فصار تحليل بنية النصوص في ذاتها ولذاتها، وذلك بفضل المقولة التزامنية في دراسة اللغة .

يثني لويس يامسليف L. Hjelmslev على جهود دي سوسير ويعدّه المؤسس الأول للسانيات البنيوية ، على الرغم مما يبدو من إخلاصه العلمي لدى سوسير، إلا أن توجهاته العلمية واهتمامه بالمنطق الرياض ومعرفته الواسعة باللغات القديمة والحديثة ، مكنته من صياغة لسانيات موسومة بالروح الرياضية فكانت منظوميته Glossématique إضافة نوعية للدراسات اللسانية المعاصرة . فاللغة لا يمكن - في نظره . فصلها عن الإنسان ، فهي الأداة التي بفضلها يمكن صياغة مشاعره وانفعالاته وجهوده وإرادته وحالاته ، فبها يمكن أن يؤثر ويتأثر⁽¹⁴⁾. وتتركز اهتمامات الألسنية حول مسألة البنية⁽¹⁵⁾، لهذا يتجاوز المستوى الفونولوجي ليهتم بمشكلات التعبير ووحدات المحتوى. فاللغة هي قبل كل شيء شكل وهي في أن واحد تعبير ومحتوى . وقد استطاع يامسليف تأسيس حلقة كوبنهاجن وتشكيل فرق للعسل ، وتكوين نظرية prolegomenes لمدة عشر سنوات من البحث العلمي المبني على النظرة التجريبية

therie du - langage ed. Minuit -Paris Hymssler , Prolerrnines a ume¹⁴ .pp.9

.Hymssier: esrais linginstigues- ed: Minuit Paris pp. 29¹⁵

القائمة على الملاحظة والاختيار. فالدرس اللساني يتسم في رأيه بالانسجام والشمول والبساطة ولهذا يرى أن النظرية اللغوية نظرية استنباطية تشتمل على مبدأ الكلية Totalite فهي قابلة للتطبيق على جميع اللغات الإنسانية .

إن يامسليف يحدثنا عن مبدأ التحليل وصيفه ونلفي حديثا عن النص في كتاباته ولا نجد تصورا علميا واضح المعالم عن الخطاب ، باستثناء حديثه عن محتوياته السيميائية وعن اللغة الإيحائية . حتى اللسانيات الوظيفية التي تراهن على مفهوم التواصل بوصفه أهم الوظائف الأساسية للغة وارتباط التطور اللغوي بمبدأ الاقتصاد . لم تعالج موضوع الخطاب . وهكذا بدا وكأنه ليس من صميم الإشكالية اللسانية . وإن كانت المدارس اللسانية تعالج قضايا جوهرية ذات صلة بتحليل الخطاب . فنجد اندريه مارتيني يتحدث عن التحليل التركيبي للمدونة أو المتن على أنه مجموعة علاقات الترابط ، في الفصل الرابع من كتاب "عناصر اللسانيات العامه " الذي خصصه للوحدات الدالة نجد تحليلا للملفوظات ولكن انطلاقا من مفهوم التواصل للغة ، فهناك مقاربات لتحليل مستويات الخطاب ، دون الحديث عن ماهيته ويمكن أن نخلص الى نتيجة أن موضوع الخطاب وجد فراغا كبيرا في أطروحات بعض المدارس اللسانية الحديثة⁽¹⁶⁾ . على الرغم من أنه أصبح حقيقة فرضت استعمالها في حقل علم المصطلحات وأصبحت متداولة في أدبيات العلوم الإنسانية ، حتى لازمت بعضها منها . فنجد حديثا شائعا لدى العامة عن الخطاب السياسي . وتحولاته وخصائصه ، وأصبح بديلا لمفهوم الخطبة والخطابة في التراث الإغريقي والتراث العربي الإسلامي .

إن إميل بنفيست على E . Benveniste . يعالج مشكل الخطاب معالجة لسانية فالجملة بالنسبة إليه وحدة لسانية لا تؤلف صنفا شكليا من الوحدات المتعارضة بينها ، مثل تعارض القوانين الفونيمات أو الفونيمات مع المورفيمات ، أو المفردات مع المفردات . هناك طرح منهجي مهم جدا يشير إليه جان ديبوا Jean dubois عندما يقول "مع

¹⁶ - guistique elements de lin : Andre Mastinet -

الجملة نترك إطار اللغة بوصفها أداة للتواصل . في هذا المجال تتوقف الجملة أن تكون موضوعا... وتصير وحدة فالجملة هي وحدة الخطاب ⁽¹⁷⁾.

يركز إميل بنفيسة على قيمة عملية التلفظ التي لم تنل اهتمام اللغويين القدامى، فقد كان ينظر إليها بوصفها موضوعا لا يندرج في نقاط الدراسة اللسانية . ولكنها أضحت مادة جديرة بالاهتمام نظرا لأنها تنقل اللغة من سكونيتها إلى حركية الاستعمال الفردي (الكلام والخطاب)، إن الجهاز الشكلي للتلفظ عنصر من عناصر اللغة التي تشكل ماهية الخطاب . فتحديد العلاقة بين الباث والمتلقي، تسمح للفاعل المتلفظ أن يجد منزلة في الخطاب، وقد يجد أيضا الفلسفة ضالّتهم في البحث عن الذاتية التي تتجل في حرية كلام الفاعل المتلفظ الفردية . إن بنفيسة يراهن على مركز الفاعل المتلفظ في الخطاب، وهذا لا يعني تطابق الذاتية المغلقة مع الجهاز الشكلي لعملية التلفظ، فهو بذلك يكون قد أسهم في إدخال عالم الخطاب إلى اللسانيات، ويعد من الموضوعات الجديدة في حقل دراسات اللسانيات المعاصرة، التي ما فتشت تعرف استكشافات علمية، وصعوبات منهجية، وهكذا تم توسيع نطاق موضوع اللسانيات ولاسيما عملية التلفظ وصلتها بالخطاب الذي حفز الدراسات على البحث عن مناهج التحليل . إن ربط تصور الملفوظ بالخطاب كان يقتضي وضع قواعد للتسلسل وللمسار الذي يتوافر على قابلية التعبير بالكلام، غير أنه ينبغي الإشارة إلى أن الملفوظ وحده لا يحدد الخطاب إلا إذا أضيفت إليه وضعية الاتصال .

situation de comminucation + enoncé = dis cours

التحليل التوزيعي

إن النظرية التوزيعية في اللسانيات الحديثة، أسهمت بفضل جهود بلومفيلد (Ploomfield) (وهاويس Z. S. Harris) في دراسة قواعد الجمل، وتحليلها بوصفها وحدات ممكنة في لغة معينة بمعنى يجب أن تتوافر فيها القابلية للتحقيق بهذا التصور لقواعد الجمل يظل تحليل الخطاب يبحث عن معرفة المقاييس وبنائها، وكذلك اعتبار مجموعة من السلسلات الوصفية على أنها متتاليات لجمل ملفوظة

Dictionnanes de - linguistique - ed: laroux : Jean Dubois e1 outs ¹⁷

(Phrases - enonces) فهي تشكل في نظر هاريس مؤسسة لشبكات من التكافؤ بين جمل وجمل متتالية . ويحيلنا ريمون طحان ودينين بيطار طحان إلى التجريد الذي لازم غراما طيق الجمل وما تفرع منها من مفاهيم استقتها من اللسانيات وعلم الدلالة فمنها:

- مفهوم الأصولية : هي الجملة التي تتمتع بالصحة الدلالية والمنطق اللغوي، فهي تخلو من التنافر الصوتي، وتخضع بنيته التركيبية لقواعد اللغة .
- مفهوم دلالة الجملة : هناك إشكال معرفي تجده اللسانيات في تحديد ماهية الجملة . فإذا كانت "تتألف من عناصر تعود إلى ثبت مغلق ، ومن أصوات محدودة العدد ترتبط بالمعنى (...) ولكن ... هناك بنى وجمل تختلف في معناها وتحقق بأشكال متشابهة ، وهناك أيضا بنى وجمل تتشابه في معناها وتحقق بأشكال مختلفة" (18) .

إن تحليل الخطاب دفع هاريس إلى تعريف مجموعة التكافؤ والتقارب . بين ملفوظين حتى يبرز طريقته المنهجية التي ركزت على النص الاشهاري، ويشير ديبوا إلى المفهوم الجديد عن طريق نص تم بناؤه . فالخطاب السياسي لحرب الجزائر مثلا قد درس على أساس أنه الخطاب الذي دفع إلى تمثيل العلاقة الموجودة بين موضوعات الجزائر وفرنسا (19) .

لقد ارتبط التحليل التوزيعي بالنزعة السلوكية (Behavieorisme) التي راجت في الولايات المتحدة الأمريكية بداية منذ سنة 1920، فكان من أهدافها تحقيق الموضوعية في دراستها، وقد حمل لواءها ليونار بلومفيلد ، وتجلت مبادي، المدرسة التوزيعية في محاولتها لتحليل الخطاب ودراسة توزيع الوحدات اللسانية عن طريق المدونة (Corpus) والوحدات كما أسلفنا القول _ غير أن الذي يميز هاريس اختياره لطرائق التعامل مع النصوص اللغوية . فالنص الاشهاري يمتاز بتكرار الأشكال التي بالوصول الى بنيته . وكذلك تأكيد على العلاقات القائمة بين الجمل وتفضي الى سلسلة من الجمل المتكافئة ، وعليه فإن مبدأ التحويل الذي أقره هاريس يتضح في

¹⁸ ريمون طحان ودينين بيطار طحان: فنون التعقيد وعلوم الألسنة - لبنان - ص 292.

¹⁹ Jean Aulois autres :Aictionsire de linguistique -pp.158.

تحليل العلاقات التي تؤلف بين الجمل ، وهذا التصور أضفى الصفة الإجرائية لعملية تحليل الخطاب ، بل يعد لبنة من لبنات "علم الخطاب" .

تعد إضافات المدرسة التوليدية التحويلية امتدادا لجهود بلومفيلد وهاريس ويمكن وضع مفهوم الخطاب في مقابل ثنائية نو شمسكي (N. Chomsky) (الكفاية والأداء اللغوي). إن ما يمكن استخلاصه من نظرية نو شمسكي تخطيها للدراسة السطحية التي تنتهجها اللسانيات البنيوية ولا تتعدها للبحث عن المستوى العميق للكلام ولا تأخذ مبدأ التأويل في حساباتها. إن الدرس التوليدي التحويلي يعالج عملية التكلم ومكانيزماتها التي تظهر في الاستعمال المبدع للغة .

التحليل السوسولوجي للخطاب

يربط باختين M.Bakhtine نظرية اللفظ بمستويات التركيب ، لأن كل تحليل للخطاب في تصوره تحليل لمتن التلفظ الحي. وهو سمة من السمات المحسوسة لأفعال الكلام كما أنه يلاحظ قصور اللسانيات في احتواء موضوع التلفظ ، ويبدو هذا لعجز اللساني واضحاً في الاهتمام بالجملة وعدم الاقتراب من الخطاب. إن اللساني يشعر بارتياح أكثر وسط الجملة ، وكلما اقترب من تخوم الخطاب من (التلفظ) العام ، فهو ليس مسلحاً لتناول الكل ، ليس من بين مقولات اللسانيات مقولة تصلح لتحديد الكل . والواقع أن المقولات اللسانية لا يمكن تطبيقها في حالتها هذه إلا داخل (التلفظ) ⁽²⁰⁾.

إن الخطاب في مفهوم باختين يعيد مسألة خطاب الآخر ويتجسد في الخطابات اللسانية (خطاب مباشر، خطاب غير مباشر ، خطاب غير مباشر حر) ، لهذا يراهن على المنهج الاجتماعي في اللسانيات ، وضرورة تفسير واقعة خطاب الغير تفسيراً سوسiolسانيا ويعرف الخطاب المروي بأنه "خطاب في الخطاب ، وكفض في التلفظ ، .. لكنه في الوقت ذاته خطاب عن الخطاب وتلفظ عن التلفظ" ⁽²¹⁾. كما أنه يتمتع باستقلاله البنيوي والدلالي .

²⁰ ميخائيل باختين: الماركسية وفلسفة اللغة - ترجمة: محمد البكري ريمني العيد - ص

²¹ المرجع السابق :155.

علاقة الخطاب بالحوارية

إن مصطلح الحوارية الذي استثمرته _ فيما بعد - جوليا كريستيفا وشاع في أدبيات الخطاب النقدي الجديد وعرف بالقناص Intertextuelle يشير الى اقترام اللسانيات للمجالات التي كانت تعتقد أنها ليست موضوعا لبحثها، "فالوحدة القاعدية الحقيقية للسان - الكلام ليست هي التلفظ - الحوار الداخلي الوحيد والمعزول ، كما هو معروف ، ولكنها تفاعل تلفظين على الأقل أي الحوار"⁽²²⁾. ويثير باختين أسئلة جوهرية في مسألة علاقة الخطاب بالحوارية .

"كيف ندرك ، في الواقع خطاب الغير؟ كيف تحس الذات المتلقية ، في وعيها بتلفظ الغير، هذا الوعي الذي يعبر بواسطة الخطاب الداخلي ؟ كيف يستوعب الوعي الخطاب بفعالية ، وما هو التأثير الذي يمارسه الخطاب على توجيه الكلام الذي يكفّظ به المتلقي من بعد ؟"⁽²³⁾ لقد طورت هذه المفاهيم تحليل الخطاب الروائي ووثقت الصلة بين اللسانيات والتحليل السوسيوولوجي. ونجد تحديدا لأنماط الحوارية في الرواية لدى باختين وتتصل في التهجين والعلاقة المتداخلة ذات الطابع الحوارية بين اللغات والحوارات الخالصة .

إن مفهوم الحوارية معرفه تدورون T.Todorov بقوله "كل علاقة بن ملفوظين تعتبر ثنائيا.. فكل نتاجين شفويين ، أو كل ملفوظين محاور أحدهما الآخر، يدخلان في نوع خاص من العلاقات الدلالية نسميها علاقات حوارية"⁽²⁴⁾. وانطلاقا من هذا التصور وجه باختين نقدا للاستلوية ، وقدم قراءة لتاريخ الأساليب من منطلق سوسيوولوجي.

1 - الوثوقية السلطوية (العصور الوسطى) وتتميز بالأسلوب الفخم السطري وغير مسند إلى شخص في بث خطاب الغير.

2- الوثوقية العقلانية (القرنان 17 و18) وتتميز بالأسلوب السطري الأدق والأرق والأوضح

²² نفسه: 157.

²³ نفسه: 157.

²⁴ Mileal T. Trdorov - le principe dialogique - pp 95 - 95.

- 3- النزعة الفردية الواقعية والنقدية (نهاية القرن 18 والقرن 19) وتتميز بأسلوب مجازي منسق والميل إلى تسريب الخطاب المروي من خلال أجوبة وتعليقات المؤلف .
- 4 - النزعة الفردية النسبوية (المرحلة المعاصرة) وتتميز بإذابتها للسياق السردى .
- وخصص في كتابه "الماركسية وفلسفة اللغة" الفصلين الأخيرين للخطاب غير المباشر والخطاب المباشر ومتغيراتها ، والخطاب غير المباشر الحر في الفرنسية والألمانية والروسية وهي دراسة مقارنة . لقد كان ميخائيل باختين نموذجاً لما ينبغي أن يسلكه اللساني لكي يتخلص من الجمود والعزلة . ولقد وجدت السيميائيات المعاصرة في مفاهيمه حول تحليل الخطاب والحوارية ما جعلها تحقق تقدماً نوعياً في تحديد مسار الأبنية الجديدة لعلم ما زالت تتنازعه عدة حقول معرفية .

بعد أن تستعرض جوليا كريستيفا مفاهيم الخطاب لدى اللسانيين التي سبقت الإشارة إليها تخلص إلى أن الخطاب "يدل على كل كفظ يحتوي داخل بنياته الباث والمتلقي مع رغبة الأول في التأثير على الآخر"⁽²⁵⁾. وتقدم في مؤلفها (النص المغلق) أيضاً تعريفاً للنص على أنه جهاز فوق لساني يعيد توزيع نظام اللغة ، كما أنه يتحدد عن طريق تبادل النصوص أي القناص ، داخل فضاء النص هناك عدة ملفوظات مأخوذة من نصوص أخرى تكون متقاطعة ومحايده . إن مفهوم الخطاب وعلاقته بالنص والقناص يعد امتداداً لمفاهيم باختين .

التحليل السيميائي للخطاب

إن التحليل السيميائي هو ذاته تحليل للخطاب ، وهو يميز بين "السيميوتيقا النصية" وبين اللسانيات البنيوية "الجمالية". ذلك أن هذه الأخيرة حين تهتم بالجملة تركيباً وانتاجاً _ وهو ما يسمى بالقدرة الجمالية _ فإن السيميوتيقا تهتم ببناء نظام لإنتاج الأقوال والنصوص . وهو ما يسمى بالقدرة الخطابية . ولذلك ، فمن المناسب الآن وضع القواعد والقوانين التي تتحكم في بناء هذه الأقوال وتلك النصوص"⁽²⁶⁾.

إن التحليل السيميائي للخطاب ينطلق مما انتهت إليه جهود اللسانيين حول

²⁵ Le Julia Vristera (ed) Scuit-Paris-pp.: 198 Langage cet inconnue .

²⁶ جماعة انتروفرين: التحليل السيميوطيقي للنصوص - ترجمة: محمد السرغيني - مجلة دراسات أدبية ولسانية - ع2 - 1986 - ص 26.

النظرية العامة للغة ، وبمسائل التصورات التي أحيطت بالخطاب ويقتضي أن يكون متجانسا مع الثنائيات الأساسية : (اللغة / الكلام) _ (النسق / العملية) (process) _ (الكفاية / الأداء الكلامي) ، كما أنه لا يغفل العلاقة التي تربطه بمقوله التلطف . فالمعجم السيميائي لجريماس وكورتيس وهو يناقش مصطلح الكفاية من وجهة نظر تشومسكي ينظر إليها على أنها مجموعة من الشروط الضرورية في عملية التلطف ، كما أنه يتوافر على صورتين مستقلتين لهذه الكفاية :

أولا : كفاية السرد السيميائي

ثانيا : الكفاية القابلة للوصف أو التعبير بالكلام .

بالنسبة لكفاية السرد السيميائي حسب منظور يامسليف وتشومسكي يمكن تصورها على أنها تمفصلات تصنيفية وتركيبية - في الآن ذاته - وليس بوصفها استبدالا بسيطا على منوال دي سوسير للغة فالتحليل السيميائي ينظر لهذه الأشكال السردية نظرة كونية مستقلة عن كل مجموعة لسانية وغير لسانية لأنها مرتبطة بالعبرية الإنسانية . وهنا ينبغي الإشارة إلى فضل مدرسة الشكلايين الروس وعلى وجه الخصوص مؤلف "مورفولوجية الحكاية الخرافية" وتأثيره في المدرسة الفرنسية ذات التوجه البنيوي (كلود بريمون : منطق الحكاية ، جريماس : البنيوية الدلالية ، وكلود ليفي ستروس : البنيوية الأنثروبولوجية) . ولا يستطيع أن ينكر أي باحث بأن عبقرية بروب وبحوثه العلمية كانت تمهيدا لظهور التركيب السردى وقواعده .

أما فيما يخص الكفاية القابلة للوصف ، فبدلا من أن تقام على ساقلة النهر، فإنها تتأسس وفق عملية التلطف مسجلين صياغة الأشكال الملفوظة القابلة للتعبير عنها بالكلام ، ويرى مؤلفا المعجم السيميائي بأن الحديث عن الطبيعة المزدوجة للكفاية تعد ضرورة لانجاز تصور جديد ومضبوط للخطاب .

وفي كل الأحوال فإن الخطاب يطرح مسألة علاقته بالتلفظ وبالتواصل . ولكن المجال السيميائي يهتم بأطره المرجعية مثل الإحياء الاجتماعي ونسبته للسياق الثقافي المعطى المستقل داخل تحليله التركيبي أو الدلالي . إن نمطية الخطابات القابلة للتشكل داخل هذا المنظور ستكون إيمائية خالصة ، ومهما كانت التعريفات الإيمائية للخطاب مجردة فإن مشكلة معرفة ماهية الخطاب تبقى مطروحة ، وحتى عندما يحدد

الخطاب الأدبي بأدبيته (Litterarite) كما نادى بها الشكلاونيون الروس⁽²⁷⁾. فالأدب في تصورهم : "نظام من العلامات Signes دليل مماثل للنظم الدلالية الأخرى، شأن اللغة الطبيعية والفنون والميثولوجيا.. الخ . ومن جهة أخرى، وهذا ما يميزه عن بقية الفنون ، فإنه يبني بمساعدة بنية أي لغة ، إنه ، إذن ، نظام دلالي في الدرجة الثانية ، وبعبارة أخرى إنه نظام تعبيرى خلاق Comrotatif وفي نفس الوقت ، فإن اللفة تستخدم كمادة لتكوين وحدات النظام الأدبي، والتي تنتمي إذن ، حسب الاصطلاح اليامسليفي (Hjelmslsvime) إلى صعيد التعبير، لا تفقد الالته الخاصة ، مضمونها"⁽²⁸⁾.

إن الشكلاونية الروسية حددت المعطيات الخاصة التي يمكن أن نسمي بها خطابا ما أنه أدبي. إن رومان جاكسون هو الذي أعطى لهذه الفكرة صيغتها النهائية حين قال "إن موضوع العلم الأدبي ليس هو الأدب ، وإنما "الأدبية" Litterarite أي ما يجعل من عمل ما عملا أدبيا"⁽²⁹⁾.

لقد عرفت سيميائيات التواصل تقدما فعليا في مجال تحليل الرسالة ، وذلك بتحديد وظائفها الست . على الرغم من الإهمال الواضح لموضوع "الدلالة" ، الذي وجد حرصا كبيرا لدى رولان بارت في إبرازها ضمن توجهات سيميائيات الدلالة ، إن وصف اللغة بأنها نظام للتواصل يتضمن قدرا كبيرا من الانسجام سمح للدراسة اللسانية بالاهتمام بالنموذج الذي رسمه جاكسون : "البث _ الرسالة _ المتلقي _ سنن الرسالة - مرجعيتها). ذلك لأنه مكنها من تجاوز التطبيق اللساني المحصور على جملة محدودة من الخصائص التي تشتمل على الظاهرة اللغوية إلى القراءة اللسانية للنصوص ومظاهر التعبير الأخرى. وإذا كان جاكسون حصر الخطاب بين مرسل ومرسل إليه إلا أن لوتمان أشار إلى نموذج آخر من المتلقي لا يكون بين البث والمتلقي،

Greiruas et constes: senuiotique - Dictionnaire- liaisonne de la ²⁷
theorie du langage ed - Hachette -Paris- 1979-pp. 103.

تزيفطان تودروف وآخرون: في أصول الخطاب النقدي الجديد - ترجمة: أحمد المديني -
ص 13.

بوريس إخنباوم وخرون: نظرية المنهج الشكلي - ترجمة: ابراهيم الخطيب - ص 36.

وإنما هناك خطاب يتجل فيه الحوار الداخلي مثلما هو الشأن بالنسبة إلى السيرة الذاتية فيكون بين الباث وذاته .. وهذا ما نلاحظه في خطاب طه حسين في مذكراته "الأيام".

إن علم الدلالة وهو يصنف أنواعها الى طبيعية وعقلية ووضعية لم تفتته الإشارة إلى مجالات الاتصال سواء أكانت صوتية أم سيميائية ، ويكون إسهام العرب جليا في هذا الميدان ولاسيما في احتكاكهم بالفلسفة اليونانية منها المشائية والميغارية - الروائية . ويذهب عادل فاخوري الى الدرس المقارن بين علم الدلالة عند العرب والسيميائيات الحديثة . ويعطي مثلا مقارنا بين تقسيمات علم الدلالة وتصنيف بيرس الأمريكي للعلامة⁽³⁰⁾.

ايقونة	شاهد	رمز
طبيعية		وضعية
	عقلية	

إشارية

عارض

يمتد طموح الدرس السيميائي بوصفه علما يقارب الأنساق الهملمية إلى تخليص حقول المعرفة الإنسانية من القيود الميتافيزيقية التي تكبلها، وتغوق أبحاثها من الوصول إلى نتائج تجعل منها علوما ذات سلطان لها مكانتها المرموقة في وسط المعرفة الإنسانية المعاصرة . وتمكنها من القراءة العلمية الدقيقة لكثير من الإشكاليات المطروحة ، والظواهر الإنسانية التي لم تتعد إطار التأمل العابر، والتفسير الأفقي الساذج . ولكي يكتسب الدرس السيميائي مشروعية العلم القادر على فحص البنى العميقة للمادة التي يتناولها، ويقترب من عمقها والقوانين التي تركبها، كان لزاما عليه كأى علم أن يحدد منطلقاته المنهجية ومرتكزاته النظرية ويؤسس مقولاته ويمتحن أدواته الإجرائية ويستكشف الحدود التي تفصل بينه وبين العلوم الأخرى، أو التي تقربه منها .

يبدو أن التواصل البشري أعقد من أي تواصل آخر ، لأن استعمال العلامة في هذا

³⁰ ينظر: عادل فاخوري: علم الدلالة عند العرب دراسة مقارنة مع السيميائ الحديثة - ص

المجال لا تتم كما قال فريدينا ند دي سوسير إلا داخل الحياة الاجتماعية ، لهذا يشترط التعاون قصد إيصال الرسالة إلى المتلقي ولن يتحقق ذلك أيضا إلا بالتواضع المتبادل والتوافق حتى يتسنى لأي حوار يقوم بين الباث والمتلقي تقديم أفكار في شكل شيفرات متواضع عليها . لهذا فإن بعض علماء الدلالة انتهوا إلى أن "عملية الاتصال لا تظهر بوضوح في العالم الحيواني، إلا عندما يكون هناك تعاون أو نشاط اجتماعي، إن أي اتصال مرتبط في أساسه بالتعاون ... وأن كل حوار اجتماعي مرتبط بالتعاون" (31).

إن التحليل السيميائي للنسق الاجتماعي يهدف إلى استكشاف نظام العلاقات داخل المجتمع وعلى الخصوص علاقات الأفراد وحاجاتهم لهذا نلقى أن الأنظمة التي سادت في المجتمع البشري لها من العلامات والأنظمة الرمزية الثقافية ، ما تمكن للسيميائي من تحديد شريحة أو فئة أو طبقة اجتماعية ، ففي التنظيم العشائري نرى طقوسا وعادات تتجلى في جملة من العلامات والرموز ما تتميز به عن نظام اجتماعي آخر في طرائق الحفلات والأعراس والمآتم والأعياد وغير ذلك من المظاهر الثقافية .

إذا كنا قد أشرنا سابقا إلى طبيعة التواصل بإشكاله المتعددة فإن هناك شيفرات لكل شكل من هذه الأشكال التواصلية ، فالتواصل الحيواني له علامات خاصة به منها ما استكشفه البحث ومنها ما بقي مجهولا، وكذلك الشأن بالنسبة للشيفرات الطبيعية التي تحدد علامات الطبيعة أو إشاراتها، فيتمكن من تلقي رسالتها ، سواء عن طريق الإدراك الحسي أو العقلي .

فإذا كان الطقس باردا فوق العادة في منطقة يمتاز مناخها بالاعتدال يدرك الإنسان أن مصدر قسوة البرد آتية من سقوط الثلج . أو العكس بالنسبة لاشتداد الحرارة غير العادية والتي تفوق معدلها الفصلي فيدرك بأن مصدرها قد يعود الى وجود حريق . وهذا كله ينتج من وجود علائق قد تكون معقدة بين الشيفرات الطبيعية والتكوين البيولوجي، والحساسية الفسيولوجية للإنسان . ومهما يكن من أمر تبقى - كما أكدنا آنفا - الشيفرات الاجتماعية ، أكثر تعقيدا، وتتطلب جهدا عمليا، وذكاء

Paris ed : Hutropos – Adam Senaf: Introduction a la semantique³¹

.1974 - pp: 194

فطنا لفهم العلامات الاجتماعية ومحاولة تفسيرها، وفهمها فهما عميقا، فالعلامة كما يعرفها أو لمان هي "نتاج اجتماعي واع يتكون من دال ومدلول يمثلان بوجه عام شيئا أو مفهوما غير العلامة - ذاتها"⁽³²⁾.

إن التحليل السيميولوجي يمتد ليشمل جميع الأنظمة السيميوطيقية سواء تمثلة في العلوم الطبيعية أم الاجتماعية أم الثقافية إن هذا العلم كما تنبأ به دي سوسير وتصوره تشارلز سندرز بيرس يطمح إلى أن يكون علما لجميع أنساق العلامات لغوية كانت أو غير لغوية، وما زال المشروع السيميائي يبحث عن معالم تحدد أطره المرجعية، وموضوعاته وممارساته الإجرائية وعلاقاته بالعلوم الأخرى لرسم منهجه، وتوضيح مقولاته بدقة. وهو ما حدا برولان بارت في كتاباته (ميثولوجيات وامبراطورية العلامات عناصر السيميولوجية) إلى إثارة هذه القضايا التي تتعلق بنضج هذا المشروع، فيقولون إن "السيميولوجيا ما تزال بحاجة إلى تصميم ونعتقد أنه لا يمكن أن يوجد أي كتاب وجيز لمنهج التحليل هذا، وذلك على الأكثر بسبب سمته المتسعة (لأن السيميولوجيا ستكون علم كل أنساق العلامات). وأن السيميولوجيا لن تعالج مباشرة إلا عندما تصمم هذه الأنساق على نحو تجريبي". وأمام هذا التراكم السيميائي وما أحدثه من ثورة حقيقية في مناهج العلوم بعامة والإنسانية بخاصة، يجد الباحث تنوعا في الطرح وتباينا في التصور، وتعددا في الممارسة التطبيقية، تلتبس فيها السيميائيات - في بعض الحالات ~ بالنظرية التأويلية، ولكن علم العلامات لم يعد حديثا إلا بتحديد معالمه وبناء مقولاته، وتبيان أدبياته، واختبار نظرياته وأدواته الإجرائية. وإلا فإننا نصادف في تاريخ التفكير الفلسفي على كثير من تصوراته عند الشعوب القديمة التي أسهمت في بناء الحضارة الإنسانية كالفرعنة والبابليين والإغريق والعرب والمسلمين والرومان .. الخ، إن ميلاد هذا العلم اقترن بثورة التفكير اللساني المعاصر نتيجة ارتباطه الوثيق بالمنجزات والاستكشافات التي حققها العلم الحديث.

Voti – S. UiSman : Precis de semantique - Fhamcaise - ed Framcke ³²
1975

قائمة المصادر والمراجع

- 1 - أبو السعود حسنين الشاذلي، المركب الاسمي الإسنادي وأنماطه من خلال القرآن الكريم كليم العلوم جامعة القاهرة، 1990م دارا لمعرفة الجامعية.
- 2- ابن هشام : مغني اللبيب - ص 490.
- 3- الزمخشري : المفصل _ ص 6.
- 4- تزييفان تودروف وآخرون: في أصول الخطاب النقدي الجديد - ترجمة: أحمد المديني - ص 13.
- 5 - ماريو باي : أسس علم اللغة _ ترجمة : أحمد مختار عمر _ ص 112..
- 6- دي سوسير : دروس في الألسنية العامة _ ترجمة : مجموعة من المؤلفين التونسيين . ص : 29.
- 7- عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز في علم المعاني ،بيروت :2003،المكتبة العصرية .
- 8- . عبد السلام المسدي،اللسانيات وأسسها المعرفية.الدار التونسية للنشر.تونس
- 9- . محمد بن يزيد المبرد،المقتضب ،تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة ،عالم الكتب ،بيروت.
- 10- محمد بن علي آدم ،فتح الكريم اللطيف ،شرح أرجوزة التصريف ،ط1،بيروت:2005 ،مؤسسة الكتب الثقافية .
- 11- ميخائيل باختين: الماركسية وفلسفة اللغة - ترجمة: محمد البكري ريماني العيد- ص 150.

المراجع والمصادر باللغة الأجنبية:

- Jean Dubois el outs : Dictionnanes de - linguistique - ed: laroux
pp. 1581.-
- 2- Greiruas et constes: senuiotiique - Dictionnaire- liaisonne de la
theorie du langage ed - Hachelte -Paris- 1979-pp. 103.
- Adam Senaf: Introduction a la semantique - Paris ed : Hutropos
1974 - pp: 1943.-
- 4- Greiruas et constes: senuiotiique - Dictionnaire- liaisonne de la
theorie du langage ed - Hachelte -Paris- 1979-pp. 103.
- Adam Senaf: Introduction a la semantique - Paris ed : Hutropos 1974
- pp: 1945.-
- 6- Voti – S. UiSman : Precis de semantique - Fhamcaise - ed
Framcke 19756



دور القصة في تعليم التعبير الكتابي الإبداعي (قصص محمد صالح ناصر عينة)

محرز عبد السلام. يحيى بن يحيى. نورالدين زراي

- 1- طالب دكتوراه، جامعة وهران،
- 2- (جامعة غرداية)
- 3- (جامعة وهران) مختبر السيميائيات وتحليل الخطابات جامعة وهران 1 أحمد بن بلة ص ب 1524 المنور- 31000 وهران، الجزائر

wissal72@gmail.com

الملخص -

تعدّ القصة من أهمّ الأساليب التربوية والتعليمية، لكونها تنبني على الخيال أو تمزج الخيال بالواقع، وبذلك فهي تؤثر في النفوس، وتثير المشاعر والعواطف، وتنمي مهارات الإبداع، وتثري الرصيد اللغوي والمعرفي للقارئ. وبما أنّ الأطفال يميلون إلى عالم الإثارة والخيال وهو ما توفره القصة، فإنّ المربين والمعلمين كثيرا ما يعتمدون هذا الأسلوب في التربية الخلقية والعقلية والاجتماعية، ويدرجون هذا اللون الأدبي في تعليم الأنشطة اللغوية كالتعبير بغرضه الشفهي والكتابي.

وبناء عليه فقد أردنا من خلال هذا المقال أن نركّز على هذه المفاهيم في محاولة للكشف عن الخصائص التعليمية للتعبير الكتابي الإبداعي الممثل بالقصة من حيث أهميتها والأسس التي تنبني عليها، وتوضيح الأهداف المتوخاة من تعليم التعبير من خلال القصة، والمهارات اللغوية التي تستثمر في تعليم التعبير الكتابي الإبداعي بالقصة.

ومن أجل تجسيد ذلك في الواقع، فقد اخترنا المجموع القصصية لمحمد صالح ناصر لتكون عينة تطبيقية، وبخاصة وأنّه قد ألف في هذا اللون من ألوان

الأدب الموجّه إلى الأطفال والفتيان والشباب بهدف تربيّتهم تربية دينية وخلقية واجتماعية، وصقل مواهبهم، وإثراء معارفهم، وتهذيب ألسنتهم في إطار اللغة العربية الفصحى.

الكلمات المفتاح -

تعليم - تعبير - إبداع - قصة - محمد ناصر.

The Role Of Tales In Teaching Creative Written Expression (Mohamed Salah Ncer's Tales A Sample)

Summary-

The Tale Is One Of The Most Important Educational Styles, Because It Is Based On Imagination Or Fact And Reality. It Affects The Soul, Raises Feelings And Emotions, Develops Creativity Skills, And Enriches The Linguistic And Cognitive Background.

As Children Have An Tendency To The World Of Tales, Educators And Teachers Should Adopt This Approach In Their Moral, Mental And Social Education. They Should Also Include This Literary Genre In The Teaching Of Linguistic Activities For Oral And Written Purposes.

This Research Paper Focuses On The Identification Of These Educational Concepts, The Creative Written Expression, The Tale And Its Importance, And The Foundations On Which It Is Based On. Then, I Show The Objectives Of Teaching Expression Through Tales And The Language Skills Which Are Exploited In Teaching The Creative Written Expression When Using Tales.

The Chosen Model In Teaching This Expression Concept Is The Tales Of Muhammad Salah Nasser, Who Wrote This Genre Of Literature Aimed At Children And Young People For The Purpose Of Giving Them A Religious, Moral And Social Education, Refining Their Talents, Enriching Their Knowledge And Refining Their Tongues In The Classical Arabic Language.

Keywords -

Education - Expression - Creativity - Tale. Mohamed Nacer.

تمهيد -

اللغة آية من آيات الله في الكون، ومن أجلها شأننا وأعظمها إعجازا، ولا أدلّ على ذلك من اختلاف الناس في ألسنتهم ولغاتهم ولهجاتهم، يقول الله عز وجل: "ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إنّ في ذلك لآيات للعالمين" (الروم، 20).

فاللغة وعاء حضاري تختزل ثقافة وتاريخ أي مجتمع من المجتمعات، وتؤثر في بناء شخصية الإنسان وفي انفعالاته وأحاسيسه، وفي منظومة القيم الفكرية والثقافية والاجتماعية، كما أنّها تمكّن الفرد من التفاعل مع محيطه؛ فيوظفها أداة للكشف عن مكنوناته للغير والتواصل معهم، والتعرف على ما قام به الآخرون من نتاج فكري وعلمي وثقافي.

فالיום تواجه اللغة العربية تحديات مختلفة منها الضعف اللغوي وصراع اللغات وتنافسها، مما يتطلب من المعنيين بالأمر في مجال السياسة اللغوية اتخاذ كلّ إجراءات الحماية والعلاج لضمان الأمن اللغوي، والتفكير في وضع آليات عملية لتحسين تعليم العربية وترقيتها، وهذا لن يتأتى إلا بمراجعة المناهج التربوية والمحتويات التعليمية والمتعلقة بالمادة اللغوية من حيث معايير الانتقاء والملاءمة والفعالية، ودعم الفصحى بأساليب تربوية حديثة كأسلوب القصة في التعليم.

إنّ القصة أسلوب من أساليب التعبير الفني، ولها من أهمية في مجال التربية وتنمية الثروة اللغوية، فإنّها تثير اهتمامات الأطفال وتستميل قلوبهم وتأسر وجدانهم، وتحرك عواطفهم ومشاعرهم وتثري رصيدهم المعرفي واللغوي، ولأجل ذلك كان التأليف في أدب الطفل من أصعب الفنون من حيث انتقاء المفردات اللغوية، والدقة في النظم، واختيار الصيغ الصرفية والتراكيب النحوية. وكما على المؤلف في عالم القصص والحكايات أن يكون ذا حسّ مرهف، وقدرة مبدعة على الابتكار يستطيع من خلال كتابته القصة إقامة جسر التواصل بينه وبين الأطفال في مختلف مراحلهم العمرية.

وبناء على ما تقدم فإن أهداف البحث تتلخّص في ما يلي:

1- تبيان أهمية القصة ودورها في تنمية ملكة الإبداع في التعبير لدى المتعلم، ومدى تحقيقها لملكته اللسانية.

2- انتهاج أسلوب تعليم التعبير الكتابي الإبداعي من خلال القصة؛ تشويقا للمتعلم من جهة، وتحبيبا للعملية التعليمية التعلمية من جهة أخرى.

3- بعث روح الاهتمام بالأسلوب القصصي في التربية والتعليم، لصقل مواهب المتعلم، وترقية أدائه اللغوي في عملية التواصل.

4- إدراج القصة في المناهج التربوية مع مراعاة مراحل النمو اللغوي للأطفال.

5- توجيه المعلمين والأساتذة إلى الاهتمام بنشاط المطالعة داخل الأقسام مما يرسخ الملكة اللغوية لدى المتعلم، ويحفزه على الإبداع. وأما عن أهمية الموضوع فإنّه:

يمثل هذا الموضوع مقارنة لعينة من القصص التي ألفها محمد ناصر في ميدان أدب الطفل، والتي تسهم في مجال تعليم اللغة العربية الفصحى للناطقين بها، أو للناطقين بغيرها، وستعقبها بحوث ودراسات لكل ما ألفه الكاتب وغيره من الكتاب في فنّ القصة، سعيا منهم نحو خدمة اللغة العربية ونشرها، وتشويق النشء إلى تعلّمها والمحافظة عليها.

وعن أسئلة الموضوع فهي تتلخص في:

- لماذا لا نعلم التعبير الكتابي الإبداعي من خلال القصة؟
- ما هي أهم المهارات الممكنة تحقيقها من خلال تعليم اللغة بالقصة؟
- كيف نعلم اللغة بالاعتماد على القصة؟
- ما دور القصة في تنمية ملكة التعبير الكتابي الإبداعي لدى المتعلم؟

1 - تحديد المفاهيم:

ولتبيان أهداف تعليم التعبير الكتابي الإبداعي من خلال القصة، والطريقة المنتهجة لذلك، و إبراز دور القصة في تنمية الملكة اللسانية لدى المتعلم، لابد من تحديد مفاهيم ما يأتي:

أ - المقصود بالتعليمية:

تعددت ألفاظ التعليمية التي ترجمت إلى العربية؛ منها: صناعة التعليم وتعود لفظة "صناعة" إلى ابن خلدون، والذي يقول: " (...) والسبب في ذلك أن صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة. فهو علم بكيفية، لا نفس كيفية"⁽¹⁾.

وقد ورد هذا المصطلح عند (عبد الرحمن الحاج صالح) بصناعة تعليم اللغات، وكما له تسميات أخرى مثل: علم التعليم، التعليميات، التدريس، فن التعليم، التدريسية...

فالتعليمية عملية تأثير وتأثر تنتج من علاقة التواصل بين المعلم والمتعلم والمعرفة، وهي بذلك "تبادل التأثير أو التفاعل الذي يمكن أن ينشأ في وضع تعليم وتعلم بين العناصر الثلاثة الآتية في آن واحد: جانب محدّد من المعرفة، والمدرّس الذي يمنح هذه المعرفة، والمتعلم الذي يتلقاها"⁽²⁾.

ووفق هذا التعريف فإنّ التعليمية هي العلاقة التي تربط بين المعلم والمتعلم والمعرفة، ولذلك ينحصر موضوعها في الأقطاب الثلاثة التي تشكّل المثلث التعليمي لإيف شوفلار.

ومما تهدف إليه تعليمية اللغات هي تنمية قدرات المتعلم من أجل اكتساب المهارات اللغوية في أدائه للغة، ولن يتمّ له ذلك إلاّ بإلمام المعلم بماله علاقة بالجانب النفسي أكثر ممّا له علاقة بالجانب اللساني، إذ المعرفة بصفة عامة هي "تكوين طرائق وأساليب وليست مخزن معلومات، فالمتعلم يزداد تعلماً بفضن التعلم، والمعلم هو صانع تقدّمه"⁽³⁾.

وهذا الأسلوب التعليمي يمكن المتعلم من اندماجه في الوسط اللغوي، ومن تحقيق الممارسة الفعلية للحدث اللساني، كما يعزّز لديه جوانبه الشخصية الفيزيولوجية والعضوية والنفسية والاجتماعية لدعم العملية التواصلية بينه وبين أفراد المجتمع اللغوي.

ب - التعبير الكتابي الإبداعي:

يعدّ التعبير بنوعيه الشفهي والكتابي نشاطا لغويا يوظّف فيه المتعلم رصيده اللغوي والمعرفي، وبذلك فهو "العمل المدرسي المنهجي الذي يسير وفق خطة

متكاملة للوصول بالطالب إلى مستوى يمكنه من ترجمة فكره ومشاعره وأحاسيسه ومشاهداته وخبراته الحياتية شفاهة وكتابة بلغة سليمة وفق نسق فكري معيّن⁽⁴⁾.

فالتعبير يمثل القاعدة الأساس في حياة المتعلم داخل المدرسة وخارجها، وبواسطته ينمي ملكاته اللغوية والمعرفية، ويتمكن من التواصل اللغوي.

ومن أنواع التعبير من حيث الغرض؛ التعبير الإبداعي الذي يطلق العنان للفكر والوجدان ليعبر عن الخلجات النفسية من عواطف ومشاعر وأحاسيس، وذلك بطريقة فنية إبداعية فيها مسحة من الجمال، ورقة الأسلوب، باستخدام الكاتب صورا خيالية وأساليب بلاغية متنوعة قصد التأثير في القارئ. ويظهر هذا النوع من التعبير في الرسائل الوجدانية والقصص والمسرحيات، وفي الشعر والخواطر، وفي المذكرات الشخصية...

ج - ماهية القصة:

القصة فن من الفنون الأدبية، تبنى على الخيال أو على الحقيقة والواقع، تدور أحداثها ووقائعها في فلك الزمان والمكان، وهي من أشد ألوان الأدب تأثيرا في النفوس. تستلهم القصة معانيها وفكرها من شؤون النفس والمجتمع، وتعبّر عن الأحداث والوقائع بأسلوب فني راق، ومتنوع بين السرد والحوار والوصف، وتأتي وفق مراحل النمو العقلي واللغوي للطفل.

تهدف القصة إلى التربية الخلقية والعقلية، وصقل المواهب وتنمية مهارات الإبداع والخيال، وتحصيل الملكة اللغوية وترسيخها.

فالطفل يميل إلى القصة رغبة منه في متابعة أحداثها والتعرف على حوادثها وشخصياتها، ولكونه ذا طبيعة وجدانية؛ فإن القصة تبنى على الناحية الوجدانية.

2 - أهمية القصة في عالم الطفولة:

تقوم القصة الموجهة إلى الأطفال على أساس:

- تهذيب السلوك، ومرافقة الطفل في حياته؛ إذ كاتب القصة صديق الأطفال.

- تنمية القدرة على الابتكار، وتذكية روح الخيال لدى الأطفال.

- تنمية الذكاء عند الطفل من خلال الربط بين أحداثها والتوصل إلى ما ينتج أو يترتب عنها من دروس وعبر .

- تزويد الطفل بالخبرات من خلال الأهداف التي ترمي القصة إلى تحقيقها .

- تزويده بمعلومات ومعارف جديدة .

- إثراء رصيده المعجمي، وتمكينه من التواصل اللغوي .

- تنمية أدائه اللغوي في التعبير الشفهي والكتابي .

- بناء شخصية الطفل الأدبية والنفسية والاجتماعية .

3 - الأسس التي تبنى عليها القصة الموجهة للأطفال:

أ - الفكرة: تعدّ الفكرة مقوّمًا أساسيًا في بناء القصة؛ إذ تكشف حقيقة من الحقائق أو جانبًا من الجوانب السلوكية للإنسان .

ولا تشكّل الفكرة في القصة لحظة عابرة أو سريعة؛ بل تظلّ في تطور مستمر في القصة، وتظل تنبض في بنائها، وكلّما اتخذت طريقًا مقبولا ومنطقيًا في تطورها؛ كانت نهاية القصة أكثر ثباتًا واتفاقًا مع بقية المواقف والأحداث⁽⁵⁾ .

فالفكرة تتناول موضوع القصة بتفاصيله وأبعاده وقيمه، وتسير وفق تطور أحداثها وتفاعلها في تسلسل منطقي تضي على القصة ديناميكية وحيوية، تفضي إلى نهاية متسقة مع المواقف الواردة في المضمون لتترك أثرًا عميقًا في نفس القارئ .

وكما يجب على كاتب القصة أن يهتم بفكرة الموضوع من حيث الدقة والوضوح، وتأدية المعنى المقصود، والمغزى المنشود .

فوظيفة القصة تتحقّق بالفكرة أو المغزى أو القيمة، وأن تكون بعيدة عن أسلوب الوعظ والإرشاد والتوجيه المباشر⁽⁶⁾ .

إنّ الغرض الأساس من الفكرة في القصة الموجهة للأطفال يتمثّل في استمالة قلوبهم وتشويقهم من خلال إثارة عواطفهم وأحاسيسهم، وإطلاق العنان لأخيلتهم لتحلّق مع الكاتب في أجواء الأحداث والوقائع التي تدفعهم إلى الفاعلية والتفاعل مع الموضوع في إطار التوجيه الملمّح به لا المصرّح به .

ويشترط في الفكرة أن يتناول الكاتب الموضوعات ذات الجانب العاطفي الذي يبعث على الطمأنينة والتفاؤل والأمل، وأن يتفادى الموضوعات التي تترك في نفوس الأطفال الانقباض والألم والحسرة. وكما يجب أن ترتبط الفكرة بالواقع الذي يعيش فيه كنفه الطفل، وألا تبالغ في الصفات السلبية التي يشعر أمامها الطفل بضيق الأفق وروح الانكسار، أو الصفات الإيجابية التي تصل إلى المثالية. وأن تلائم الفكرة مراحل نمو الطفل عقليا ولغويا وانفعاليا واجتماعيا، وأن تستجيب لاهتمامات الأطفال، ويبدع فيها الكاتب ويتعهدها بالخيال الذي يدع الطفل يعيش في الأجواء الراحية للقصة. وأن تختتم فكرة الموضوع بعبارة أو حكمة أو موعظة دون أن تذهب بالسبك الفني للقصة أو بتعبيرها الجمالي الإبداعي.

ب - الأحداث والحبكة:

للأحداث أهمية كبيرة في بناء القصة؛ إذ تستهل بمقدمة قصيرة للفكرة التي تدعو القارئ إلى الشعور بما يستقبله، وتتوالى هذه الأحداث وتترى إلى أن تصل إلى العقدة التي تأسر وجدان الطفل وتثير عقله للبحث عن حل في متعة وشوق.

ويراعى في عرض الأحداث التأثير والفعالية والتسلسل والتناسق، والتدرج وفق ما يتناسب مع فكرة القصة، يحافظ على انتباه الطفل وتركيزه. وأما الحبكة فهي خطة القصة، ونقطة المركز في دائرة القصة تتشابك حولها الأحداث وتتفاعل، والحبكة تمسك بنسيج القصة وبنائها، وتشمل عقدتها. ويشترط في الحبكة ما يلي:

- ارتباط الأحداث ببعضها.
- تخطيط الأحداث ينتهي إلى العقدة التي تشوق الطفل إلى اكتشاف الحل لها.

- واقعية الحوار بين الشخصيات، وانتفاء صفة التناقض فيها.
- تكون الأحداث منتجة بدقة، ومتسقة اتساقا فنياً، ومنسجمة انسجاماً محكماً في معانيها.

- موازنة الكاتب بين مراحل القصة، وعدم الإطناب في المقدمة، أو المبالغة في عرض العقدة.
 - تدرج القصة في حوادثها في متعة تحافظ على انتباه الطفل.
 - تكون الحبكة أصيلة وجديدة، ذات حقيقة صادقة.
 - تطور العقدة فيها إلى أن تصل إلى قمة الصراع أو التناقض أو التكرار أو التضاد.
 - ألا تتعدد العقد داخل القصة؛ لأن ذلك يرهق مدارك الطفل فيكل من متابعة هذه العقد المركبة.
 - قوة الحبكة ودقتها تثير اهتمام القارئ وتركيزه.
- إن إثارة المتعة والشوق لدى الطفل، وتأثره بحوادثها يكمن في الترتيب الزمني والسببي لحوادث القصة ووضوح حبكة وتمامها، وهو ما يؤدي بالطفل إلى التركيز والتفاعل مع القصة في أجوائها. وأما عن كثرة الحبكة في القصة بالنسبة للكبار لا تؤثر في بدايتها ونهايتها، لكنها تؤثر بالنسبة للأطفال.
- إن الإمكانيات وافرة للإنسان بحبكة كثيرة إذا كان النص موجهاً للكبار، في حين تحتاج حبكة الأطفال إلى البساطة والوضوح والتمسك بترتيب الحوادث ترتيباً زمنياً وسببياً⁽⁷⁾.
- وفي بناء الحبكة القصصية صورتان رئيستان: صورة البناء التي تعتمد فيه وحدة السرد على شخصية البطل الذي تدور حوله حوادث القصة ووقائعها، والصورة العضوية ترسم الهيكل الواضحة للقصة من حيث الحوادث والشخصيات⁽⁸⁾.

ج - الشخصيات:

الشخصيات عنصر مهم في البناء الفني للقصة، ومنبع الاقتداء للطفل وتحقيق رغباته وطموحاته. تتخذ القصة من شخصياتها بطلا تدور حوله كل الشخصيات، وألا تتساوى هذه الأخيرة في أهميتها، وألا تكون مألوفة أو تفتعل المغامرة في الفضاء البعيد.

والقصة إذا خلت من البطولة الحقيقية فإنّها تخيّب أمل الطفل، وتبعده عن مجالها و أبعادها، فبعض القصص في الوطن العربي لا تهتمّ بالبطل وبالتالي تنفّر الطفل من متابعة أحداث القصة ووقائعها، ولا تثير شعوره ولا اهتمامه. وأمّا عن أفعال البطل فيجب أن تكون واضحة وعظيمة ذات مغامرات و مفاجآت وأن تكون ملموسة يؤدّيها البطل أثناء نضاله، وإيجابية تعزّز القيم بالرغم من حوادث القصة التي تنقل الحياة إلى الطفل بحلوها ومرّها وهذا من أجل التعريف بها للطفل وإعداده للمستقبل.

لا يشترط في البطل أن يكون إنسانا، فقد يكون حيوانا أو جمادا، ذكرا أو أنثى، أو بطلا عجوزا. والشخصية المحورية (البطل) في قصص الأطفال ثابتة الأفكار والعواطف والاتّجاهات والمواقف، وما حولها يتغيّر.

فالشخصيات تتنوع بتنوع الأفكار والاتّجاهات والنسق المرسوم من قبل المؤلف مسبقا لأجل تمريرها إلى القارئ الصغير⁽⁹⁾. وإنّ الشخصيات الثانوية لا تتفاعل مع الحوادث بل تطفو على السطح، إلّا أنّ طرحها مهمّ في القصة؛ إذ تطرح الوجه الآخر للبطل أو توضح بعض صفاته، وتتميّز هذه الشخصيات بسمات في تحرّكها وكلامها، يرسمها الكاتب دون أن يستطرد في تفاصيلها، لكن يترك المجال للطفل رحبا لاكتشاف طبيعتها، ويشترط كذلك في الشخصيات أن:

- تتوافق تصرّفات الشخصية مع حقيقتها.
- تكون الشخصيات حيّة يحركها القاص في ديناميكية تثير عاطفة الطفل واهتمامه.

- تكون الشخصية ممثلة للحياة الطبيعية ومعقولة ومنطقية.
- لا تفوق المستوى الواقعي للطفل.
- تتصرف هذه الشخصيات كشبيبتها في الحياة.
- تجسّم الشخصية ليقربها بذاته أو بشخصية قريبة منه.
- تكون الشخصية طبيعية توافق الفطرة السليمة.
- مراعاة الوضوح، وذلك بأن تكون الشخصية مجسّمة بكلّ صفاتها وشكلها ولونها، حتّى يراها الطفل نابضة بالحياة.

- مراعاة التمييز فلا تتقارب الشخصيات في أسمائها أو صفاتها أو في بعض خصائصها.

- مراعاة التشويق، فتكون الشخصيات محببة في عالم الأطفال، تستهوي نفوسهم، وتشد انتباههم.

تتسم القصة بنسيج محكم؛ أساسه الفكرة الدقيقة والواضحة، وخيوطه المتلاحمة هي الشخصيات والحوادث والحوار. إنّ الفكرة في القصة أشبه بالتصميم في النسيج، أما الشخصيات والحوادث والحوار وبقية العناصر فهي تشبه خيوط النسيج في علاقة بعضها ببعض وترتيبها ونسيجها⁽¹⁰⁾.

د - السرد والحوار والوصف:

السرد هو "نقل الأحداث والمواقف من صورتها الواقعة إلى صورة لغوية يتمثلها القارئ: يمكن أن يقوم به الراوي أو إحدى الشخصيات"⁽¹¹⁾. فعلى القاص في السرد ألا يبالغ في السرد؛ لأنّ الأفعال التي يطلبها الطفل تكون ملموسة وواضحة وحيّة.

والسرد في قصة الطفل يلتزم في الغالب الطريقة المباشرة التي تجعل الكاتب يشرف على القصة من بدايتها إلى نهايتها دون أن يشعر القارئ الطفل به⁽¹²⁾.

والحوار مقومّ جوهري تقوم عليه القصة فيجري بين الشخصيات، وبه تصطبغ القصة بصبغة اللذة والمتعة، ويبعد الشعور بالملل، ويعين على إبراز الفكرة وتجسيد وقائعها، كما يساعد على التصوير الواضح للشخصيات. وللحوار شروط تتمثل في:

- الإفادة والإيجاز.

- توافقه مع عناصر القصة، وتناسبه مع المواقف والأحداث.

- ألا يكون وسيلة للوعظ والتوجيه، حتى لا يفقد للقصة جمالياتها وقيمتها.

- أن يكون طبيعياً صادقاً لا تناقض فيه.

- عدم الإكثار من الحوار؛ لأنّ ذلك يحول القصة إلى مسرحية.

فالإكثار منه يعود إلى أحد الأمرين أو معاً، إما أنّ الكاتب يتملّص من موقف صعب في التحليل والوصف والكشف، فيعتمد إلى إلقاء المؤونة على الشخصيات

لينطقها بأيّ كلام (...) وإمّا أنّه مبتدئ محروم فيعمد إلى كتابة هذه المحاورات دون وعي فنيّ كبير فيصول فيها ويجول، لكنّه لدى نهاية الأمر يفسد على الشكل اللغوي الأساسي أمره فتطغى لغة الحوار على لغة السرد، فإذا نحن لا ندرى أنقرأ مسرحية كتبت لتمثّل على خشبة، أم نقرأ رواية كتبت ليقرأها القراء حيث هم⁽¹³⁾.

والحوار في قصص الأطفال وظيفي يوضّح أفكار المتحاورين وطبائعهم، فإن جنح القاص إلى الحوار الداخلي الذي يبتعد عن الحركة الخارجية الملموسة يكون مرفوضاً.

أمّا الوصف في القصة فهو يحرك الأحداث ويوضّحها ويصوّرُها أحسن تصوير حتّى تبدو صورتها للطفل ناطقة، ونظراً للعلاقة التي تربط بين الوصف والسرد فإنّ الوصف خادم للسرد ولا ينفصل عنه.

هـ- البيئة الزمانية والمكانية:

يعدّ الزمان والمكان في القصة لبنتين أساسيتين في بناء القصة، ويؤثران في الأحداث والشخصيات والموضوع ويبعثان فيها الحياة؛ فالزمان قد يكون ماضياً أو حاضراً أو مستقبلاً، وأمّا المكان فقد يكون غامضاً، أو ضمناً تكشف عنه القصة بواسطة لهجة محلية.

فالعلاقة الزمان بالمكان بالنسبة للعمل الروائي غير مقيدة "بقانون سوى قانون الجمال، كما أنّ كليهما ليس له ضابط سوى استخدام التقنية المناسبة للنص الروائي المناسب"⁽¹⁴⁾.

وكذلك العلاقة بين الإنسان والمكان وطيدة "فالمكان بدون إنسان عبارة عن قطعة من الجماد لا حياة ولا روح فيها"⁽¹⁵⁾.

فارتباط الزمان بالمكان والمكان بالزمان يضيف على القصة جمالاً، ويحمل الطفل القارئ للقصة على الخيال والتفاعل مع الأحداث، وإنّ ارتباط المكان بالإنسان يبعث الروح فيه، ويعزّز في الطفل قيمة الحياة وقيمة المكان الذي يعيش فيه.

و- اللغة والأسلوب:

تعتبر اللغة كيانا عاما وأداة للتعبير عن المعنى المراد، "والكيان العام لها يضمّ النشاط اللغوي الإنساني في صورة ثقافية منطوقة، أو مكتوبة معاصرة أو متوارثة، وباختصار: كلّ ما يمكن أن يدخل في نطاق النشاط اللغوي، من رمز صوتي أو كتابي، أو إشارة أو اصطلاح"⁽¹⁶⁾.

فاللغة التي يستخدمها الكاتب في القصة تتمثل في الألفاظ المستخدمة في نظم التراكيب التي تعبّر عن الفكرة بأسلوب حقيقي أو مجازي، وعليه يجب أن يتّسم أسلوب القصة بالوضوح والقوة والجمال؛ فالوضوح يعني سلاسة الأسلوب دون تعقيد أو تنميق، وفي مقدور الطفل أن يستوعب الألفاظ والتراكيب، وتتجلى قوة الأسلوب في إيقاظ مشاعر الأطفال وأحاسيسهم لتتكوّن الصورة الحسية والذهنية لديهم، "كلّما كان القاص ذا أسلوب متميّز جذاب استطاع شدّ انتباه الطفل والتأثير فيه"⁽¹⁷⁾. وأمّا جمال الأسلوب فإنّه يشمل تناسق الجمل والعبارات تأليفا، وصوتا، ودلالة.

ومن حيث نوعية المفردات، وأنماط الجمل والأساليب والأفكار⁽¹⁸⁾:

- توظيف الجمل البسيطة.
- استخدام الألفاظ المألوفة.
- عدم المبالغة بين ركني الجملة.
- استخدام الألفاظ الدالة على الانفعالات.
- قلّة الأسطر في عرض الأحداث.
- المزج بين أسلوب الخبر والإنشاء.
- عدم استخدام المصطلحات الفنية.
- قلّة الجمل الاعتراضية.

وكما يجب أن تتناول القصص المؤثرة والمفيدة في عالم الطفولة "الأسلوب الرائع والألفاظ السهلة والجمل الموحية المعبرة، كما يجب أن يحمل المضمون القيمة التربوية والقيمة العلمية، فإذا توافقت الشكل والمضمون بلغت القصة هدفها"⁽¹⁹⁾.

فالقصة الموجهة للأطفال إذا قامت على هذه البنائية الهندسية شكلا ومضمونا حققت أهدافها وقيمها من خلال أحداثها ووقائعها التي صوّرها الكاتب أحسن تصوير، فأدّت بالأطفال إلى الإقبال على قراءتها والاستمتاع بها.

4 - أهداف تعليم التعبير الإبداعي من خلال القصة:

إنّ الكتابة للطفل العربي تقتضي صناعة معجم له؛ لأنّ لغته مغايرة للغة الراشدين، فقد حققت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إنجازا حضاريا تمثّل في إصدار الرصيد اللغوي العربي لتلاميذ الصفوف للسنة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي، والهدف من هذا المشروع هو إفادة العاملين في التربية والثقافة والإعلام من هذا الرصيد اللغوي.

"صنفت هذه المفردات بحسب صفوف المرحلة الابتدائية، وتبعا لمفهوم علمي ولغوي دقيق، مفاده تقسيمها إلى مجموعات عامة تخص جسم الإنسان وحياته الاجتماعية والاقتصادية، والحيوانات والكون والطبيعة والزمان والدولة والعدّ والتقدير وأدوات المعاني والأفعال والأسماء..."⁽²⁰⁾.

هذا وإنّ تعليم التعبير الكتابي الإبداعي من خلال القصص يهدف إلى:

- أن يتزوّد المتعلّم من مختلف أنواع التراكيب النحوية، ودقة المعاني من خلال العلاقات التي تربط بين عناصر الجمل.
- أن يضيف إلى معجمه اللغوي مفردات جديدة، تساعد على بناء جمل في سياقات عديدة.
- أن يفيد من مختلف البنّى الصرفية.
- أن يتمكّن من التعبير الكتابي من خلال أسلوب القصة وجوانب الاتّساق بين الفقرات والانسجام في معانيها.
- أن يتمكّن المتعلّم من التعبير الكتابي الإبداعي من خلال ما تكتسيه من أخيلة.
- أن يتمكّن المتعلّم من صياغة فكرة الموضوع وفكره الأساسية والتعبير عنها في تسلسل وترابط منطقي.

- أن يتمكن المتعلم من الانتقال من معنى إلى آخر دون إحداث خلل بين معاني القصة.

- أن يتمكن المتعلم من الخيال الإبداعي من خلال التعرف على بعض التعبيرات المجازية الواردة في القصة.

- أن ينمي المتعلم ملكته اللسانية، وأن يتمكن من الأداء اللغوي الصحيح والسليم شفاهة وتحريرا.

- أن يتعرف على عناصر بناء القصة ونمطها.

5 - تعليم التعبير الكتابي الإبداعي من خلال القصة:

إنّ تعليم أيّ مادة يقوم على طريقة معيّنة تسهّل العملية التعليمية التعلمية، وتقرّب المادة من المتعلمين من خلال العقد التعليمي الذي يربط العلاقة بين المعلم والمتعلم، وانطلاقا من هذا الأساس نبين المهارات اللغوية التي بواسطتها يتمّ تعليم التعبير الكتابي الإبداعي بالتركيز على القصة:

أ - المنطوق المسموع:

يعدّ المنطوق المسموع أهم مهارة من المهارات اللغوية بل هي أولى هذه المهارات في التصنيف، ولكون الإنسان يستمع أكثر ممّا يقرأ أو يتكلّم أو يكتب، وهذا يتطلب توظيف حواس البصر، والسمع والعقل.

فعملية الاستماع معقّدة تقوم على الإنصات ثمّ استيعاب الفكرة وتفكيك رموزها وإظهار معانيها⁽²¹⁾.

فالقصة تثير جانب الاهتمام والتركيز لدى المتعلم، وتحرك أحاسيسه ومشاعره، وبقدر ما يكون المتعلم مستمعا إلى القصة التي تعرض عليه بقدر ما يثري حصيلته اللغوية والمعرفية، وينمي جانبه الوجداني وملكته الخيالية. وهذه الطريقة التي يسلكها المعلم في هذا المجال تتمثّل في ما يأتي:⁽²²⁾

- بعد سرد جزء من قصة شقّة يطلب المعلم من المتعلمين إتمامها، أو تلخيصها، أو نسج قصة أخرى على منوالها.

- التنويع في عرض القصص من واقعية وخيالية، ممّا يرسّخ في ملكة المتعلم النظرة الواقعية للأشياء والنظرة الخيالية التي توسّع آفاقه في التفكير.

- تعليم حسن الاستماع والتعبير الشفهي الإبداعي والتعبير الكتابي الإبداعي، وتنمية ملكة النقد من خلال سرد القصص من حيث موضوعاتها المتنوعة؛ تربوية، أخلاقية، اجتماعية، تاريخية...

ب - التعبير الشفهي:

الكلام أو التحدث هو المهارة الثانية من مهارات اللغة بعد مهارة الاستماع، والهدف الأساس منه هو إفادة المستمع بالمعاني المخزونة في ذهن المتكلم، وهذه المعاني تعبر عن أحاسيسه وأفكاره، ويشترط فيها صحة اللفظ وسلامة الأداء. ومن مجالاته القصة التي تستمد أحداثها من الواقع أو من الخيال أو منهما معا⁽²³⁾، وهي من أهم المثيرات التي تثير مكامن وجدان المتكلم ومشاعره، وتعتبر وسيلة تدريبية في التعبير بالنسبة للمتعلمين وغيرهم، وتمارين الذاكرة وفهم الحياة الاجتماعية والخلقية بأسلوب مثير للانتباه⁽²⁴⁾. وإثارة التحدث (الكلام) لدى المتعلمين يمكن للمعلم أن يفتح موضوعا حول ظاهرة اجتماعية، أو أخلاقية فيثري فكرتها مع المتعلمين كتعبير شفهي والهدف من ذلك توظيف المتعلم اللغة المنطوقة والمكتسبات اللغوية، وتدريبه على المناقشة الفاعلة الوظيفية، وتحسين أدائه تمهيدا للتعبير الكتابي. وحتى يتفاعل المتعلمون مع الموضوع على المعلم في اختياره موضوع التعبير الشفهي أن يراعي ما يأتي:⁽²⁵⁾

- قدرات المتعلمين ومستوى نموهم العقلي واللغوي.
- ملائمة الموضوع لحياة المتعلمين ومشاعرهم واهتماماتهم.
- اختيار الظاهرة أو المشكلة التي تواجه المتعلمين.

ج - القراءة:

القراءة بمختلف أنواعها مهارة من المهارات اللغوية، وقد عرفت تطورا في المفهوم؛ إذ أصبحت تعرف بالعملية العقلية والنفسية التي تتمثل في الربط بين الجمل والفقرات الواردة في النص، وتفكيك شفراتها وتحويلها إلى معان، وفق تحليل فكرها، وتعليلها وتقويمها.

والقراءة ترفد الاستماع والكلام والكتابة، فمهارتا الاستماع والقراءة وسيلتان لاستقبال أفكار الآخرين، والقراءة أوسع دائرة وأعمق ثقافة⁽²⁶⁾، فهي وسيلة لتغذية العقل، وتهذيب العاطفة، وإثارة الوجدان.

فقراءة القصة تتمّ كنشاط صفّي في مرحلة التعليم الابتدائي، حيث ينتقي المعلم الكتب القصصية الهادفة وما يلائم المستوى العقلي والنفسي للمتعلمين، فيشرف على الحصة ويكلف كلّ واحد منهم بقراءة قصّته واستخراج مفرداتها اللغوية الغامضة، وتسجيل المعنى الذي فهمه والجمل التي تذوّقها، ثمّ يختار المعلم نموذجاً من نماذج هذه القصص فيناقشها مع متعلّميهِ، ويستقبل منهم العبارات التي حازت إعجابهم. والهدف من هذه العملية تمكين المتعلّمين من الميل إلى القراءة من جهة، وغرس ملكة التذوّق في نفوسهم والانتفاع بما يقرؤون من جهة أخرى. ويمكن للمعلّم أن يترك خاتمة قصّة ما فيطلب منهم تصوّر نهايتها بأسلوبهم، أو محاكاة أسلوبها في فقرة قصيرة من نسج خيالهم، حتّى يؤهّلهم للتعبير الكتابي الإبداعي.

وقد تكون قراءة القصة كنشاط لا صفّي في مرحلتي التعليم المتوسط والتعليم الثانوي، حيث ينتقي المعلم مجموعة قصصية يوزّعها على المتعلّمين، فيكلفهم بقراءتها، وشرح مفرداتها اللغوية، وتحديد فكرتها الرئسية، وفكرها الأساسية، واستخراج العبارات المجازية ومحاولة النسج على منوالها. وفي الحصة الثانية يختار عينة من المتعلّمين لعرض قصصهم ومناقشة معانيها ونقد فكرها. والهدف من هذه الحصة هو تدريب المتعلّمين على التواصل اللغوي الشفهي، وتبادل الفكر ونقدها.

ويمكن للمعلّم أن يسلك بالمتعلّمين منهج التعلّم التعاوني، فيشكّل أفواجا يطلق عليها أسماء الأدباء من الكتاب والشعراء ليولّد في نفوسهم الأمل والطموح للكتابة الأدبية، وروح المنافسة بينهم.

وبعد أن يبيّن المعلم لكلّ فرد دوره في الفوج، يقوم بتقديم قصّة لكلّ فوج، فيطالبه بقراءتها، وشرح مفرداتها اللغوية، واستخراج فكرتها العامة وفكرها الأساسية، وتحديد العبارات البلاغية الواردة فيها، وصياغة تلخيص للقصّة، وفي النهاية يقوم كلّ فوج بعرض قصّته، ويفسح المعلم المجال للمناقشة والإثراء

والنقد، وقد يطالب المتعلمين ثانية ضمن أفواجهم بنسج قصة على منوال القصة التي قاموا بمطالعتها، تدريباً لهم على التعبير الكتابي الإبداعي في الحصة الثالثة من حصص الأنشطة اللغوية.

6- تعليم التعبير الكتابي الإبداعي من خلال كتب قصص محمد صالح ناصر:

تصنف قصص محمد صالح ناصر الموجهة للأطفال إلى ما يأتي:

- 1 - سلسلة القصص (المربي للأطفال) سنة 1992 تحتوي على 16 عنواناً.
- 2 - سلسلة القصص (المربي للفتيان) مابين 2002 و 2005 تحتوي على 10 عناوين.

3 - سلسلة قصص (الأنيس للأطفال) سنة 2004 في 08 عناوين.

4 - سلسلة قصص (الأنيس للفتيان) سنة 2004 تحتوي على 10 عناوين.

5 - سلسلة موجهة إلى الشباب بعنوان (القصص الحق للنشء الإسلامي) سنة 2004 وتحتوي على 35 عنواناً، في قصص الأنبياء من آدم عليه السلام حتى عيسى عليه السلام.

هذه العناوين كلها موجهة إلى الأطفال والشباب بمختلف مستوياتهم الدراسية والفكرية، ومرآة لهم العمرية من السادسة إلى العشرين. وقد أثر المؤلف تغذية الناشئة بقيم الأصالة، ومدّ جسر التواصل بينهم وبين أجدادهم بأسلوب قصصي مبسّط، حيث شارك بهذا الإسهام الأدبي في الموسوعة التي صدرت عن وزارة الثقافة والسياحة: مديرية الدراسات التاريخية وإحياء التراث تحت عنوان "الموسوعة التاريخية للشباب" وذلك سنة 1984 بمناسبة الذكرى الثلاثين للثورة التحريرية⁽²⁷⁾.

ولعلّ من الأهداف التي كان يتوخّاها من خلال مؤلفاته الأدبية عامة، والأدب الموجه إلى الأطفال خاصة، ما يأتي:

- 1- خدمة اللغة العربية الفصحى ونشرها.
- 2- التصدي للتيار الفرانكفوني التغريبي.
- 3- تعزيز العلاقة بين المدرسة والمؤسسة التعليمية للمحافظة على القيم والأخلاق الفاضلة.

4- تنشئة الأطفال على حب اللغة العربية الفصحى منذ نعومة أظفارهم،
والتمسك بهويتهم الدينية واللسانية والاجتماعية.

5- تمكين الناشئة من الأداء اللغوي السليم، وتهذيب ألسنتهم من اللحن
والرطانة.

6- تنمية الخيال الإبداعي لدى الأطفال وترسيخ الملكة اللسانية لديهم.

7- تقريب الكتاب من الناشئة، وتحبيب إليهم المطالعة.

الطريقة التي نستلهمها لتعليم التعبير الكتابي الإبداعي من خلال قصصه:
من خلال تصفح نماذج من قصص محمد صالح ناصر، وقراءة حصة لها،
نجد أنه يعتمد ما يأتي:

1- استهلال قصص سلسلة الأطفال وسلسلة الفتيان بلفظة "أبنائي الأعزاء
" أو "بني العزيز" أو "ولدي العزيز" بهدف التواصل مع الأطفال أو الفتيان لجلب
انتباههم وشد تركيزهم إلى القصة من جهة، أو تسرد القصة من قبل الأسرة أو
من قبل المعلم لتنمي مهارة الاستماع لدى الأطفال أو الفتيان من جهة أخرى.

2- في مقدمة القصة يطرح الأديب أسئلة حول موضوع القصة لتشويق
الأطفال أو الفتيان لما يسمعون أو يقرؤونه، ففي قصة (عاقبة الغرور) طرح
سؤالين مفادهما "هل تعلم أن قيمة الإنسان بما يحسنه من أعمال صالحات يقوم
بها بنفسه ليفيد غيره؟ وهل تعلم أن الشخص الذي يتكلم كثيرا قلما يحسن
عملا كبيرا؟" (28). ويصور في هذه القصة هذا السلوك أحسن تصوير على لسان
السلحفاة التي لم تلتزم بشرط البطتين اللتين قالتا لها "سنحملك أنا وأختي
بواسطة عمود تقبضين على وسطه بفمك، ونطير بك في الجو (...) وإذا سمعت
الناس يتكلمون فأياك أن تنطقي (...) وأعجبت السلحفاة وهي في الجو بنفسها،
وبحديث الناس عنها، ولكن نسيت نصيحة البطتين لها، فقالت: فقا الله أعينكم
أيها الناس. وبهذا هوت في الأرض ولقيت حتفها" (29). وإذا كانت القصة في
حلقات عديدة؛ فإنه يذكرهم بفكرة موضوع الحلقة السابقة ويترك المجال لهم
للربط بين الحلقتين أو بين الحلقات. وهذه الطريقة التي يعتمد عليها هي وضع
الانطلاق التي يستهل بها المعلم الوضعية التعليمية قبل الدخول في مرحلة بناء
التعلم.

3- انتهاجه طريقة ربط الطفل بمحيطه، وذلك باختياره الحيوان موضوعا للقصة للوصول إلى المغزى، وهي الطريقة الحديثة في العملية التعليمية التعليمية التي تسهل للمتعلم كتابة قصة في موضوع ما، أو تحرير تعبير إبداعي حول فكرة ما، ذات علاقة بمحيطه الاجتماعي، فهنا يمزج المتعلم بين الواقع المعيش، والأسلوب الخيالي الذي يخدم الواقع. ومن نماذج ذلك: قصة (الفأر المغرور) التي تجسد القيمة التربوية الإنسانية المتمثلة في التعاون والتآزر ونبت الأنانية. أو قصة (الفأر الكذاب) التي تشخص داء الكذب ولو مُزحة، كيف يؤدي بصاحبه إلى ما لا تحمد عقباه. أو قصة (نعمة الأمن) التي أجرى أحداثها على لسان الكباش الجبلية المتوحشة وعلى لسان الوعول في قمة جبل عال بعيدا عن الصيادين؛ إذ كانت هذه المجموعة تعيش في أمن ورخاء واستقرار، إلّا ما أنّ المرعى الواسع ينقصها للحصول بسهولة على الحشائش والأشجار لغذائها "فالسعادة ليست في الترف، ولكن السعادة في الأمن فقليل مع الأمن خير من كثير مع الخوف"⁽³⁰⁾. فمثل هذه القصص الخيالية التي تصوّر قيمة من القيم الخلقية والاجتماعية تفتق مواهب الطفل وتصلقها، وتوسّع خياله، ويدرك أنّ هذه المشاهد القصصية ما هي بعيدة عن حياة الإنسان، فهو معرض لمثل هذه الظروف والحالات.

وأما في قصص سلسلة الفتیان فنجدہ يستلهم موضوع القصة من حادثة تاريخية ليتوصل في النهاية إلى المغزى، مثل قصة (عقوق الوالدين) يروي فيها ما حدث للشباب علقمة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان في فراش الاحتضار فلم يتلفظ لسانه بالشهادة؛ لأنه آثر امرأته على أمه، ويروي فيها كذلك ما حدث للوالد الذي كان له أب شيخ هرم فكره أن يأكل معه على مائدته فخصص له إناء يأكل فيه ولما انكسر صنع له إناء آخر من خشب لكي لا ينكسر، وحدث يوما أن قال أحد الأبناء الصغار لأبيه وهم يأكلون، والجدة في معزل عنهم يأكل في إنائه الخشبي: حسنا يا والدي فعلت، سنحتفظ لك بهذا الإناء الخشبي حتى تكبر وتشيع فتصير مثل جدّي لتأكل فيه منفردا عنا كما يأكل جدّي الآن⁽³¹⁾.

وبإمكان المعلم أن يستثمر مثل هذه الموضوعات القصصية ذات الطابع التاريخي والاجتماعي، فيسمع للمتعلمين قصة في الموضوع، ثم يقوم بمناقشة فكرها، والقيم التي تحويها، وقد يترك نهايتها فيفسح المجال لهم لتصور خاتمة القصة، أو يطلب منهم تلخيصها كتابيا، أو تحرير موضوع حول فكرتها بأسلوبهم الخيالي والإبداعي.

4- تعبيره عن مشاهد القصة بالصورة الواضحة؛ كقصة (يد الله مع الجماعة) التي أوردها على ألسنة قطيع من الغزلان الذي يفوت الفرصة على الحيوانات المتوحشة، لكن غزالا غريرا حدث السن رفض التنقل والعيش جماعة، ويصل في سرد القصة إلى أن هذا الغزال الغرير وقع بين فكي النمر نهايته نهاية محزنة ومؤلمة⁽³²⁾. وفي قصة (احفظ لسانك) أجرى أحداثها على لسان ثعلب شرير، الذي يسطو على الدجاج، فحار الديك في أمره، وفي وقت السحر أراد الثعلب أن يسطو على الديك؛ فصاح هذا الأخير، فاهتدى الثعلب إلى مكان وجوده؛ فانقض عليه وحمله بين فكيه، ولكن جماعة من كلاب القرية رآته فلحقت به، فهنا وجد الديك فرصة سانحة للتخلص من بين فكي الثعلب فقال له: "إن الكلاب ستدركك لا محالة، فإذا أردت أن تتركك وشأنك فقل: إن صيدك هذا ليس من هذه القرية، وإنما اصطدته من القرية الأخرى، ولم يع الثعلب هذا ففتح فاه، فتخلص الديك منه"⁽³³⁾. فهنا كل واحد منهما عاتب نفسه على كلامه دون تفكير، فقدّم لسانه على عقله. فهذا النوع من القصص تساعد الأطفال أو الفتيان على إدراك المعنى، وتنمية مهارة التعبير عن الصورة وعلاقتها بالموضوع، وهذا أسلوب تربوي يدفع بالمتعلم إلى التفاعل مع المقروء.

5- توظيفه اللغة التراثية من المفردات الواضحة والبعيدة عن الغموض مثل استعماله مفردة " ملاذ " في قوله في قصة (الفأر الكذاب): "يحكى أنه كان في إحدى مزارع الريف جماعة من الفئران تعيش في هناء ووثام، وكانت تتخذ من أحد مخازن المزرعة ملاذا، وملعبا، وغذاء..." وفي نفس القصة مفردة "أوصد" في قوله: "... وجرى الفأر الكذاب يحاول الهرب والانفلات من القط ذي المخالب والأنياب، غير أن القط كان أشطر وأقوى، فأوصد دونه الأبواب..."⁽³⁴⁾.

وعلى سبيل المثال في قصة (المتكبر والمتواضع) ترد في قوله مفردة "يرعوي": "قال الملك: وهو ما يزال على هيئة الأبرص يذكره بما كان عليه، علّه يرعوي فيّفي بما وعد الله به". وكذلك مفردة "تبطر" في قوله: "هكذا ترون كيف تكون عاقبة كلّ غادر وناكر، فلا تبطرنكم النعمة فتتسبون فضل الله عليكم، ولا تغرنكم الدنيا فتتكبروا على خلق الله، فإنّ ممّا يديم نعم الله علينا أن نوفّي شكرانها بأداء حقّ الله فيها بالإحسان إلى خلقه، والتواضع لله من أبرز علامات شكران نعم الله، والتكبر من أبرز علامات بطر النعمة ونكرانها"⁽³⁵⁾. وعلى شاكلة ذلك نلمس هذه اللغة الجزلة في قصة (نهاية الطيش) توظيفه مفردات: خيّم، الألباب، ناء، التي وردت في قوله "وكانت إذا غربت الشمس، وخيّم الظلام أوت إلى مرقدها لتستريح من عناء يوم طويل (...)" وكانت تعيش ضمن هذه المجموعة من الفراشات فراشة صغيرة جميلة تأخذ الألباب بألوانها الزاهية (...) يا ابنتي أن تطيري بعيدا عن أسرتك أو تحطّي في مكان ناء عن مرجنا أو سهلنا"⁽³⁶⁾.

6- استعمال التراكيب البسيطة والجمل القصيرة، وهذا يدرّب المتعلّم على صياغة عبارات سليمة وصحيحة في التواصل اللغوي الشفهي والكتابي، من مثل قوله في قصة من القصص الحق، نضحت من القصص القرآني الموجهة إلى النشء الإسلامي (يوسف الصديق): "انطلقت القافلة قاصدة مصر، ومن بنيتها يوسف الذي أصبح عبدا لبعض أفرادها. ومرت أيام الرحلة ثقيلة على يوسف، وكان يلاحظ ويشاهد ما عليه أولئك القوم من شرك وضلال..."⁽³⁷⁾. وفي قصّة (حسن التدبير) جرت أحداثها على لسان السمكات والصيادين يقول: "يحكى أنّ ثلاث سمكات كنّ يعشن في هناء ووثام في بركة ماء موصولة بنهر جار، فكانت إحداهنّ كيّسة عاقلة، والثانية معتدلة متوانية، والثالثة كسولة غبيّة (...) أمّا السمكة الذكيّة الكيّسة العاقلة فاحتاطت لأمرها، وتوقّعت الشرّ قبل وقوعه (...) أمّا السمكة الثانية المتأنيّة البطيئة، فإنّها لم تتحرّك من مكانها، ولم تحتط لنفسها (...) أمّا السمكة الثالثة الكسولة الغبيّة، فإنّها غطّت في نوم عميق ولم تأبه للأمر"⁽³⁸⁾. ونجد كذلك مثل هذه الجمل القصيرة في قصة (ما بالطبع لا يتبدّل) التي وردت على لسان عصفور وأرنبة ومن فقراتها "يحكى أنّه كان في أصل

شجرة كبيرة مسكن لعصفور يسكنه منذ أمد بعيد، وذات يوم غابت عنه لبعض شأنه، فجاءت أرنبه فاحتلتته ظانّة أنّه فارغ، لا يسكنه أحد، وبعد مدّة عاد العصفور إلى مسكنه فوجد الأرنبه قد احتلتته. فقال لها: هذا المكان مكاني، فانطلقى إلى غيره. قالت العصفورة: بل إنّهُ مكاني، فقد وجدته فارغاً ليس به ساكن، وتنازعا، واحتدّ بينهما النّزاع، ولم ينتهيا إلى شيء⁽³⁹⁾.

7- قيامه بشرح المفردات اللغوية في نهاية القصة مثل: يفتأ - أوصد - نصب - ملاذ - تعيسة - يؤثر - يرعوي - تبطر - خيم - الألباب - ناء...
8 - توظيفه النمط السردى⁽⁴⁰⁾ المناسب للعرض القصصي:

أ - ظروف الزمان والمكان: ونجد هذه الظروف حاضرة في كلّ السلسلة القصصية ومن نماذج ذلك قصة (عاقبة المتكبر) والتي ورد فيها "كان يعيش في إحدى الغابات فيل ضخّم، وكان إلى جانب هذه الغابة التي يعيش بها بركة ماء واسعة يعيش بها جماعة من الضفادع (...) ومنذ الصباح الباكر انتحى الضفدع الصغير بعيداً عن الأنظار وأخذ يشرب من ماء البركة ما يستطيع"⁽⁴¹⁾. وفي قصة أخرى (جزاء الإحسان) وظف ظريفي الزمان: اليوم والسنون، وظرف المكان: الغابات، "كان يعيش في إحدى الغابات الملتفة الأشجار حمامة بيضاء جميلة فرحة مسرورة، تردّد الهديل الرّخيم وتسبّح بحمد الله الصانع العظيم (...). ومَرّت السنون، وذات يوم من أيام الخريف الهادئة كانت النملة تسعى نشيطة تجمع رزقها"⁽⁴²⁾.

ب - أفعال الحركة: ومن أمثلتها قصة (الصديق...صديق الشدة) التي وردت فيها أفعال: تسلل، يسطو، راح، يزحف، وصل، وهي متتابعة في قوله: "و ذات ليلة وقد صار القمر بدراً في السماء، تسلل ثعبان كبير إلى جماعة الجرذان، ليسطو على بعض منها، وراح يزحف ببطء وحذر إلى أن وصل فتحة الجحر مسكن الجرذان"⁽⁴³⁾. ومن أفعال الحركة في قصة (وتعاونوا على البرّ والتقوى) التي وردت على لسان الحمامة والسحفاة، أفعال: داهمني، لاحقني، هربت، أحري، دخلت، اختفيت في فقرة من فقرات القصة: "...حتّى داهمني صياد، ولاحقني ببندقية يريد حتفي، فهربت منه، و ما كدت أصدّق أنّي نجوت فعلاً من قبضته،

وما زلت أحيى ولا ألوي على شيء، حتى دخلت الغابة واختفيت وراء الأشجار الملتفة، وساقطني الأقدار إليكم" (44).

ج - الجمل الخبرية: وعلى سبيل المثال لا الحصر، ما ورد من جمل خبرية في قصة (السيئة بمثلها) "كان يعيش في إحدى الغابات حمامة وديعة، وكانت تتخذ من شجرة عالية عشاً لفراخها، وكانت سعيدة بهم، وهم سعداء بها. وذات يوم تطفن ثعلب ماكر ظالم إلى مكانها، فاغتنم فرصة غيابها عن عشها فسطا على الفراخ وأكلهم جميعاً" (45).

د - الأحداث: وقد وردت في مختلف السلاسل القصصية بمقدمة مشوقة للدخول في فضاء الموضوع، وهي مبنية بناء محكما؛ متسلسلة ومتراصة تصاحب عقل الطفل، وتشد انتباهه، وتأسر وجدانه من بدايتها إلى نهايتها حيث العقدة تتأزم لتضع الطفل في جو البحث عن الحل، وهنا يقوم الكاتب بتقديم العبرة من القصة والمغزى منها، مع شاهد من النص القرآني، أو الحديث النبوي الشريف. ومن أمثلة مؤشر الأحداث قصة (اعمل ساكتا) صنع الكاتب أحداث القصة على لسان جماعة من النمل والصراصير، فيستهل أحداثها بمقدمة مثيرة بأسئلة مفادها، "بني العزيز! هل تعلم أن فعل الخير ينبغي أن لا يصحبه الكلام الفارغ والادعاء الكاذب؟ وهل تعلم أن الله يفضل من عباده المنفق المحتسب، ويكره الباذل الممتن؟ وهل تعلم أن خير الصدقات ما كان في السر لا يعلم بها أحد غير الله، لأن صاحبها لا يريد بها وجه العباد بل وجه رب العباد؟" (46). وينتقل إلى سرد الأحداث متتالية متسقة ومنسجمة فيبدأها بقوله: "كان يعيش في إحدى الغابات جماعة من النمل والصراصير، وكانت الجماعتان تسكنان إلى جوار بعضهما البعض. وذات ليلة والجماعتان نائمتان داهمهما مطر قوي جارف، فسالت المياه غزيرة، فدخلت بيوت الحشرات، وأفسدت ما فيها من مؤونة، وهدمت ما فيها من بيوت ومساكن. أما جماعة النمل فقامت من نومها باكرا، وغادرت المكان الذي خربته مياه الأمطار إلى مكان آخر عال لا تصل إليه المياه (...). أما جماعة الصراصير، فإنها راحت تنظم صفوفها بالطبل والمزمار، وتستعرض جماعتها كل صباح في اجتماعات طويلة يملؤها الخطباء والمتكلمون بالادعاء الفارغ والكلام المعسول. وبعد أيام طويلة من الهرج والمرج اتفقت على أن تقوم

ببناء مساكنها الجديدة على أن يصحب ذلك طبل ومزمار وغناء (...) مرّت أيام وأسابيع ولم يُنجزَ من العمل شبر واحد (...) ومرّت الأيام والشهور، وتوالى المواسم والفصول، والصراصير لا تنفك مغنّية راقصة (...) وكانت الحيوانات تتفرّج عليها ضاحكة ساخرة لهذه الصراصير التي لا تتعب ولا تملّ من الرقص والهزج والمرج (...) وجاء الشتاء وعادت الأمطار تسحّ في الغابة قويّة غزيرة، وسالت الأودية (...) فأوت الطيور والحيوانات والحشرات إلى أوكارها وجحورها حيث تنعم بالدّفء والأكل الوفير. وتفرّقت الصراصير في الغابة بين ضالّة متعبة أو ميّنة هالكة وقد بدّدها الجوع والبرد الشديد (...) وتحدّثت نحلة عاملة وهي تنظر إلى الصراصير مشرّدة قائلة: هكذا تكون عاقبة من يجعل المظاهر الكاذبة وكده وشأنه، وهكذا يضيع كلّ مخلوق لم يجعل العمل في صمت شعاراً...⁽⁴⁷⁾.

هـ - الفعل الماضي لسرد الأحداث الماضية: وهو الفعل الذي يساعد على توالي الأحداث وتسلسلها، ولناخذ على سبيل المثال قصة (السيّئة بمثلها) التي وردت فيها الأفعال الماضية مثل "كان يعيش في إحدى الغابات حمامة وديعة (...)" وذات يوم تطفنّ ثعلب مأكراً ظالم إلى مكانها، فاغتتنم فرصة غيابها عن عشّها فسطا على الفراخ وأكلهم جميعاً (...) ولما عادت الحمامة إلى عشّها في المساء وجدته فارغاً وعلمت بأنّ الثعلب هو الذي اعتدى على فراخها...⁽⁴⁸⁾.

و - الفعل المضارع الذي يضع القارئ في معترك الأحداث: يأتي الفعل المضارع في القصة ليرسم الأحداث ويصنع حركاتها المستمرة بهدف تفاعل المتلقّي مع مجرياتها ففي قصة (في الاتحاد قوّة) مثلاً نلمس هذا المؤشّر كقول القاص: "كان في إحدى الغابات ثلاثة ثيران وحشيّة؛ أحدها أبيض اللون، وثانيها أسود اللون، وثالثها أحمر اللون. كانوا يعيشون جميعاً في مرعى من المراعي الخصبة المليئة بالحشائش الخضراء المتدفقة الماء.. وكانوا لا يسيرون إلّا في جماعة متّحدين متضامنين. ولأجل ذلك كانت السباع والطيور الجارحة لا تقترب منها خوفاً من قوّتها وبطشها. وذات يوم دخل إلى الغابة أسد قويّ، وحدّثته نفسه أن يفترس الثيران الثلاثة... ولكنّه عندما حاول أن يطبّق ما تمنّاه لم يستطع، لأنّ الثيران مجتمعة كانت أشدّ وأقوى منه...⁽⁴⁹⁾".

ز - أدوات الاتساق: وتمثّل مختلف الروابط التي تشكّل انسجاماً في المعنى، وقد يحقق التركيب انسجاماً دون رابط، كما أنّ الرابط قد يكون حاضراً إلّا أنّه لا يشكّل أيّ انسجام يذكر، والروابط في القصة تربط بين الأحداث فتحقق وحدة التسلسل المنطقي، ومن نماذج ذلك نورد مثلاً من قصة (لا تصدّق كلّ ما يقال) قول القاصّ: "يُحكى أنّه كان في إحدى الغابات أسد كريم، يُطعم الحيوانات من بقايا صيده. وكان إلى جواره في الغابة غراب وضع يُصيّان من صيده، فلا يحتاج إلى تعب أو كدّ. وذات يوم وفد على الأسد جاموس ضلّت به الطريق، فأعجب بما رأى في الغابة من مرعى كبير وماء وفير، فاستقبله الأسد أحسن استقبال، وعرض عليه الضيافة والعيش في كنفه مع الغراب والضبع، فقبل الجاموس ذلك من الأسد وشكره على حسن صنيعه..."⁽⁵⁰⁾.

ح - اعتماد الحوار والوصف: وهو عنصر من عناصر بناء القصة، ونمط يخدم النمط السردي فنجد حاضراً في كلّ السلاسل القصصية، ونمثّل لهذا المؤشر بقصة (عاقبة الغرور) وقد جرى الحوار بين البطّتين والسلحفاة "فأخبرت البطّتان السلحفاة على عزمهما، فحزنت السلحفاة للخبر كثيراً وقالت للبطّتين: كيف تتركانني وحيدة بهذا المكان، وأنا ما عرفت صديقاً حميماً غيركما؟ وكيف لي أن أعيش بدون ماء؟. قالت إحدى البطّتين: إن رغبت في السّفَر معنا فإنّنا سنندبّر الأمر؟ قالت السلحفاة مهلّة: أحقّاً تستطيعان ذلك؟ وهل يمكن لمثلي الطيران في الجوّ مثلكما؟ قالت إحدى البطّتين: سنحملك معنا في الهواء لكن بشرط. قالت السلحفاة: وأيّ شرط؟ أنا مستعدّة لقبوله. قالت إحدى البطّتين: سنحملك أنا وأختي بواسطة عمود، تقبضين على وسطه بضمك، ونطير بك في الجوّ..."⁽⁵¹⁾. وكما أنّ الوصف الذي اعتمده القاص في سرد أحداث القصة جذب القارئ إلى الاستمتاع بالجو القصصي من جهة، وجعل الأحداث مصوّرة تصويراً دقيقاً من جهة أخرى.

8- ضبطه الحروف بالحركات، كطريقة كامل الكيلاني، وأحمد شوقي، وزكرياء تامر، وسليمان العيسى...

وهذه الطريقة تشكل صعوبة معينة خاصة للطفل المبتدئ لأنّ ذلك يعوقه استمتاعه بالقصة التي يقرأها، لكن لا يمكن أن نضحّي بأحد الهدفين، ففي

مرحلتى الكتابة المبكرة والوسيلة ينتقى الكاتب الكلمات والعبارات والجمل التي تحتاج إلى قدر ممكن من الضبط، وفي المراحل المتقدمة حينما يزداد الأطفال تمكنا من اللغة يحسن ألا نقدم لهم القصص مشكولة شكلا كاملا، فيقتصر الشكل على الحروف التي يحتمل أن يخطئ الطفل في قراءتها.⁽⁵²⁾

الخاتمة:

وفي خاتمة هذا المقال، يمكن القول إنَّ للقصة دورا فعّالا في غرس القيم الأخلاقية والتربوية، وترسيخ الملكة اللسانية، ولضمان نتاج أفضل في مجال أدب الأطفال لابدّ لكتّاب القصص الموجهة إلى الأطفال أو الفتيان أو الشباب من الاستفادة من الدراسات التي أجريت في الميدان النفسي والاجتماعي والتربوي للطفل، والتعرف على المستويات اللسانية في كلّ طور من أطوار نمو الطفل، والرصيد اللغوي الخاص بكلّ مرحلة من مراحل التعليم.

وإنَّ القصص تسهم إسهاما كبيرا في تعليم التعبير الكتابي الإبداعي، وترقية الأداء اللغوي للمتعلّم، ومن هذه القصص قصص الأديب محمد صالح ناصر التي ألفها لتأدية رسالة تربوية، ورسالة لغوية، وتثبيت الهوية الدينية واللسانية والاجتماعية، وقد التزم بعناصر القصة في التصميم الفني، وانتهج أسلوبا شيقا في التعبير عن فكرة الموضوع بلغة تراثية جزلة رصينة لربط الناشئة بلغة القرآن الكريم.

وفي الأخير نتوصل إلى النتائج الآتية:

- دعم التأليف في مجال أدب الأطفال بالدراسات الميدانية المتخصصة في المجال النفسي والتربوي والاجتماعي واللساني.
- للقصة أهمية كبيرة في تنمية الخيال ومجال التفكير لدى الطفل، وتهذيب ملكته اللسانية.
- القصة تنمّي مختلف المهارات اللغوية؛ الاستماع والقراءة والمحادثة والكتابة.
- البناء المحكم للقصة يضع القارئ في أجواء الأحداث زمانيا ومكانيا.
- توظيف القاص لكلّ العناصر التي تبني عليها القصة.

- تحبيب اللغة للمتعلم من خلال أسلوب القصة ووضوح فكرتها وبعدها عن الغموض.
- ربط الطفل بالقصص القرآني وقصص التاريخ الإسلامي يرسخ هويته الدينية ويقوّي اعتزازه بلغته.
- ودعماً للنتائج المذكورة نقترح بعض ما يأتي:
- إفادة الأستاذ من البحوث اللسانية في تعليم اللغة العربية الفصحى، ومتابعة ما يجد في ساحة البحث التربوي واللغوي.
- التكوين المستمر للأستاذ في الطرائق الحديثة في التعليم، وإفادته في التعليمية في مختلف الأنشطة اللغوية.
- تقريب المتعلم من الكتاب والأخذ بيده في المطالعة على مستوى الأسرة وعلى مستوى المدرسة.
- مرافقة الأستاذ في المسار التربوي والتعليمي من قبل المعنيين بالأمر من مفتشين ومديرين وخبراء في مجال التربية والتعليم.
- إجراء دورات تدريبية للأستاذ في مجال التواصل اللغوي، وخاصة الملتحقين الجدد بسلوك التربية والتعليم.
- إفادة وزارة التربية الوطنية من البحوث الجامعية الميدانية في التعليمية وحقل تعليم اللغات في اختيار المحتوى وصياغة المناهج.
- برمجة حصة للمطالعة داخل المكتبة المدرسية في مختلف المراحل التعليمية يشرف عليها أستاذ اللغة العربية.

الهوامش -

❖ محمد صالح ناصر قطب من أقطاب الأدب والنقد في الجزائر، وقد أسهم إسهاما كبيرا في مجال الدراسات القرآنية والأدب الجزائري، ودواوين شعرية ومقالات نقدية نشرها في الصحافة العربية، وبعضها محاضرات كان يلقيها على طلابه، وكما كتب في أدب الأطفال شعرا من خلال ديوانه (البراعم الندية)، وقصصا لجميع المستويات الطفلية في حلة جميلة وأسلوب جذاب يستميل الطفل إلى المطالعة، وقد اتخذ هذا الأسلوب لخدمة اللغة العربية الفصحى ونشرها.

¹ ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط:1، 2006، ص:130.
² بدر الدين بن تريدي، قاموس التربية الحديث، دار راجعي للنشر والطباعة، الجزائر، د.ط، (2010، ص:130)

³ نورمان ماكنزي وآخرون، فن التعليم وفن التعلم، ترجمة: أحمد القادري مطبعة جامعة دمشق، د.ط، 1973، ص: 67

⁴ نايف محمود معروف، خصائص العربية وطرائق تدريسها، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط:6، 1429 هـ - 2008 م، ص: 163

⁵ ينظر: عبد الوهاب أحمد، قصص وحكايات الأطفال وتطبيقاتها العملية، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط:2، 2009 م - 1429 هـ، ص:197.

⁶ المرجع نفسه ص:198.

⁷ ينظر: عبد الرحمن عبد الهاشمي وآخرون، أدب الطفل وثقافته، دار الثقافة، عمان ، الأردن، ط:1، 2014 م - 1435 هـ، ص:219.

⁸ سمير روي الفيصل، أدب الأطفال وثقافتهم، قراءة نقدية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، 1998، ص: 55.

⁹ ينظر: سمير عبد الوهاب أحمد، المرجع السابق، ص: 200.

¹⁰ ينظر: عائشة رماش، البنية السردية في القصة الموجهة للطفل، دراسات، مجلة دورية محكمة، جامعة عمّار ثليجي، الأغواط، ع14، جوان 2010 م، ص: 43.

¹¹ سمير عبد الوهاب أحمد، المرجع السابق، ص: 201.

¹² موفق رياض مقدادي، البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، سبتمبر 2012 م، ص: 112.

¹³ ينظر: سمير روي الفيصل، المرجع السابق، ص: 59.

¹⁴ ينظر: موفق رياض مقدادي، المرجع السابق، ص: 120.

¹⁵ أحمد حمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط:1، 2004 م، ص: 160.

- ¹⁶ شاكِر النَّابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1994 م، ص: 96.
- ¹⁷ عبد الصابور شاهين، في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1980 م، ص: 89.
- ¹⁸ سلوم درغام سلوم، توظيف القصة الطفلية السورية المعاصرة في التربية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، 2010 م، ص: 33.
- ¹⁹ ينظر: سمير عبد الوهاب أحمد، المرجع السابق، ص: 208.
- ²⁰ أحمد نجيب، أدب الأطفال (علم وفن)، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 2000 م، ص: 37 - 38.
- ²¹ ينظر: نبيل عبد الهادي وآخرون، مهارات في اللغة والتفكير، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط3، 2009م - 1429هـ، ص: 159.
- ²² ينظر: مجدى إبراهيم محمد، طرق تدريس اللغة العربية، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2011، ص: 108.
- ²³ نبيل عبد الهادي وآخرون، مهارات في اللغة والتفكير، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط3، 2009م، 1429هـ، ص: 179.
- ²⁴ ينظر: نبيل عبد الهادي وآخرون، المرجع نفسه، ص: 179.
- ²⁵ محسن علي عطية، مهارات الاتصال اللغوي وتعليمها، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1428هـ - 2008م، ص: 134.
- ²⁶ نبيل عبد الهادي وآخرون، مهارات في اللغة والتفكير، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط3، 2009م، 1429هـ، ص: 183.
- ²⁷ محمد صالح ناصر، ذكرياتي ومذكراتي، دار ناصر، الدار البيضاء، الجزائر، ط1، 1435 هـ - 2014 م، ص: 798.
- ²⁸ محمد صالح ناصر، عاقبة الغرور، دار ناصر للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، الجزائر، د.ط، 2015 م، ص: 5.
- ²⁹ محمد صالح ناصر، المرجع نفسه، ص: 6.
- ³⁰ محمد صالح ناصر، نعمة الأمن، دار ناصر للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، الجزائر، د.ط، 2015 م، ص: 7.
- ³¹ محمد صالح ناصر، عقود الوالدين، مكتبة الريام، الحمير، الدار البيضاء، الجزائر، د.ط، 2004 م، ص: 11.
- ³² ينظر: محمد صالح ناصر، يد الله مع الجماعة، دار ناصر للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، الجزائر، د.ط، 2015 م، ص: 3 وما بعدها.

- ³³ محمد صالح ناصر، احفظ لسانك، دار ناصر للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، الجزائر، د.ط، 2015 م، ص: 5.
- ³⁴ محمد صالح ناصر، الفأر الكذاب، مكتبة الريام، الحمير، الدار البيضاء، الجزائر، د.ط، 2004 م، ص: 2، 6.
- ³⁵ محمد صالح ناصر، المتكبر والمتواضع، مكتبة الريام، الحمير، الدار البيضاء، الجزائر، د.ط، 2004 م، ص: 11، 13.
- ³⁶ محمد صالح ناصر، نهاية الطيش، دار ناصر للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، الجزائر، د.ط، 2015 م، ص: 3، 4.
- ³⁷ محمد صالح ناصر، يوسف الصديق، دار الريام، الصنوبر البحري، المحمدية، الجزائر، ط3، 2004 م، ص: 4.
- ³⁸ محمد صالح ناصر، حسن التدبير، دار ناصر للنشر والتوزيع، د.ط، 2015 م، ص: 3 وما بعدها.
- ³⁹ محمد صالح ناصر، ما بالطبع لا يتبدل، دار ناصر للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، الجزائر، د.ط، 2015 م، ص: 3.
- ⁴⁰ النمط السردى هو الطريقة التقنية المستخدمة في إعداد وإخراج النص القصصي وغيره، بغية تحقيق غاية المرسل منه (إيمان البقاعي، المتقن، معجم تقنيات القراءة والكتابة والبحث للطلّاب، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.ط، ص: 234).
- ⁴¹ محمد صالح ناصر، عاقبة المتكبر، دار ناصر للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، الجزائر، د.ط، 2015 م، ص: 3، 5.
- ⁴² محمد صالح ناصر، جزاء الإحسان، دار ناصر للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، الجزائر، د.ط، 2015 م، ص: 3، 5.
- ⁴³ محمد صالح ناصر، الصديق...صديق الشدة، دار ناصر للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، الجزائر، د.ط، 2015 م، ص: 3.
- ⁴⁴ محمد صالح ناصر، وتعاونوا على البر والتقوى، دار ناصر للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، الجزائر، د.ط، 2015 م، ص: 3، 4.
- ⁴⁵ محمد صالح ناصر، السيئة بمثلها، دار ناصر للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، الجزائر، د.ط، 2015 م، ص: 3.
- ⁴⁶ محمد صالح ناصر، عمل ساكتا، دار ناصر للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، الجزائر، د.ط، 2015 م، ص: 2.
- ⁴⁷ محمد صالح ناصر، المرجع نفسه، ص: 3 وما بعدها.
- ⁴⁸ محمد صالح ناصر، السيئة بمثلها، ص: 3.

⁴⁹ محمد صالح ناصر، في الاتحاد قوة، دار ناصر للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، الجزائر، د.ط، 2015 م، ص: 3.

⁵⁰ محمد صالح ناصر، لا تصدق كل ما يقال، دار ناصر للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، الجزائر، د.ط، 2015 م، ص: 3.

⁵¹ محمد صالح ناصر، عاقبة الغرور، ص: 4، 5.

⁵² أحمد نجيب، فن الكتابة للأطفال، دار الكتاب العربي، مصر، ط5، 1982 م، ص: 42، 43.



نحو مصطلح علمي قرآني

فتيحة مولاي، محمد العيد رتيمة

1- مخبر التراث الثقافي واللغوي والأدبي بالجنوب الجزائري-

كلية الآداب واللغات جامعة غرداية، كتوراه علوم جامعة الجزائر2

ص ب : 455 طريق المطار غرداية 47000. الجزائر

2- جامعة الجزائر2

moulayfatiha77@yahoo.fr

الملخص -

في ظل النزوع إلى التفسير الموضوعي للنص القرآني والدخول إليه من بوابة لغته، أضحى الاهتمام بدراسة المفاهيم والمصطلحات القرآنية من الأولويات لاستكناه دلالات هذا النص ومقاصده وفهمه فهما صحيحا، خاصة أنّ النص القرآني يتعامل بصرامة شديدة مع انتقاء المفردة القرآنية وتخيّرها تعرض هذه الورقة البحثية قراءتين متميزتين للمصطلح القرآني الأولى لـ "محمد أبي القاسم حاج حمد" والثانية لـ "الشاهد البوشيخي"، وقد أسّسا بشكل مباشر أو غير مباشر مرجعيةً لكثير من البحوث تحاول التأسيس لمصطلح علمي قرآني. وخصّصنا الحديث عن المصطلح العلمي المادي في النص القرآني وضررنا في ذلك نموذجا وهو الأمشاج.

الكلمات الدالة -

القرآن، المصطلح القرآني، المفهوم، المصطلح العلمي...

Towards A Scientific Qur'anic Terminology

Abstract-

In Light Of The Tendency Towards The Objective Interpretation Of The Qur'anic Text And Access To It From Its Language Portal The Interest In Studying Q'uranic Concepts And Terminology Has Become A Priority For Its Understanding Of The Meanings, Purposes Of This Text, Especially That The Q'uranic Text Is Very Strict With The Selection Of The Q'uranic Word.

This Paper Presents Two Distinct Readings Of Qur'anic Term The First For "Muhammad Abi Al-Qasim Haji Hamad" And The Second For The "Ashahid-Boushikhi" Who, They Have Directly Or Indirectly Established A Reference To Many Research Trying To Establish A Qur'anic Scientific Term We Also Present The Term Of Zygote As An Example.

Key Words-

Scientific Term, Qur'anic Term, Concept, ...

مدخل

المصطلح لازمة من لوازم الحضارة وملح من ملامح التقدم العلمي والرقى اللغوي، فإن أردت أن تتعرف على مستوى حضارة أمة من الأمم ومدى تقدمها العلمي وراقيها اللغوي جس نبض مصطلحاتها كمًا ونوعًا. والمطلع على تراث العرب يدرك مدى تطورهم في هذا الشأن وإسهامهم في العمل المصطلحي بجهود سبّاقة وضعًا واستعمالًا في شتى العلوم حتى آمنوا أنّ مفاتيح العلوم ومصطلحاتها وإن كان هذا لا يعني البتة أنّهم مضوا في ذلك شأوا بعيداً تأسيساً وتنظيراً.

في الحقيقة لسنا هنا بصدد الحديث عن تاريخ العمل الاصطلاحي ونشأته لكننا نروم من خلال هذه الورقة البحثية أن نقدّم حضرا لبعض المفردات القرآنية التي غدت بفضل بنيتها ودلالاتها مصطلحا علميا دقيقا، بعد أن نعرف القارئ على جهود رائدة تُبذل في أيامنا هذه لتكريس مصطلح علمي قرآني ليس في العلوم القرآنية وعلوم الحديث فحسب بل في مجالات علمية مادية لا من باب

القطيعة مع الآخر ولا الإسقاط اللاواعي، بل من باب توظيف مصطلح الذات وقبل ذلك تفرّد اللغة القرآنية. تتأسّس إذاً هذه الرؤية من منطلقين:

الأول: دقة المفردة القرآنية وصرامة النص القرآني في توظيفها وتخيّلها، إذ من أبرز سمات اللغة القرآنية كونها لغةً منتقاةً بدقةً لامتناهية، مما يجعلها ذات دلالة متخصصة تبتعد كل الابتعاد عن العمومية، بل تطابق معناها أو مفهومها تمام المطابقة، فلا تجدها فضفاضةً عنه ولا تقصّر قدر أنملة في أدائه، بل لا تقبل لها بديلاً ولا مرادفاً لتثبت أنها خلقت له دون غيره، فتؤدي المعنى بدقة لا مثيل لها، يقول "محمد سعيد رمضان البوطي": «إنّ للكلمة القرآنية مزية لا تجدها في الكلمات في الخطاب الإنساني لأنها تتناول من المعنى سطحه وأعماقه وسائر صوره وتمتاز عن سائر مرادفات اللغوية بتطابق أتمّ مع المعنى المراد فمهماً استبدلت بها غيرها، لم يسد مسدّها ولم يُغن غناءها ولم يؤد الصورة التي يؤديها... فإذا استنفدت اللغة طاقتها ولا تزال بقيّة من المعنى أو الصورة شاردة وراء حدود اللغة، اتسعت لها الكلمة القرآنية وشملتتها عن طريق ما تتسم به من جرس ووزن وإيقاع»¹

والثاني: العضلة الاصطلاحية التي تعاني منها كل القطاعات العلمية لأننا أمة عاجزة تستورد من وراء البحار نتاجاً علمياً ومعرفياً يتسارع نموه وتطوره يومياً، فإذا كانت الدول المنتجة لهذه المعارف والعلوم تعاني أزمة اللحاق بهذا التسارع المفاهيمي بوضع المصطلحات المناسبة التي تربو عن «خمسین مصطلحاً جديداً يومياً»² فما بالك بهذه الأمة التي تتصوّر تخلفاً علمياً وتكنولوجياً ولّد داءين: فاقّة اصطلاحية مميتة وفوضى فيما يوجد من مصطلحات سببها الاجتهاد الفردي الذي يكمن خطره في تباين ثقافات الواضعين، وغياب التنسيق بين الهيئات العلمية التي تضطلع بوضع المصطلح. سنعرض إذاً في هذه الورقة محاولات جادة ورائدة تسعى حثيثاً إلى تكريس مصطلح علمي قرآني، هي محاولات متميّزة: الأولى جهود المفكر السوداني "محمد أبو القاسم حاج حمد"³ وقراءته المتميّزة للمفردة القرآنية، التي اتخذناها مرجعية انطلق منها هذا الطرح، والثانية جهود جبارة لشيخنا "الشاهد البوشيخي"⁴ الذي تتبّنى أفكاره هيئتان علميتان أشرف عليهما (معهد الدراسات المصطلحية)⁵ و(مؤسسة البحوث والدراسات العلمية "مبدع")⁶ التي لا زال أميناً

عاما عليها إلى الآن، يستنهض همم الباحثين في تكريس مصطلح علمي قرآني ومن بين تجليات هذه الجهود المؤتمر العالمي للباحثين في القرآن الكريم وعلومه في طبعاته المختلفة ولكننا سنركز على طبعته الرابعة التي انعقدت من 13 إلى 15 أبريل 2017 بفاس وبالضبط في محوره الرابع (المصطلح القرآني وعلاقته بالعلوم المادية) الذي طرح مواضيع متميزة كمصطلحات الهندسة المدنية والمعمارية والصحية والرياضية والفلاحية... والتي قدّمنا لمحة عن بعض مواضيعها، واختيارنا لهؤلاء ليس نُسفاً لما يبذله علماءنا وباحثونا الآخرون وإنما لتمييز رؤاهم ونظرا لمحدودية الصفحات المشروطة في هذه المجلة. قبل هذا وذاك آثرنا أن نفكّك الضميمة المؤلفة للعنوان، فما المقصود بالمصطلح العلمي القرآني؟

مفهوم المصطلح العلمي القرآني

مفهوم المصطلح العلمي

إذا كان أبسط مفهوم للمصطلح كونه لغةً متخصصةً هو «علامة معرّفة داخل نظام من الدوال المحددة للمفاهيم وبالتالي هو مدخل للمفهوم وعلامة على مرجعه»⁷، فالمصطلح العلمي «هو لفظ اتفق العلماء على اتخاذه للتعبير عن معنى من المعاني العلمية، فالتصعيد مصطلح كيميائي، والهيولى مصطلح فلسفي والجراحة مصطلح طبي، والتطعيم مصطلح زراعي»⁸ وجدير بالذكر هنا أن نشير إلى أنّ مفهوم العلم في عصرنا قد شوّه وقُصر على المادي منه، وهو تصوّر غربي لمفهوم العلم وتضييق له، فيه تجنّ شنيع على هذا المصطلح ومفهوميّه، يقول "محمد سعيد رمضان البوطي": «تقلّصت صلاحية العلم في ظل النهضة الغربية الحديثة... حتى أصبحت عملية العلم مادية محصورة في دائرة الأمور المادية المحسوسة الخاضعة للتجربة والمشاهدة، وأصبح العلم في ظل هذا التقلّص حكرا للعملية التالية: أن يرصد الإنسان مادة كونية خاضعة لحاسة من حواسه، ثم يمارس التجربة تلو التجربة حتى يستل من هذه التجربة رصيда ثم يجعل من هذا الرصيـد قانونا»⁹. وهو الشيء نفسه الذي ذهب إليه "الشاهد البوشيخي" عندما نفى هذا التصوّر فوسّع مفهومه ليشمل علوما كثيرة أولها القرآن الكريم، يشير إلى ذلك قائلا: «ولا أقصد بالعلم هنا المفهوم المعاصر المقصور على مجال العلوم المادية كما هو شائع اليوم. كلا ثم كلا، إنما هو

العلم بمفهومه الواسع الذي يبتدئ من الوحي أصلاً (وَلَنِّ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ)¹⁰ ثم العلوم الشرعية بكاملها المستنبطة من الوحي، ثم العلوم الإنسانية بصفة عامة، ثم العلوم المادية». هذا هو التصور الذي نرتضيه لمفهوم العلم وننسب إليه المصطلح، مع أننا سنقصر الحديث عن المادي منه، لقلة البحوث فيه، ولضيق هذا المقام.

مفهوم المصطلح القرآني

في ظل النزوع إلى التفسير الموضوعي للنص القرآني والدخول إليه من بوابة لغته، أضحى الاهتمام بدراسة المفاهيم والمصطلحات القرآنية من الضروريات لاستكناه دلالات هذا النص ومقاصده وفهمه فهما صحيحا، وإن كان هذا الأمر امتدادا لما قدّمه العلماء في علم الأشباه والنظائر في القرآن الكريم. لكن بدايةً ماذا نقصد بالمصطلحات القرآنية؟ إنَّها وببساطة «ألفاظ تسمي مفاهيم معينة في القرآن الكريم»¹¹.

مفهوم المصطلح العلمي القرآني

بناء على المفهومين السابقين فالمصطلح العلمي القرآني هو اللفظ القرآني الذي دلّ على مفهوم علمي انطلاقاً من سياق ورؤية قرآنيين.

"محمد أبو القاسم حاج حمد" والمصطلح القرآني

كما ذكرنا آنفاً لقد انطلقنا في حديثنا عن المصطلح العلمي القرآني من تصور "حاج حمد" لتوظيف المفردة القرآنية أو بالأحرى المصطلح القرآني الذي كرّسه في كثير من مؤلفاته والمحافل العلمية التي شارك فيها. هذا التصور الذي يرى أنّ البنية القرآنية بنية مضبوطة بشكل موازن لانضباط الوجود الكوني وحركته، بنية لا تسمح بالترادف أو الاشتراك، لدرجة أنّ أصغر وحدة لغوية غير دالة ألا وهي الصوت لا تُوظف عشوائياً ولا تسمح بوجود بديل لها، كما يجعل المسألة اللغوية مسألة منهجية بالدرجة الأولى، يقول "حاج حمد": «فليكن يكون القرآن مرجعاً مطلقاً ارتقى الله بلغته ومفرداته فوق الاستخدام اللساني العربي والتراثي محققاً مفهوم (اللغة المثالية) بلا مترادف أو مشترك أو نحو ذلك»¹². إنّ هذه اللغة تتأسّس على مبدأ «الإحكام المطلق»¹³ الذي يُكسب المفردة دلالة مفهومية متميِّزة ويحيلها إلى «مصطلح دلالي متناهي

الدقة»¹⁴ يسمى "حاج حمد" هذه الدلالة المفهومية في كثير من المواضع (العائد المعرفي). يشير هذا المفكر إلى نقطتين مهمتين: (الأولى) هي دقة المفردة القرآنية وصرامة النص القرآني في توظيفها مما ينفي عنها الترادف والاشتراك و التضاد والاستعارة والعدول كيفما كان. و(الثانية) هي ارتقاء هذه المفردة للأسباب التي سبق ذكرها إلى الاصطلاحية، فهي مصطلحات متناهية الدقة في مفهومها، كما تشكل «قاعدة المعلومة»¹⁵ في النص القرآني لهذا «تكتسب اللغة القرآنية أهميتها تماما كما تكتسب مناهج الاستقراء العلمي أهميتها في بحث الإنسان والكون»¹⁶ بل تُعدّ «مدخلا لكونية القرآن وإحاطته المنهجية والمعرفية بالوجود كوشي مطلق»¹⁷

ومن هذا المنطلق قدّم "حاج حمد" نماذج كثيرة للتفريق بين مفردات يُظنّ أنها من المترادفات، ك(مسّ) و(لمسّ) و(شهود) و(رؤية) و(الخمار) و(الحجاب) و(العورة) و(السواة) و(المقدّسة) و(المحرّمة) و(النجس) و(الدنس) و(النفس) و(الروح) و(النزول) و(الهبوط) وغيرها من النماذج التي أوردها في مؤلفاته، فقد تمّ الخلط بين دلالاتها ووقع اللبس في فهم النص القرآني وانعكس ذلك على قضايا مهمة لا تسمح بالفهم الخاطئ كقضايا التشريع والعبادة، ومن ذلك (مسّ) و(لمسّ) إذ يحدّد "حاج حمد" الفرق بينهما في الحسيّة والمعنوية، ف(مسّ) عقلية وجدانية و(لمسّ) بمعنى عضوي، والخلط بينهما أوقع لبسا في فهم أسرار حكم فقهي وهو مس المصحف، يقول مفصّلا ذلك: «فلا يورد القرآن (مسّ) بمعنى (لمسّ) إطلاقا ولهذا حين قال: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾¹⁸ فقد قصد (النفس الطاهرة) وليس (البدن)، فالبدن (يلمس) ولا (يمسّ). البدن يلامس النساء كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾¹⁹ ويلمس الأشياء كذلك ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾²⁰ أما (المسّ) فيتجه إلى المعرفة والإدراك والإحساس والشعور: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾²¹ وكذلك: ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾²²، فمسّ القرآن إدراكه والشعور به، وهو مسّ لا يأتي إلا للمطهرين نفسا وليس للمتطهرين بدنا فقط، فعلم القرآن المكنونة لا تنكشف للسارق والقاتل والزاني والمنتهف بها في أغراض الدنيا»²³ هذا نموذج من فلسفة "حاج حمد" ورؤيته اللغوية، ويذهب بعيدا حين يجعل هذه اللغة اصطلاحية، إذ يرى أنّ «للقرآن لغته

الاصطلاحية الدقيقة التي لم يُعَنَّ بها التراثيون بالقدر الذي عُنوا فيه بالمصدر البشري للغة، فَهُمُ قد دَوَّنوا لنا لسان العرب ولكن لم يدوّنوا لسان القرآن»²⁴ إذ فسّروا مفردات القرآن بالرجوع إلى لغة العرب في شعرهم ونثرهم، وإلى محيط عربي في زمن ما ومكان محدّد، بينما اللغة القرآنية وُظفت وتوظيفا إلهيا بإحكام مطلق لا يسمح بالترادف أو غيره من الظواهر الأخرى، ولا يرتبط أبداً بمكان أو زمان معيّنين.

كما ينفي "حاج حمد" أن تكون اللغة مجردة: «كلمات دالة على مسمى دون وسيط مشكّل للتصوّر الذهني، فالكلمة تستدعي تصوّراً معيّناً مقيّداً في دلالاته إلى بيئة تاريخية وثقافية معيّنة والقرآن ينحو في دلالات المفاهيم إلى الضبط والمنهجية على غير ما هو شائع وسائد ومتغيّر في ذهنية العائد المتصوّر، فقد فَهَمَ العرب كلمة (الأميين) بمعناها السائد وليس القرآني فأطلقوها على من لا يعرف الخط ولا يقرأ رسم الحروف، وهي خلاف ذلك في الاستخدام القرآني، إذ أنّها تقابل (الكتابيين) وليس (الكاتبين) والاستناد إلى التصوّر الذهني العربي (العائد) لهذه الكلمة في عصر التدوين إنّما يعني إغلاق الفهم على مراحل تطوّر الخطاب الإلهي من حالات الاصطفاء الديني الرأسي وإلى حالات الاتّساع العالمي المتدرّج، وهذا فهم منهجي يرتبط بتطوّر مراحل التشريع الديني وطبيعتها، فالخلل في فَهْم دلالات ألفاظ القرآن لا يقود إلى مجرد إشكاليات لفظية، إنّهُ يقود إلى ما هو أخطر من ذلك بكثير حيث سيتعدّر فَهْمُ محتوى عالمية الدين ومعاني الشريعة والمنهاج»²⁵

ومن هذا المنطلق أعرب "حاج حمد" ضمن مشروعه الموسوعي (موسوعة الدينونة) عن «تطلّعه لعمل مشترك في مشروع ((معجم دلالات ألفاظ القرآن الكريم))»²⁶ يتتبّع فيه المفاهيم والمصطلحات القرآنية لكن شاءت الأقدار أن تختطف المنية هذا العَلَمَ قبل إتمام ذلك، يقول "محمد العاني": «إنّ موسوعة الدينونة عبارة عن خمسة عشر جزءاً، يمثّل مجلّداً العالمية وكتاب منهجية القرآن المعرفية الأجزاء الثلاثة الأولى، والجزء الرابع هو فواتح السور، وهو موجود كمخطوط، ودلالات ألفاظ القرآن... ثمّ هناك عشرة أجزاء هي التحليل المنهجي للقرآن وهذه موجود منها جزءان اثنان فهناك إذاً ثمانية أجزاء - إضافة إلى المعجم - غير موجودة بشكل واضح، وأكرّر غير موجودة بشكل واضح، إذ إنّنا وجدنا في مخطوطات الحاج حمد حوالي عشرة أعمال غير مطبوعة ربّما تمثّل في

مواضيعها مادة الأجزاء الثمانية، والموسوعة ككل تمثل مادة معجم دلالات الألفاظ. فلقد عثرتُ بين أوراقه على ورقة مكتوبة بخطّ يده ذكر فيها أنّ الموسوعة سيجري العمل عليها وفق خيارين، الأول: المواضيع التي تغطيها الأحرف الأربعة عشر؛ وذلك بالدمج بين فواتح السور والقرآن في وحدته العضوية والمنهجية... والثاني: طبقاً للموضوعات (التشريع العائلي، حرية الإنسان والتأسيس القرآني، موضوعات ترشيد الصحوة، الحاكمية، والمحاضرات والندوات)²⁷

الشاهد البوشيخي والمصطلح القرآني

ينظر "البوشيخي" إلى المسألة المصطلحية ككل والمصطلح القرآني بصفة خاصة على أنّهما مسألة حضارية بحتة وأي محاولة للنهوض الحضاري لا تتحقق إلا بأن نُؤلّي اهتمامنا شطرهما وإعادة تمكين مصطلحات الذات فهماً وتقويماً وتوظيفاً في مجال العلوم الشرعية والإنسانية والمادية، وأن نفقه المسألة المصطلحية بمفهومها الحضاري الشامل.

ومن الرشد المنهجي الاهتمام بالمصطلحات القرآنية كونها أولى أولويات البحث العلمي في الدراسات القرآنية، لأنها مفاتيح النص القرآني التي يتحقق بها تجديد فهم هذا النص والعمل بما جاء فيه، يقول: «نحن نحتاج إلى الدخول (وإنما تُؤتَى البيوت من أبوابها) فقبل أن ندخل إلى الجملة القرآنية يجب أن نفتح باب الألفاظ القرآنية، إذ الجملة مكوّنة من ألفاظ، وليس المقصود الآن الألفاظ التي تكون في النص العادي، ولكن المقصود الألفاظ المصطلحات التي تعبّر عن مفاهيم، والتي بها يتمّ الدخول إلى المفهوم الكلي النسقي للقرآن الكريم»²⁸ تُرى ماذا يقصد "البوشيخي" بالمصطلح القرآني؟

«إنه ذلك اللفظ الذي أكسبه استعماله في القرآن الكريم دلالة خاصة زائدة على الدلالة التي له في اللسان العربي، فصار بذلك له مفهوم خاص ضمن الرؤية القرآنية الشاملة، وصار بذلك التعبير عن ذلك المفهوم مصطلحاً من المصطلحات القرآنية»²⁹

وينضوي تحت هذه الأخيرة «كل أسماء المعاني وأسماء الصفات المشتقة منها في القرآن الكريم، مفردة كانت أم مركبة، ومطلقة أو مقيدة، وعلى الصورة الاسمية الصريحة أم على الصورة الفعلية التي تؤوّل بالاسمية»³⁰

وقد يتساءل القارئ الكريم : أنى لهذه المفردات القرآنية أن تكون مصطلحات وأهم شرط في الأخيرة التوافق والاصطلاح؟

ذلك لأن أهم سمة للمفردة القرآنية هي خصوصيتها واكتنازها لدلالات حملها إياها النص القرآني، فقد أحدث القرآن في كثير منها تغييراً دلاليا فتعدت الدلالة المتعارف عليها في الاستعمال العربي قبل نزول القرآن إلى دلالات جديدة كالحج والصوم والصلاة وغيرها كثير، وهذا ما دفع كثيراً من العلماء إلى اعتبارها مصطلحات قرآنية، يقول "الشاهد البوشيخي": «هذا الكتاب انطلق من الألفاظ بدلالاتها المعروفة المألوفة، لكنه منذ بدء نزوله حتى انتهاء نزوله ضمن الألفاظ مفاهيم، ووضعها في سياقات بعينها، جعلها في النهاية تنتقل دلاليا من المعاني التي كانت لها في اللسان العربي، إلى آفاق جديدة، وإلى مفاهيم جديدة، تنسجم مع هذه الرؤية الشمولية الربانية التي جاءتنا من الله جلّ جلاله والتي يجب أن نستدرجها بين جنوبنا، ونصدر عنها في كلّ ما نأتي وما نذر؛ لذلك فالألفاظ - وإن كانت عربية، وتوجد في المعاجم العربية وفي الكتب العربية- إلا أن درسها الحقيقي ينبغي أن يتركز بعد التعرّيج على كلّ ذلك، واستيعاب كل ذلك، ينبغي أن يتركز على استعمالاتها في القرآن الكريم، لتستخلص الخصوصيات الدلالية لهذه الألفاظ، ليتمهد الطريق إلى فقه عالم القرآن بصفة عامة»³¹

و يؤسس "البوشيخي" نظريته في المصطلح القرآني على مبدأ مهم وهو «أنّ المصطلح ليس ضرورة أن يتفق عليه ناس، كما هو سائد في تعريف المصطلح. إذ يمكن أن يكون جاهز الاصطلاحية، وقد يوجد من خلال رؤية أو تخصيص مفهومي أو استعماله في نصوص أو تيارات ومذاهب، ألا نقول (هذا في اصطلاح فلان)؟»³² ثم يضبط شيخنا منهج دراسة المصطلحات القرآنية وفق أركان مهمة تُعدّ مراحل لهذه العملية، تبتدئ أولاً بإحصاء مواضع المصطلح في النص القرآني ثم الدراسة المعجمية له ثم النصية ثم المفهومية ثم عرضه على نمط خاص ببيان تعريفه، وبيان صفاته بأنواعها، وبيان علاقاته بأنواعها، وبيان ضمائه بأنواعها، وبيان مشتقاته بأنواعها. وأخيراً بالدخول إلى عالم قضاياها بأبعادها³³. هذا المنهج - في نظر البوشيخي - يؤسس لوضع جماعي أو مؤسساتي

لمعجم مفهومي اصطلاحي للقرآن الكريم وكذا معجم تاريخي للمصطلحات العلمية العربية لازال العمل جاريا فيه. نسأل الله التوفيق والسداد في ذلك.

المصطلح العلمي المادي في القرآن الكريم

بفضل دراسات و بحوث الإعجاز العلمي في القرآن وهذه المرجعية التي أسّسها "محمد أبو القاسم حاج حمد" و"الشاهد البوشيخي" وغيرهما في نظرية المفاهيم والمصطلحات القرآنية توالى بحوث قيّمة تؤسس لمصطلح علمي مادي قرآني في مجالات كثيرة، سنسرد بعضها إذا في هذه العجالة.

مصطلحات الطقس والمناخ في القرآن الكريم:

يحصي "مسعد سلامة مندور" مصطلحات الطقس والمناخ التي وردت في القرآن الكريم وقد أثبت العلم دقتها التي لا يمكن أن يُقدّم الإنسان ما يضاهاها مهما أُوتي من العلم، يقول "مندور": «أسفرت المقارنة بين الكلمات الواردة بالقرآن الكريم والمصطلحات العلمية للطقس والمناخ أن القرآن يتضمن بعض المصطلحات العلمية المستخدمة حالياً بنفس صياغتها اللغوية، فضلاً عن احتوائه لحقائق علمية معبراً عنها تعبيراً رائعاً وواصفاً لها وصفاً علمياً دقيقاً يفوق تعريف العلماء والمتخصصين منذ أكثر من 1400 عام وهذا إعجازاً في حد ذاته، إذ لم يتوصل الإنسان لهذه الحقائق سوى في القرون الثلاثة الأخيرة»³⁴ ثمّ قارنها بما يُوظّف حالياً في الكتب العلمية المتخصصة في الطقس وهيئات الأرصاد الجوية، فوجد كثيراً منها يعبر عن آخر ما توصل إليه العلماء من مفاهيم علمية في هذا المجال، وبعضها الآخر - على الرغم من دقته العلمية- لا يزال غير مَوْظَف في هذا العلم. من بين هذه المصطلحات مصطلح (الرياح) وهو أكثرها وروداً بمعدل خمس وثلاثين مرة؛ بصيغتيه (الريح) و (الرياح) وكذا (الحاصب) و(القاصف) و(العارض) و(الذاريات) كما وُصفت بـ(الصرصر) و(العقيم)... الخ

كما ترد السحب بكل أنواعها بسبعة عشر مصطلحاً كالسحاب والكسف والصيب والغمام والمعصرات والمزن والظلال والحاملات. و(التساقط بنوعيه السائل والصلب) ذكر فيه أربعة عشر مصطلحاً كالوابل والمدرار والودق والبرد والطلّ والمطر. كما وردت مصطلحات لظواهر أخرى كالرعد والبرق والإعصار

والعواصف والصواعق. وفي الإشعاع الشمسي مصطلحات أخرى كأفول الشمس ويزوغها وطلوعها وكذلك السراب والظلل والحر.³⁵

ويبين "مندور" دقة المصطلحات القرآنية من خلال دلالتها على الحقائق العلمية في هذا المجال فمثلاً، يشرح "مندور" مصطلح (المزن) في قوله تعالى (أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ) من خلال وروده في القرآن وفي علم الجغرافيا المناخية، فيقول: «المزن هو السحاب الثقيل بالماء، وتستخدم الكلمة كمصطلح وهي أنواع من السحب وجاءت الكلمة بصيغة الجمع لتظهر البلاغة القرآنية لوجود أكثر من نوع لسحب المزن، وهي المزن الطبقي متوسط الارتفاع (Nimbostratus) سحب الطقس الرديء)، والركام المزن المنخفض الارتفاع (Cumulonimbus) ويصاحبها سقوط أمطار غزيرة.»³⁶

37 مصطلحات الهندسة المعمارية في القرآن الكريم

في هذا التخصص قدّم المهندس والخبير في الهندسة المدنية "عبد العزيز الصالحي" قراءة لمصطلح الهندسة المعمارية في القرآن الكريم، إذ نبّه على ضرورة استثمار مصطلحين في هذا الميدان ألا وهما (العمران) و(البنيان) بدل اللجوء إلى ترجمتهما الفرنسية، فقد وردا بمفهومهما التخصصي الدقيق في النص القرآني. ثمّ أحصى المصطلحات القرآنية التي لها حضور في الجهاز المصطلحي العمراني وصنّفها حسب مجالات هذا العلم المعاصرة، فانظر معنا:

- 1- التخطيط المجالي أو الإقليمي : أحصى اثنين وعشرين مصطلحاً توزّعت على: التجمعات العمرانية، مثل: البلد، البلدة، البدو، القرية، المدينة... الخ. وفي المجال الطبيعي نجد: البحر، الجبل، السهل، المرعى، الجرف، الربوة...
- 2- وفي التخطيط الحضري والقروي: صنّف ثلاثة وسبعين مصطلحاً، فضمن السكن نجد: المسكن، المنزل، البيت، الدار، الخيمة، القصر... وفي المرافق العمومية من بين ما يرد في القرآن: المسجد، النادي، الصلاة، البيعة، الصومعة، السوق، السجن ... وفي شبكات البنية التحتية نجد مثلاً: الطريق والسّرب والسبيل ضمن الطرق. وفي التطهير من بين ما يحصى: المجاري، الحفرة، القرار، المطر... الخ. أما في الماء فمما يرد: البئر والعيون والسدّ والسلسبيل... الخ. وفي

مجال المناطق الخضراء نجد الجنة والحديقة والروضة والشجر بأنواع كالنخيل والزيتون والعنب والتين... وفي البنيان الدفاعي : الحصن والبرج والقصر والصيص...

3- الهندسة المعمارية: في هذا التخصص يحصي "الصالحى" سبعين ومئة مصطلح أدرجها ضمن ثمانية فضاءات وهي كالتالي:

أ. أدوات البناء ومواده: كالدلو واللوح والدرسر والوتد والسلسلة والحجر والصخر والطين والخشب والماء...

ب. الأشغال الأساسية: وتضمّ: الأساس والقاعدة في الأساسات والعماد والكن والجدار ... في الدعامات. وفي الغطاء والسقف والأرض نجد: السقف والسطح والطبق والمعراج... الخ. وفي الدرج: السلم والدرجة... ومن مجال السلامة في البناء: الوقاية والسلامة والميل والحمل... الخ.

ج. الأشغال الثانوية (التشطيب): نجد الزينة والزخرف والنحت والتراص... الخ

د. الفضاءات الداخلية والخارجية للبنيان: ففي الداخلية من بين ما يذكر الحجرة والغرفة والجناح والمدخل والمخرج والمستودع والفجوة... الخ. ومن التهيئات الخارجية: الساحة والأرجاء والوصيد والعريش... الخ

هـ. مراقبة الوسط: ومن بين مصطلحاته: الريح والرائحة والدخان والصوت والنقع والهز... الخ

و. مفاهيم إبداعية: كضوابط القياس وهي الطول والعرض والذراع والرحب والسمك... والاتجاهات: القبلة والشرق والغرب واليمين والشمال... الخ. والألوان ومنها: اللون والدهان والأصفر والأبيض والأحمر والأخضر... الخ.

ز. وصف حالة البنيان : مثل الخراب والهدم والنقض والإصلاح...

ح. التأثيث: ومن مصطلحاته الأثاث والمائدة والزربية والفرش والأريكة والمصباح والمشكاة والبساط والكأس والآنية...

4- القوانين الموجهة: ويُقصدُ به «الجانب القانوني في جميع مراحل الإنتاج العمراني»³⁸ أحصى في هذا المجال أربعة وعشرين مصطلحا منها: الضرر والجوار والإرفاق والخصومة... الخ.

5- العوامل اللازمة لإنجاز المشروع: عدّ فيه اثنين وعشرين مصطلحات تتوزّع على ثلاثة جوانب:

- أ. الجانب العقاري: ومنه الموثق والوكيل والقسمة والنصيب والحدّ...الخ.
 - ب. الجانب التمويلي: ومما فيه الكلفة والثلث والأجر والتطوّع...الخ.
 - ج. الجانب التنظيمي المؤسّساتي: كالقضاء والأجل والميقات...الخ.
- بالإضافة إلى ذلك اقترح المهندس كثيرا من المصطلحات القرآنية التي يمكن توليدها في هذا العلم بدلا من ترجماتها الأجنبية فعلى سبيل التمثيل لا الحصر: الثرى وهو التراب النّدي يُستعمل للبناء. والصفصف: الاستواء لا ميل ولا ارتفاع ولا انخفاض فيه، ويمكن استعماله للتعبير عن هيئة بنائين متلاصقين مستويين (à fleur) ودكّة دكاء بدل (à ras du sol) والمقصود به المنهدم والمستوي بالأرض. والصدف بدل (le pied mont) للدلالة على البناء جانب الجبل...الخ

مصطلحات علوم الفلاحة في القرآن الكريم³⁹:

أحصى المهندس في علوم الفلاحة " إسماعيل أيت باحدو" كمّا هائلا من المصطلحات القرآنية، ووزّعها على علومها المختلفة:

أ. علم الماء الذي ورد فيه مصطلح الماء، ركّز فيه المهندس على تعداد صفاته التي هي مصطلحات الدق والأجاج والغور والفرات...الخ.

ب. علم التربة إذ وصف القرآن الكريم التربة بكل نطاقاتها وأنواعها والإعجاز أن «يتفق تقسيم التربة في الهيئات العالمية المتخصصة في والذي يضم 1200 نوع من التربة مصنّفة في عشر رتب، وجميع تلك الرتب مذكورة في القرآن مع العلم أنّ هذا المقياس قد وُضع حديثا»⁴⁰ ومن الأنواع: الأرض الجرز التي لا تنبت، و الرابية والمنقولة، وكذا اهتزاز الأرض وربائها بعد هدوئها وخشوعها بسبب الماء النازل من السماء.

ت. علم النبات: ورد ذكر النباتات في موضع تعجيز الكفار وحجاجهم لإثبات الخلق والبعث ودعوة الناس إلى الإيمان، لذلك تجد الخطاب القرآني في هذه المواضع يقرن بين نشأة الإنسان والنبات.

ث. علم المناخ: وقد أشرنا إليه سابقا.

ج. علم الحيوان وعلم الحشرات: ورد ذكر الحيوانات بأنواعها المختلفة وبأسمائها كالبقرة والناقة والحمير والخنزير والخيول والقرود والنعجة.... ومن الحشرات: نجد النمل والنحل والبعوض والجراد...

ح. تنوع المحاصيل الزراعية: ورد ذكر أنواع كثيرة من المحاصيل في القرآن، منها: الشعير والبقول والقمح والثوم والعدس... الخ والثمار كالأعقاب والرمان والزيتون والتمر... الخ

خ. هندسة البساتين: ويشير المهندس في هذا الباب إلى تصميم البساتين كأن نحاط أشجار العنب بالنخيل وزراعة محاصيل التغطية (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا)⁴¹ يستمر المهندس بعد ذلك في تقديم ذكر القرآن لبعض الصناعات التحويلية الغذائية والنسيج والدباغة والأثاث. وكذلك التخطيط الزراعي الاستراتيجي وتقنيات حفظ المحاصيل وتخزينها كما ورد في سورة يوسف. لكننا نرى أن التصور الأخير حمل مفاهيم هذه العلوم أكثر من مصطلحاتها.

مصطلحات علوم الصحة في القرآن الكريم:

قدّم هذا البحث الدكتور "محمد الأغضف غوتي" حيث قدّم قراءة وافية لمصطلحي المرض والشفاء في النص القرآني من الزاوية القرآنية والاصطلاحية العلمية ثم صنّف المصطلحات القرآنية التي تنضمّ للشبكة المفهومية للصحة الواردة في هذا النص في أربع مجموعات:

1. مصطلحات أعضاء الجسد: ومنها البطن والجفن والجسد والعين والرأس والأصبع...

2. مصطلحات الأمراض والأقسام: ومنها الألم والبرص والضرّ والسقم...

3. مصطلحات أسماء الأمراض: ومنها الأبرص والأكمه... الخ

4. مصطلحات نفسية: كحالات الغضب والحزن والحسد... الخ

ما دمنا نتحدّث عن المصطلحات الصحية ارتأينا أن نقدّم نموذجاً لمصطلح قرآني غدا بفضل بنيته ودلالاته مصطلحاً علمياً دقيقاً جداً نبين من خلاله مدى تحقيق المصطلح القرآني لشروط كثيرة لوضع المصطلح كالتناسب بين المعنى اللغوي والمفهوم الاصطلاحي والإيجاز والدقة والوضوح لنقول أن المصطلح

القرآني قد تجاوز كل ذلك إلى تعالق وثيق بين معناه اللغوي وبنيته ومفهومه وسياقه العلمي. إذاً سنقتصر على مصطلح واحد وهو (الأمشاج) لضيق المقام.

الأمشاج:

وردت هذه المفردة مرّة واحدة في النص القرآني وذلك في قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾⁴²، وهي الآية الثانية من سورة الإنسان، ولأنّها الموضع الوحيد الذي وقعت فيه هذه المفردة، سُميت هذه السورة بالإضافة إلى أسماء أخرى بـ (سورة الأمشاج)⁴³

التحليل المعجمي لمفردة الأمشاج:

تتأسس القاعدة الدلالية لهذه المفردة على معنى الاختلاط، يقول "الزراهمي": «المَشْجُ: اختلاط حُمْرة ببياض، والمَشَج منه، وكلُّ لونٍ من ذلك مَشَج، والجميع أمشاج، ولا يُفردُ، قال أبو ذؤيب: كأنَّ النَّصْلَ والفوقين منه *** خلالَ الريش سيطَ به مَشِيجٌ

والمشيحُ: كل لونٍ مُسْتَنَكِرٌ خلطه غيره.»⁴⁴ و"ابن فارس" يرى أنّ هذه المادة اللغوية أصل واحد يدل على «الخلط». ونطفة أمشاج، وذلك اختلاط الماء والدم. ويُقال إنّ الواحد مَشَجٌ ومَشِجٌ ومَشِيجٌ.»⁴⁵ كما ينطلق "الأصفهاني" في تحديد معناها انطلاقاً من السياق والمفهوم القرآني، إذ يقول: «قال تعالى: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ﴾» أي: أخلاط من الدم، وذلك عبارة عما جعله الله تعالى بالنطفة من القوى المختلفة المشار إليها بقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ إلى قوله ﴿خَلَقْنَا آخَرَ﴾»⁴⁶

ويستدرك "الزبيدي" دلالة أخرى وفحواها أنّ الأمشاج «التي تجتمع في السُّرّة»⁴⁷ ويضيف (المعجم الوسيط) المفهوم الاصطلاحي فـ «في علم الأحياء تُطلق الأمشاج على الخلايا الذكرية كالحيوَان المنوي والخلايا الأنثوية كالبيضة قبل أن تندمجا لتكوين اللاقحة.»⁴⁸ وهو فهم خاطئ يكشفه ما يردُّ لاحقاً. وكما ترى فأغلب اللغويين المذكورين يرون أنّ مفردة (مشج) جمعها (أمشاج) وإلى هذا ذهب "الفراء"⁴⁹ و"الأخفش الأوسط"⁵⁰ و"المبرد" و"ابن السكيت" و"الطبري" ماعداً "الزمخشري" الذي يورد رأياً آخر وهو أنّ هذه الكلمة «كبرمة أعشار وبرْد أكياش، وهي ألفاظ مفردة غير جموع ولذلك وقعت صفات للأفراد. ويُقال أيضاً نطفة مشج...ولا يصحّ أمشاج أن يكون تكسيرا له بل هما

مثالان في الأفراد لوصف المفرد بهما»⁵¹. لقد انطلق " الزمخشري " من القاعدة النحوية التي تنصّ على وجوب مطابقة الصفة للموصوف، وبما أنّ (نطفة) اسم موصوف وارد بصيغة الأفراد فإنّ صفته تكون مفردة. يعلّق " محمد الطاهر بن عاشور " على ذلك قائلاً: «والوجه ما ذهب إليه صاحب الكشف: أنّ (أمشاج) مفرد... وقال بعض الكتابين: إنّ خالف كلام سيوييه. وأشار البيضاوي إلى ذلك، وأحسب أنّه لم ير كلام سيوييه صريحا في منع أن يكون (أمشاج) مفردا لأن أثبت الأفراد في كلمة أنعام والزمخشري معروف بشدة متابعة سيوييه. فإذا كان (أمشاج) في هذه الآية مفردا كان على صورة الجمع كما في الكشف. فوصف نطفة به غير محتاج إلى تأويل، وإذا كان جمعا كما جرى عليه كلام الفراء وابن السكيت كان وصف النطفة به باعتبار ما تشتمل عليه النطفة من أجزاء مختلفة الخواص، (فلذلك يصير كل جزء من النطفة عضوا) فوصف النطفة بجمع الاسم للمبالغة، أي شديدة الاختلاط. وهذه الأمشاج منها ما هو أجزاء كيميائية نباتية أو ترابية ومنها ما هو عناصر قوى الحياة»⁵² وفي الحقيقة هذا الذي نرتضيه، فد (أمشاج) دالة على الجمع باعتبار ما تحتويه النطفة. وتعليقه سيكون في التحليل الدلالي للمفهوم الاصطلاحي. والذي نميل إليه أنّ المفردة على وزن (أفعال)، الدال على جمع القلة الذي يُشتق من الثلاثي الذي على وزن (فعل) كجدت وأجدات وجمل وأجمال... وتأويل وصف المفرد (النطفة) بالجمع (أمشاج) هو المفهوم العلمي للنطفة في هذه المرحلة، إذ تتكوّن من ماء الرجل والمرأة وخواصهما وصفاتهما أي الجينات الوراثية، فلا مانع إذا من وصف النطفة بناء على مفهومها وخواصها وسترى تفصيل ذلك في التحليل العلمي لمفردة (أمشاج). واللطفية هنا هو الجمع بين جمع القلة ودلالة (النطفة) وهي الماء القليل لغة واصطلاحا كما سترى في تفسير هذه المفردة، وبالتالي وُضع جمع القلة في موضعه الأصلي ولدلالته الحقيقية. إذا كما ترى البؤرة الدلالية أو إذا شئت الدلالة المركزية لمفردة (مشج) هي الاختلاط وهي الدلالة التي انبنت عليها الرؤى في التفاسير المختلفة. واللطفية الأولى هنا أنّ الاختلاط في المشج سائلة غير صلبة، أما الثانية فجاءت في (المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم) ففي الفصل المعجمي ل(مش) ورد أنّ كل ما اجتمع فيه الميم والشين على التوالي دلّ على «النفاز بانتشار من أثناء

الشيء كما يتمثل في رشح الماء من جبل الرُّكْبِيَّة أي حجرها الذي في قاعها، وكذلك امتشاش الودك من مسام مُشاش العظم في (مشش)...ومفارقة المكان بالمشي وانتشار النسل في (مشى)، وكخيوط أمشاج الغزول التي تمتد لتتداخل مع غيرها في (مشج)⁵³. ومنه يتأسس المفهوم القرآني لمفردة (أمشاج) لكنّ الخلاف يبدو في نقطتين؛ الأولى هي كون مفردة (أمشاج) جمعا أم مفردا؟ والثانية في ماهية الأشياء المختلطة هل هي اختلاط ماء الرجل بماء المرأة أم اختلاط الماء بالدم أم أشياء أخرى؟

التحليل الدلالي لمفردة (الأمشاج) في كتب التفسير:

انطلق جُلُّ المُفسِّرين في تفسير هذه المفردة من الأرضية المعجمية لها فكل التفاسير انبنت على الاختلاط، وفي تفسير ذلك يذهب "الزمخشري" إلى أنّ « مَشَّجَه ومزجه بمعنى. والمعنى من نطفة قد امتزج فيها المآن. وعن ابن مسعود: هي عروق النطفة. وعن قتادة: أمشاج ألوان وأطوار»⁵⁴. إذاً لا خلاف في كون الأمشاج أخلاطا وهو عين ما رآه "الرازي" في تفسير هذه الآية، لكنّ الخلاف - كما ذكرنا آنفاً - في ماهية هذه الأخلاط، يقول: « واختلفوا في معنى كون النطفة مختلطة فالأكثر على أنّه اختلاط نطفة الرجل بنطفة المرأة كقوله (يخرج من بين الصلب والترائب) قال ابن عباس هو اختلاط ماء الرجل وهو أبيض غليظ وماء المرأة وهو أصفر رقيق فيختلطان ويُخلق الولد منهما، فما كان من عصبٍ وعظم وقوة فمن نطفة الرجل، وما كان من لحم ودم فمن ماء المرأة، قال مجاهد هي ألوان النطفة فنطفة الرجل بيضاء ونطفة المرأة صفراء، وقال عبد الله أمشاجها عروقها، وقال الحسن يعني من نطفة مُشجّت بدم وهو دم الحيضة وذلك أنّ المرأة إذا تلقت ماء الرجل وحبلت أمسك حيضها فاختلطت النطفة بالدم، وقال قتادة الأمشاج هو أنّه يختلط الماء والدم أولا ثم يصير علقة ثم يصير مضغة، وبالجمله فهو عبارة عن انتقال ذلك الجسم من صفة إلى صفة ومن حال إلى حال. وقال قوم إنّ الله تعالى جعل في النطفة أخلاطا من الطبائع التي تكون في الإنسان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، والتقدير من نطفة ذات أمشاج فحذف المضاف وتمّ الكلام، قال بعض العلماء الأولى أنّ المراد اختلاط نطفة الرجل والمرأة لأنّ الله تعالى وَصَفَ النطفةَ بأنّها أمشاج، وهي إذا صارت علقة فلم يبق فيها وصف أنّها نطفة، ولكنّ الدليل لا يقدر في أنّ المراد

كونها أمشاجا من الأرض والماء والهواء والحرار⁵⁵. وكل هذه المعاني أشار إليها " القرطبي " في (الجامع في أحكام القرآن)⁵⁶.

التحليل العلمي لمفهوم (الأمشاج):

إن مفردة (أمشاج) وهي وصف - كما أسلفنا الذكر- لمفردة (النطفة) تحليلنا إلى أولى المراحل المهمة في تطوّر هذه الأخيرة مشكلة بدء خلق الإنسان بعد مرحلة الماء الدافق والسّائلة. يحدث ذلك في الأسبوع الأول من الإخصاب أي التقاء الحويّن بالبويضة في قناة فالوب، وهذا بفضل (الأكروزوم) الذي يشكّل طبقة على رأس الحويّن المنوي والذي يحتوي على إنزيمات منها (الهيالورونيداس) و(البروتوليتيك). وبما أنّ البويضة مُحاطة بنسيج داعم يعمل إنزيم (الهيالورونيداس) على تفكيك بنيته لتجاوزه ودخول البويضة بينما يقوم إنزيم (البروتوليتيك) بهضم البروتينات الموجودة في النسيج المحيط بالبويضة.⁵⁷

يصف " هارون يحي " هذه المرحلة بقوله: « عندما يصل الحويّن إلى الطبقة الخارجية للبويضة يرتبط الغشاء الخارجي لرأس الحويّن ببروتين خاص يعرفه، ومع بدء هذا الارتباط يبدأ غشاء الغلاف الحافظ (الأكروزوم) بالذوبان وفي الوقت نفسه يبدأ غشاء البويضة بإفراز مادة اسمها (نرتيزيلين) لجذب الحويّنات إليها وهذه المادة تزيد من قابلية حركة الحويّنات لتأمين تفاعلها مع غشاء البويضة كما تزيد من تأثير الأكروزوم الموجود في رأس الحويّن...ثمّ يقوم الحويّن بعد ملاسته للبويضة بإفراز مادة اسمها (مضاد الفرتيزيلين) وهدفها تحييد مادة (الفرتيزيلين) وإزالة أثرها، وبهذا يُوقَف أول حويّن يصل إلى البويضة وصول الحويّنات الأخرى إليها، وبعد ثانيتين من دخوله يقوم الغشاء بتجديد نفسه...وبعد ثلاثين دقيقة يتّحد الحويّن والبويضة تماما وفي نهاية هذه الفعاليات يقوم الحويّن بنقل المعلومات الجينية التي يحملها إلى البويضة»⁵⁸. وللإشارة، يحمل الحويّن معه ثلاثة وعشرين (23) حاملا وراثيا (كروموسوما)، وتحمل البويضة مثلها، ومن هنا يبدأ خلق الإنسان وبداية تمايز صفاته وجنسه. وبتمام هذه الخطوة تبدأ النطفة بالانقسام إلى خلايا أصغر، فخلال ثلاثين ساعة تنقسم إلى (قسمتين جرثومتين) (Blastomère) ثمّ إلى أربع خلال ثمانية وأربعين ساعة، ثم ثمانية خلال ستّ وخمسين ساعة. وفي اليوم الرابع

تصبح «كتلة كروية من الخلايا تُعرف بالتوتية (Morula) وفي اليوم الخامس من الإخصاب تُسمى النطفة (كيس الجرثومة) (Blastocyste)»⁵⁹. إذا ما نلاحظه أنّ توظيف (أمشاج) (Zygote) في بدء خلق الإنسان يُطلق على النطفة ابتداءً من اليوم الأول للإخصاب إلى اليوم السادس، ف«بالتلقيح بين المنوي والبويضة يكون الجنين في شكل نطفة مكونة من أخلاط ماء الرجل والمرأة وما فيهما من أخلاط وراثية، فأطلق القرآن عليها (نطفة أمشاج)»⁶⁰، يعرفها " النذير بقاق" بقوله: « فالنطفة الأمشاج إذاً هي نتيجة تلقيح الحوين المنوي للبويضة وبعد انصهار النواتين تبدأ عملية الانقسام فتحقق معنى الاضطراب والتحرك أو الارتجاج في الخلية الواحدة»⁶¹. فلماذا أمشاج إذا؟ أولاً: للدلالة على اختلاط ماء الرجل بماء المرأة. ثانياً: لاتحاد الحوين المنوي بالبويضة. ثالثاً: لاختلاط الحوامل الوراثية للأب مع الحوامل الوراثية للأم، وعددها الإجمالي أربعة وستون حاملاً في اليوم السادس. رابعاً: لانقسام النطفة إلى خلايا متعددة والتي يكون عددها اثنان ثم أربعة ثم ثمانية وهكذا حتى تصبح في اليوم السادس (التوتة Morulla) ومع كلّ هذه الانقسامات تحافظ النطفة على وحدتها وشكلها الخارجي ولهذا ترد بصيغة الأفراد. يقول " عبد المجيد الزنداني": «فكلمة (أمشاج) من الناحية العلمية دقيقة تماماً وهي صفة جمع تصف كلمة نطفة المفردة، التي هي عبارة عن كائن واحد يتكوّن من أخلاط متعدّدة تحمل صفات الأسلاف والأحفاد لكلّ جنين... وبالرغم من انقسام النطفة في الداخل إلى خلايا فإنّ طبيعتها ومظهرها لا يتغيّران عن النطفة لأنّها تملك غشاءً سميكا يحفظها ويحفظ مظهر النطفة فيها»⁶²

ويقول " السيد الجميلي": « وتتكوّن الخلية الحيّة من سيتوبلازم ونواة ثم جدار خلوي يحدّد حدود الخليّة ويحيط بها، ويوجد بها أيضاً الصبغيات أو الكروموسومات التي تحمل المادة الوراثية على أجسام دقيقة أو جسيمات تُعرف بالجينات وهي تتحكم في صفات الكائن الحي المختلفة وتقوم بنقلها من الأب للإبن ومن جيل إلى جيل»⁶³ إذاً الذي حقق التعالق بين هذه المفردة والمفهوم العلمي الاصطلاحي الذي وصل إليه العلماء أمران:

الأول: هو دلالتها المعجمية وهي دلالة الاختلاط.

والثاني: هو صيغتها الصرفية وهي صيغة الجمع. فإن مَصِيَتْ إلى تركيب (نطفة أمشاج) تجده «وصفا معبراً عن الشكل (قطرة) وعن التركيب المفرد، فهي (نطفة)، وعن الأخلاط المجتمعة في النطفة (أمشاج)»⁶⁴
خاتمة

إن الانتقاء الصارم للمفردة القرآنية ومُطابقتها لمعناها أهلها لأن تكون مصطلحاً دقيقاً لا يمكن استبداله بغيره مهما بدا مرادفاً له. ومن هذا المنطلق بالذات وفي ظلّ الفاقة الاصطلاحية التي نعانيتها، انبعثت مجهودات جبّارة تُكرّس المصطلح القرآني، منها الجهود المبذولة من طرف المفكر السوداني رحمه الله " محمد أبو القاسم حاج حمد" الذي أكّد من خلال مؤلفاته والمحافل العلمية التي شارك فيها أنّ هذه المفردة/ المصطلح هي اللبنة الأساسية لنسيج النص القرآني وإذا كان هذا الأخير بنية منضبطة معادلة للكون، فهذه المفردة/ المصطلح لا تقل عنه انضباطاً، إذ تتأسّس على مبدأ الإحكام المطلق، وتحمل في طياتها عائداً معرفياً، هذه المرجعية انطلق منها هذا المفكر الرائد في محاولة جادة لإنشاء معجم للمصطلح القرآني وفق الرؤية القرآنية ونسقتها، أسماه ((معجم دلالات ألفاظ القرآن الكريم)) لكنّها لم تكتمل لوفاته، ولم تر النور بعد. وأمّا المحاولة الثانية فهي جهود شيخنا الجليل " الشاهد البوشيخي" الذي ساهم بشكل كبير في تكريس المصطلح القرآني تنظيراً وتطبيقاً من منطلق أنّ هذا الأخير مصطلح مكتمل النضج وجاهز الاصطلاحية، شامل الرؤية يمكن توظيفه في شتى العلوم ومنها المادية، وقد عرضنا جهوداً لمتخصّصين في الهندسة المدنية والمعمارية والصحة والفلاحة والطب وغيرها، من هذه المصطلحات ما وظّفه العلماء ومنها ما يقترح هؤلاء الدارسون توظيفه بدل الترجمة أو توظيف الدخيل. ودقّة هذا المصطلح تترجمه دراسة المصطلح الطبي (أمشاج) الذي أثبت العلماء والاكتشافات العلمية الحديثة أنّه مصطلح لامتناهي الدقّة، يكرّس الإعجاز العلمي القرآني والبياني اللغوي أيضاً. لهذا من بين ما نقترح:

- استغلال هذا المكنز - ونقصد النص القرآني - بصفته بنكا اصطلاحيا في توظيف المصطلحات القرآنية كونها وحدات جاهزة الاصطلاحية كلّ في مجاله دون إقحام غير معلّل أو تفريط مشين.

- ضرورة التفسير العلمي مع كل اليقظة والحذر في التعامل مع النص القرآني وما تملّيه رؤيته ونسقه، والانطلاق منه للحكم على صحة الفرضيات العلمية أو خطأها لا العكس.
- إعداد معجم اصطلاحي ومفاهيمي قرآني ولن يتأتى ذلك إلا بجهود مؤسساتية جماعية، يُسهم فيها العلماء المتخصصون.
- الهوامش -

- ¹ البوطي (محمد سعيد رمضان)، من روائع القرآن الكريم، تأملات علمية و أدبية في كتاب الله، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، 1996، (د.ط.)، ص 139 - 140.
- ² القاسمي (علي)، علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت - لبنان، 2008، ط 1، ص 191.
- ³ مفكر سوداني ولد سنة 1942 له قراءة متميزة للنص القرآني، من مؤلفاته: منهجية القرآن المعرفية والحاكمية وحرية الإنسان في الإسلام... توفى سنة 2004.
- ⁴ الشاهد البوشيخي مفكر ولغوي مغربي ولد سنة 1945 له باع كبير في الدراسات المصطلحية والمصطلح القرآني، أشرف على ومعهد الدراسات المصطلحية، وهو الأمين العام
- مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع)
- ⁵ مؤسسة للبحث العلمي، متخصصة في البحوث والدراسات المصطلحية، أسست سنة 1993. تعمل على إنجاز المعجم التاريخي للمصطلحات العربية، وفق خطة علمية منهجية
- ⁶ مؤسسة علمية بالمغرب أسست سنة 2007 تُعنى بقضايا النص والمصطلح، والمنهج
- ⁷ ابن طالب (عثمان)، علم المصطلح بين المعجمية وعلم الدلالة: الإشكالات النظرية والمنهجية، ضمن تأسيس القضية الاصطلاحية، قرطاج: بيت الحكمة، 1989، ص 82.
- ⁸ دويدري (رجاء وحيد)، المصطلح العلمي في اللغة العربية عمقه التراثي وبعده المعاصر، دار الفكر، دمشق - سوريا، 2010، ط 1، ص 21.
- ⁹ البوطي (محمد سعيد رمضان)، يغالطونك إذ يقولون، الصديق للعلوم، دمشق - سوريا، (د.ت.)، (د.ط.)، ص 141.
- ¹⁰ سورة البقرة، الآية 145.
- ¹¹ أزهرى (محمد)، أفق الإحصاء والتصنيف للمصطلح المعرف وغير المعرف في الدراسات القرآنية، المؤتمر العالمي الثاني للباحثين في القرآن وعلومه، المنعقد من 13 إلى 15 أفريل 2017 بفاس ص 309
- ¹² حاج حمد (محمد أبو القاسم)، إستمولوجية المعرفة الكونية إسلامية المعرفة والمنهج، دار الهادي، بيروت - لبنان، 2004، ط 1، ص 273، (بتصرف يسير جدا)

- 13 حاج حمد، منهجية القرآن المعرفية أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية، دار الهادي، بيروت- لبنان، 2003، ط1، ص97.
- 14 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 15 حاج حمد، إستمولوجية المعرفة الكونية إسلامية المعرفة والمنهج، مرجع سابق، ص277.
- 16 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 17 حاج حمد، إستمولوجية المعرفة الكونية إسلامية المعرفة والمنهج، مرجع سابق، ص275.
- 18 سورة الواقعة، الآية 79.
- 19 سورة النساء، الآية 43.
- 20 سورة الأنعام، الآية 07.
- 21 سورة الأعراف، الآية 201.
- 22 سورة آل عمران، الآية 120.
- 23 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 24 حاج حمد، إستمولوجية المعرفة الكونية إسلامية المعرفة والمنهج، مرجع سابق، ص275.
- 25 حاج حمد، منهجية القرآن المعرفية أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية، مرجع سابق، ص99.
- 26 حاج حمد، الحاكمية، مراجعة محمد العاني، دار الساقى، بيروت- لبنان، (دت)، (دط)، ص12. (من مقدمة مراجع الكتاب: محمد العاني)
- 27 المرجع نفسه، ص13- 14 (بتصرف يسير)
- 28 البوشيخي (الشاهد)، أولويات البحث العلمي في الدراسات القرآنية، مقال الكتروني مجلة المحجة، <http://almahajjafes.net> (تاريخ الزيارة 2018/01/12)
- 29 المرجع نفسه.
- 30 البوشيخي، نحو معجم تاريخي للمصطلحات المعرفية، (دت)، (دط)، ص360.
- 31 البوشيخي (الشاهد)، نظرات في مفهوم الحوار في القرآن الكريم، مقال منشور على الرابط: <https://vb.tafsir.net> (تاريخ الزيارة 2018/01/12)
- 32 البوشيخي، أولويات البحث العلمي في الدراسات القرآنية، مرجع سابق. (بتصرف)
- 33 البوشيخي، نظرات في المصطلح والمنهج، مطبعة أنفو- برانت، فاس- المغرب، 2004، ط3، ص22- 31. (بتصرف)
- 34 مندور (مسعد سلامة)، مصطلحات الطقس والمناخ في القرآن الكريم، المجلة العالمية لبحوث القرآن.
- 35 للتوسع انظر المرجع نفسه.
- 36 المرجع نفسه، ص96.

- ³⁷ الصالحي (عبد العزيز)، المصطلح القرآني وعلاقته بالهندسة المعمارية، المؤتمر العالمي الرابع للباحثين في القرآن الكريم وعلومه.
- ³⁸ المرجع نفسه.
- ³⁹ انظر: أيت باحدو (إسماعيل)، المصطلح القرآني وعلاقته بعلوم الفلاحة، المؤتمر العالمي الرابع للباحثين في القرآن وعلومه، مرجع سابق.
- ⁴⁰ المرجع نفسه.
- ⁴¹ سورة الكهف، الآية 32.
- ⁴² سورة الإنسان، الآية 02.
- ⁴³ أنظر: بن عاشور (الطاهر)، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، (د.ط.)، ج 29، ص 369.
- ⁴⁴ الفراهيدي (الخليل بن أحمد)، كتاب العين مرتباً على حروف المعجم، تح وتر: عبد الحميد الهنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 2003، ط 1، ج 4، ص 142.
- ⁴⁵ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د.ط.)، ج 5، ص 226.
- ⁴⁶ الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تح: صفوان عدنان داودي، دار القلم، دار القلم، دمشق، 2002، ط 3، ص 769.
- ⁴⁷ الزبيدي، تاج العروس، تح: عبد الكريم العزباوي، مر: مصطفى حجازي، مطبعة الحكومة، الكويت، 1990، (د.ط.)، ج 6، ص 215.
- ⁴⁸ مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، 2004، ط 4، ص 870.
- ⁴⁹ الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد)، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1983، ط 3، ج 3، ص 214.
- ⁵⁰ الأخفش (سعيد بن مسعدة)، معاني القرآن، تح: عبد الأمير محمد أمين الورد، عالم الكتب، بيروت - لبنان، 1985، ط 1، ج 2، ص 722.
- ⁵¹ الزمخشري (أبو القاسم جار الله)، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعلومه، بيروت، لبنان، 2009، ط 3، ص 1163.
- ⁵² بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق ج 29، ص 374.
- ⁵³ جبل (محمد حسن حسن)، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها، مكتبة الآداب، 2010، ط 1، ص 2084..
- ⁵⁴ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

- ⁵⁵ الرازي (محمد فخر الدين)، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت - لبنان، 1981، ط1، ج30، ص236 - 237.
- ⁵⁶ أنظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنته من السنة وآي القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن، التركي، مؤسسة الرسالة، 2006، ط1، ج 21، ص446 - 448
- ⁵⁷ Embryologie generale humaine, office des publications universitaires, Ben - Aknoun - Alger, 2012, (ED:9), p86 - 87
- ⁵⁸ يحي (هارون)، معجزة خلق الإنسان، تر: أورخان محمد علي، مؤسسة الرسالة، (د.ت)، (د.ط)، ص68.
- ⁵⁹ Gernigon, Embryologie générale humaine, office des publications universitaires, Ben - Aknoun - Alger, 2012, (ED:9), p93
- ⁶⁰ الزنداني وآخرون، وصف التخلق البشري مرحلة النطفة، ص26. مقال الكتروني. تعرف أيضا ب:
- «after the sperm enters the oocyte, the head of the sperm separates from the tail and enlarges to become the male pronucleus. Fertilization is complete when the male and female pronuclei unite and the maternal and paternal chromosomes intermingle metaphase of the first mitotic division of the zygote». Keith L.Moor, T.V.N.Persaud, Mark G.Torchia. The Developing Human Clinically Oriented Emryology. Im: Saunders. 2011. 9th edttion. P37.
- ⁶¹ بقاق (النذير)، إختار جنس مولودك من النطفة، دار الروائع للطباعة والنشر، سطيف - الجزائر، 2013، ص93.
- ⁶² الزنداني (عبد المجيد) وآخرون، وصف التخلق البشري مرحلة النطفة، ص19 - 20. مرجع سابق.
- ⁶³ الجميلي (السيد)، الإعجاز الطبي في القرآن، دار الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت)، (د.ط)، ص44.
- ⁶⁴ الزنداني وآخرون، وصف التخلق البشري، مرجع سابق، ص26.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش

1. الأخفش (سعيد بن مسعدة)، معاني القرآن، تح: عبد الأمير محمد أمين الورد، عالم الكتب، بيروت - لبنان، 1985، ط1.
2. الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تح: صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، 2002، ط3.
3. بقاق (النذير)، اختر جنس مولودك من النطفة، دار الروائع للطباعة والنشر، سطيف - الجزائر، 2013، (د.ط.).
4. بن عاشور (الطاهر)، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، (د.ط.).
5. البوطي (محمد سعيد رمضان)،
• من روائع القرآن الكريم، تأملات علمية و أدبية في كتاب الله، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، 1996، (د.ط.).
• يغاثلونك إذ يقولون، الصديق للعلوم، دمشق - سوريا، (د.ت.)، (د.ط.).
6. البوشخي (الشاهد)،
• نظرات في المصطلح والمنهج، مطبعة أنفو - برانت، فاس - المغرب، 2004، ط3
• نحو معجم تاريخي للمصطلحات المعرفية، (د.ت.)، (د.ط.).
7. جبل (محمد حسن حسن)، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها، مكتبة الآداب، 2010، ط1
8. الجميلي (السيد)، الإعجاز الطبي في القرآن، دار الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت.)، (د.ط.).
9. حاج حمد
• ابستمولوجية المعرفة الكونية إسلامية المعرفة والمنهج دار الهادي، بيروت - لبنان، 2004، ط1
• الحاكمية، مراجعة محمد العاني، دار الساقى، بيروت - لبنان، (د.ت.)، (د.ط.)
• منهجية القرآن المعرفية أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية، دار الهادي، بيروت - لبنان، 2003، ط1
10. دويدري (رجاء وحيد)، المصطلح العلمي في اللغة العربية عمقه التراثي وبعده المعاصر، دار الفكر، دمشق - سوريا، 2010، ط1.
11. الرازي (محمد فخر الدين)، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1981، ط1.
12. الزبيدي، تاج العروس، تح: عبد الكريم العزباوي، مر: مصطفى حجازي، مطبعة الحكومة، الكويت، 1990، (د.ط.).

13. الزمخشري (أبو القاسم جار الله)، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعبون الأقرابيل في وجوه التأويل، تع: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت- لبنان، 2009، ط3
14. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تع: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د.ت)، (د.ط)
15. الفراء (أبو زكريا يحي بن زياد)، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت- لبنان، 1983، ط3.
16. الفراهيدي (خليل بن أحمد)، كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، تع وتر: عبد الحميد الهنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2003، ط1.
17. القاسمي (علي)، علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، 2008، ط1.
18. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنته من السنة وآي القرآن، تع: عبد الله بن عبد المحسن، التركي، مؤسسة الرسالة، 2006، ط1
19. مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، 2004، ط4.
20. يحي (هارون)، معجزة خلق الإنسان، تر: أورشان محمد علي، مؤسسة الرسالة، (د.ت)، (د.ط)،

المصادر الأجنبية

1. Embryologie generale humaine, office des publications universitaires, Ben-Aknoun-Alger, 2012, (ED:9).
 - Gernigon, Embryologie générale humaine, office des publications universitaires, Ben-Aknoun-Alger, 2012, (ED:9)
 3. Keith L.Moor, T.V.N.Persaud, Mark G.Torchia. The Developing Human Clinically Oriented Emryology. **Im**: Saunders. 2011. 9th.ED
- #### الدوريات والمجلات
1. أزهري (محمد)، أفق الإحصاء والتصنيف للمصطلح المعرف وغير المعرف في الدراسات القرآنية، المؤتمر العالمي الثاني للباحثين في القرآن وعلومه، آفاق خدمة النص والمصطلح في الدراسات القرآنية، المنعقد من 11 إلى 13 أبريل 2013 بفاس
 2. آيت باحدو (إسماعيل)، المصطلح القرآني وعلاقته بعلوم الفلاحة، المؤتمر العالمي الرابع للباحثين في القرآن وعلومه، المصطلح القرآني وعلاقته بالعلوم، المنعقد من 13 إلى 15 أبريل 2017
 3. البوشيخي (الشاهد)، أولويات البحث العلمي في الدراسات القرآنية، مقال الكتروني مجلة المحجة <http://almahajjafes.net> (تاريخ الزيارة 12/0/2018)
 4. البوشيخي (الشاهد)، نظرات في مفهوم الحوار في القرآن الكريم، مقال الكتروني مجلة المحجة <http://almahajjafes.net> (تاريخ الزيارة 12/0/2018)

5. الزنداني وآخرون، وصف التخلق البشري مرحلة النطفة، ص26. مقال الكتروني على موقع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية - <http://www.quran-m.com> (تاريخ الزيارة 2018/01/12)
6. الصالحي (عبد العزيز)، المصطلح القرآني وعلاقته بالهندسة المعمارية، المؤتمر العالمي الرابع للباحثين في القرآن الكريم وعلومه.
7. ابن طالع (عثمان)، علم المصطلح بين المعجمية وعلم الدلالة: الإشكالات النظرية والمنهجية، ضمن تأسيس القضية الاصطلاحية، قرطاج: بيت الحكمة، 1989
8. مندور (مسعد سلامة)، مصطلحات الطقس والمناخ في القرآن الكريم، المجلة العالمية لبحوث القرآن.



أثر السياق في توجيه دلالة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم "درة التنزيل وغرة التأويل للإسكافي"

دهان سليمة: بن سعد محمد السعيد

1- طالبة دكتوراه دراسات لغوية ونقدية

2- مخبر التراث الثقافي واللغوي والأدبي بالجنوب الجزائري

قسم: اللغة الأدب العربي، كلية الآداب واللغات

جامعة غرداية

ص ب : 455 طريق المطار غرداية 47000. الجزائر

salima@gmail.com0790

ملخص -

يهدف هذا البحث إلى بيان أثر السياق في توجيه دلالة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وكان نموذج الدراسة التطبيقية "كتاب درة التنزيل وغرة التأويل للإسكافي" يركز هذا البحث على مقدمة، ثم مدخل تضمن قراءة في مفردات العنوان: (التوجيه، السياق، المتشابه اللفظي)، ثم بسط والذي تضمن: تعريفا بالمؤلف والمؤلف، تلاه عرض لنماذج من توجيه دلالة المتشابه اللفظي اعتمادا على السياق اللغوي وغير اللغوي، ثم خاتمة، ضمّنها نتائج.

الكلمات المفتاحية -

السياق، التشابه اللفظي، القرآن الكريم، درة التنزيل وغرة التأويل

The Effects Of The Context In Orienting The Significance Of Coranic Verbal Similarities. The Book "DORAT ATANZL WA GHORAT ATA AWIL" Of ELISKAFI Is Chosen

Abstract -

Our Paper Aims At Clarifying The Effects Of The Context In Orienting The Significance Of Coranic Verbal Similarities. As A Sample To Apply This Study, The Book "DORAT ATANZL WA GHORAT ATA AWIL" Of ELISKAFI Is Chosen. This Research Consists Of An Introduction ,To Identify The Items Of The Title (The Orientation The Context, The Verbal Similarities), Then, The Development ,That Includes The Author's Biography And The Book's Presentation, Followed By Presenting Models About The Orientation Of The Verbal Similarities Significance Depending On The Lingual And Illingual Context, Then, The Conclusion.

Keywords—

The Context . Verbal Similarities . The Quran . DORAT ATANZL WA GHORAT ATA AWIL

مقدمة -

كان تفسير القرآن الكريم ولا يزال الشغل الشاغل للعلماء كل في مجال اختصاصه؛ ذلك أن القرآن منذ نزوله أبهر العقول وتحداها بما يحويه من وجوه الإعجاز (العلمي، الكوني، التشريعي..). ومن ذلك الآيات المتشابهات لفظاً، والتي تتميز عن بعضها في حرف أو كلمة أو تقديم وتأخير... أو غير ذلك من الاختلافات التي تؤكد إعجاز القرآن وبلاغته، وقد سلك العلماء سبلاً شتى في تفسير هذا الإعجاز و صاحب هذه العملية تباين في الوسائل والغايات، فعمد الدارسون إلى وضع مجموعة من القواعد التي تعين على التفسير السليم للنص القرآني. بحيث ألفت عدة مؤلفات عنيت بتوجيه هذا العلم، ووظفت أدوات شتى ووسائل عدة لتوجيه دلالة هذه الآيات المتشابهات: كالاعتماد على أسباب النزول والسياق، وبالربط بمقاصد القرآن وأغراض السور عامة، والاستعانة بعلوم اللغة من: نحو وبلاغة وحتى على علم الصوتيات وغيرها، وقد اعتبر أغلب الدارسين

أنَّ محمد بن عبد الله الإسكافي هو أوَّل من أَلَّف في توجيه علم المتشابه اللفظي في كتابه درة التنزيل وغرة التأويل.

ومن هنا تكمن أهمية هذا الموضوع إضافة إلى أنه يُعين على تدبر القرآن وفهمه، كما أنه محاولة لإبراز أسبقية علمائنا العرب لتوظيف السياق في تفسير كتاب الله، ولذلك ارتأينا تناول هذا الموضوع معتمدين الخطة الآتية:

مدخل: قراءة في وحدات العنوان (التوجيه، السياق، المتشابه اللفظي)

بسط، تناول العناصر الآتية:

- 1- المؤلف: (نسبه، نشأته، مؤلفاته).
 - 2- المؤلف: (درة التنزيل وغرة التأويل)
 - 3- أثر السياق في توجيه دلالة المتشابه اللفظي في درة التنزيل للإسكافي (نماذج من التوجيه بحسب السياق اللغوي وغير اللغوي)
- خاتمة، نتائج ومقترحات.**

مدخل: يرد العنوان في ثلاثة مصطلحات: التوجيه، السياق، المتشابه اللفظي، سنحاول الوقوف عند هذه المفاهيم تباعا .

- التوجيه:

يقول ابن منظور: «الوجهُ: الجاه، ورجلٌ مُوجَّهٌ ووجهٌ: ذو جَاه، وقد وَجَّهَ وَجَاهَةً وَأَوْجَهَهُ: جعل له وَجْهاً عند الناس، وقد وَجَّهَ الرجلُ بالضم: صار وَجْياً أي ذا جَاهٍ وقَدِر، وَأَوْجَهَهُ اللهُ أي صَيَّرَهُ وَجْياً، وَوَجَّهَهُ السُّلْطَانُ وَأَوْجَهَهُ: شَرَّفَهُ، والوجهُ: المُحْيَا، وَوَجَّهَ الكلامُ السبيلَ الذي تقصده به»¹.

و ذكر الجرجاني تعريفا لمصطلح التوجيه بقوله: « هو إيراد الكلام على وجه يندفع به كلام الخصم وقيل على وجه ينافي كلام الخصم »².

وقال عبد العزيز الحربي في تعريفه لهذا المصطلح: « حقيقة التوجيه - في العلوم - هي أنه إذا وقعت صعوبة بفهم كلام ما، من قرآن أو حديث أو أثر أو شعر أو غير ذلك يقف الشارح عند ذلك الكلام الذي قد يفهم على غير الوجه الصحيح، أولا يفهم أصلا أو يفهم مع انقذاح في النفس يوجب استغرابه، يقف عند ذلك - الشارح، ويسر تلك الصعوبة، ويحل كل غموض »³.

من كل ما سبق يتبين لنا أن التوجيه يقصد به بيان الوجوه التي يتجه إليها أمر ما، هذا الأمر يحتمل في ذاته وجوها من المعاني تختلف باختلاف الوجهة التي يسلكها الأمر، وقد وظفه المفسرون الأوائل بخاصة من درسوا علم التشابه اللفظي وحاولوا معرفة دلالاته وسر التشابه بين آياته.

- السياق:

لقد أدرك المسلمون الأوائل مفهوم السياق بمعناه الاصطلاحي و أعطوه تسميات مختلفة كل حسب تخصصه العلمي: (لغويون، مفسرون، أصوليون، بلاغيون..): كدلالة السياق، سياق الكلام، المقام، مقتضى الحال، أما حديثا فإن السياق من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة يشمل السياق اللغوي والحالي أو كل ما يحيط باللفظ أو النص من ملابس لفظية وغير لفظية، وقد تعددت المصطلحات التي تتناول السياق اللغوي منها: السياق النصي، سياق النص، سياق المقال، سياق البنية، من هذا تنوعت مفاهيمه، فقد عرفه ستيفن أولن بأنه: « النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم »⁴، وعلى العموم فالسياق اللغوي (contexte linguistique) يعني « ذلك المعنى الذي يفهم من الكلمة بين الكلمات السابقة واللاحقة لها في العبارة أو الجملة، ويتمثل ذلك في العلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية »⁵، ونجد للسياق اللغوي عدة أنواع منها السياق الصوتي، وهو بحسب الدكتور عبد المنعم خليل " ترتيب الفونيمات* في الكلمة وموقعها في البنية على أساس أن هذا الترتيب هو أساس الدلالة اللغوية للكلمة"⁶، ومن أنواع السياق الصوتي: النبر والتنغيم، الفصل والوصل... كما نجد السياق النحوي الذي يدرس الجمل ضمن: « شبكة العلاقات السياقية مثل الإسناد والإعراب، التقديم والتأخير والرتبة، والأدوات النحوية ودلالاتها "⁷. ومن الدارسين من يقصر السياق اللغوي على السياقين الصوتي والنحوي، ومنهم من يضيف إليهما أنواعا أخرى كالسياق الدلالي والصرفي والتعبيري... الخ"⁸.

والسياق غير اللغوي: ومنه سياق المقام، السياق الاجتماعي، سياق الحال، وقد أطلق عليه كمال بشر: المسرح اللغوي أو المقام أو مجريات الحال"⁹، وله أنواع متعددة منها السياق الثقافي، العاطفي، السببي.

أنواع السياق القرآني: السياق في نظم القرآن أنواع، ومن ذلك:

سياق القرآن: ويقصد به الأغراض والمقاصد الأساسية للقرآن الكريم ومعانيه الكلية وأساليبه المطردة ومقاصد القرآن حسب الطاهر بن عاشور:¹⁰ إصلاح الاعتقاد، تهذيب الأخلاق، التشريع، سياسة الأمة وصلاحتها، القصص وأخبار الأمم السالفة، التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين، المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير، الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم.

سياق الآية: ويكون النظر في سياق الآية (سابقها ولحاقها) دون تجاوز ذلك إلى ما سبقها أو لحقها من آيات، لتحديد واقتناص المعنى المحدد لأحد المفردات من خلال معانيها المتعددة والمحتملة

سياق السورة: لكل سورة من سور القرآن محور عام وغرض رئيس يستخلص من سياقها العام .

سياق النص أو المقطع: إن السورة القرآنية تتضمن نصوصا ومقاطع من الآيات متحدة المعاني مترابطة المباني، لها أغراض متناسقة تتلاحم فيما بينها حتى تؤدي بمجموعها غرضا أو أغراضا خاصة، ونلقى هذا كثيرا في سياق القصص أو التشريعات.

- المتشابه اللفظي: المتشابه في اللغة: اسم فاعل مشتق من التشابه، و التَّشَابُه مصدرُ تَشَابَهَ يَتَشَابَهُ من باب التفاعل بمعنى: التماثل، والتشاكل، وقد ذهب أكثر اللغويين والمفسرين إلى عدم الفرق بين "المتشابه" و "المُشْتَبِه"، قال ابن فارس: "الشين والباء والهاء أصل واحد، يدل على تشابه الشيء وتشاكله لونا ووصفا، والمتشابهات من الأمور: المُشكلات، واشتَبَه الأمران إذا أشكلا"¹¹، من خلال استقراء المعاني المعجمية لمصطلح المتشابه نخلص إلى أن هذا اللفظ يطل معنيين أساسيين:

- التماثل والتساوي؛ وقد يكون هذا التماثل شديدا، أو يكون في صفة أو في جانب من الجوانب.

- الالتباس والخلط وعدم الوضوح، وعدم تمييز المقصود من الكلام؛ إما لاحتماله معاني متعددة أو لكونه من الغيبيات، والتي يتجنب الخوض فيها اختياراً للأسلم.

أما من حيث الاصطلاح فقد حاول العلماء ضبط تعريف لهذا الفن، ومن هؤلاء أبو البقاء الكفوي في كتابه الكليات فيقول هو: "إيراد القصة الواحدة في سور شتى وفواصل مختلفة في التقديم والتأخير والزيادة والترك والتعريف والتنكير والجمع والافراد والادغام والفك وتبديل حرف بحرف آخر..."¹²

بصفة عامة يمكن القول بأن المتشابه اللفظي في آيات القرآن الكريم اصطلاحاً حسب محقق كتاب الدرة هو: "أن تجيء الآيات القرآنية متكررة في القصة الواحدة من قصص القرآن، أو موضوعاته في ألفاظ متشابهة و صور متعددة، و فواصل شتى و أساليب متنوعة، تقديمًا وتأخيرًا، أو زيادة ونقصًا أو ذكرًا وحذفًا، أو تعريضًا وتنكيرًا أو افرادًا و جمعًا أو إيجازًا و إطنابًا، أو إبدال حرف بحرف آخر أو كلمة بأخرى و نحو ذلك، مع اتحاد المعنى لغرض بلاغي أو لمعنى دقيق يراد تقريره، لا يدركه إلا جهابذة العلماء وأساطين البيان".¹³

وموضوع هذا العلم هو الآيات القرآنية باعتبار ما فيها من تشابه لفظي وذلك بالتعرف على هذه الظاهرة العجيبة التي امتاز بها القرآن بتكرير بعض آياته في عدة مواضع بالكلمات المتفقة أو المختلفة مما يؤدي إلى اشتباه بعض ألفاظه و اختلافها إيجازًا أو إطنابًا، تقديمًا وتأخيرًا.... إلى غير ذلك.¹⁴

فالمتشابه اللفظي لون من ألوان الإعجاز في القرآن الكريم. - و عليه فيمكن إجمال معنى توجيه التشابه اللفظي في أنه: البحث في أسرار التشابه اللفظي في القرآن والوقوف على معانيه، في منازل مختلفة.

أنواع التشابه اللفظي: لقد تناول هذا الموضوع عدة علماء منهم الإمام الزركشي وبيّن ما يتعلق به في خمسة عشر فصلاً، وجعل الفصل الأول منها: "المتشابه باعتبار الأفراد" و حصر هذا النوع من التشابه به في ثمانية أقسام¹⁵:

الأول: أن يكون في موضع على نظم، و في آخر على عكسه بما يلامس التقديم والتأخير، كقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ [البقرة: 120]، [الأنعام: 71]، وقوله تعالى في سورة آل عمران: [72]: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾.

الثاني: ما يشتهه بالزيادة و النقصان، ومثاله في سورة [البقرة:38]: ﴿فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ﴾ وفي آطه: [121]: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾.

الثالث: بالتقديم و التأخير، وهو قريب من الأول، و منه في [البقرة: 128]: ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، وفي آل عمران: [164]، قوله تعالى: ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: 164]، بتقديم الكتاب على الحكمة.

الرابع: بالتعريف والتنكير، ومنه في سورة [البقرة: 125] قوله تعالى: ﴿هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾، وفي سورة [إبراهيم: 37]، قوله تعالى: ﴿هَذَا الْبَلَدُ آمِنًا﴾، بتعريف وتنكير كلمة "البلد".

الخامس: بالجمع و الإفراد، كقوله تعالى في سورة [البقرة: 79] ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ وفي آل عمران: [24]: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾.

السادس: بإبدال حرف بحرف غيره، كقوله تعالى في سورة [البقرة: 57] ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا﴾ بالفاء، و في سورة [الأعراف: 161] ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا﴾ بالواو.

السابع: بإبدال كلمة بأخرى، ومنه قوله تعالى في سورة [البقرة: 169]: ﴿مَا أَفْهَيْنَا عَلَيْهِ أَبَاءَنَا﴾، وفي سورة [لقمان: 20]: ﴿مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ أَبَاءَنَا﴾.

الثامن: بالإدغام و تركه، و منه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ [النساء: 114].

و في سورة [الحشر: 4]: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، فكان الإدغام في "يُشَاقِقُ" و فكه في "يُشَاقِقِ".

و هذه الأنواع الثمانية التي ذكرها الزركشي من مجمل الأنواع التي اشتملت عليها الكتب المؤلفة في توجيه الآيات المتكررة و المشتبهة في كتاب الله العزيز حسب محقق كتاب الدرقة¹⁶.

- ويكمن السبب الأساسي في نشأة هذا العلم والتأليف فيه و الاهتمام به في تسهيل وإتقان حفظ ألفاظ القرآن من خلال جمع الآيات المتشابهات و هذا

لإعانة القراء و الحفاظ من الوقوع في الغلط. وشهدت حركية التأليف في المتشابه اللفظي مسارين:

- مسار اهتم بجمع الآيات المتشابهة لفظا وإحصائها ومن أبرز المؤلفات: متشابه القرآن للكسائي، ومتشابه القرآن لابن المنادي.

- ومسار آخر اهتم بتوجيه الآيات المتشابهة لفظا بتمييز ما بينها من فروق وتعليل هذه الفروق ويعزى أول مؤلف في هذا النوع لأبي عبد الله المعروف بالإسكافي في مؤلفه درة التنزيل حسب محقق الكتاب¹⁷.

أولا: الإسكافي (نسبه، نشأته، مؤلفاته): ورد في الترجمة التي وردت للخطيب الإسكافي في معجم الأدباء لياقوت الحموي أنه: «أبو عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي الأديب اللغوي، صاحب التصانيف الحسنة.... كان من أهل أصبهان وخطيبا بالرأي»¹⁸، وذكر محقق كتاب درة التنزيل وغرة التأويل: «أن غموضا كبيرا يحيط بمختلف جوانب حياة الخطيب الإسكافي فالكتب لم تحمل في طياتها إلا القليل جدا عنه، فلم يرد في هذه المصادر ذكر لتاريخ ميلاده، ولا عن أسرته أو نشأته وكيفية تلقيه للعلم، ولعل ذلك راجع إلى أنه لم يختلط بالناس ولا الخلفاء والولاة، إلا ما ذكره ياقوت الحموي من صحبته للصاحب بن عباد، ورغم ذلك لم يشتهر كاشتهار العلماء والأدباء والشعراء الذين اتصلوا بهذا الوزير الشاعر، ويردّ هذا للرأي القائل بأنه كان يؤثر العزلة في حياته، وترجع كتب التراجم أنه توفي سنة 420 هـ»¹⁹.

بالرغم من الغموض الذي اكتنف جوانب حياة الإسكافي إلا أن ما وصل من مؤلفاته كان أكبر دليل على علو مكانته العلمية، والتي أشاد بها صاحب بن عباد (385 هـ) حين قال: «فاز بالعلم من أهل أصبهان ثلاثة: حائك وحلاج وإسكاف»²⁰.

أمّا بالنسبة لآثاره العلمية فله مؤلفات عديدة بعضها في اللغة وبعضها في الأدب وبعضها في التفسير وعلوم القرآن منها: مبادئ اللغة، نقد الشعر، درة التنزيل وغرة التأويل، غلط كتاب العين، الغرة، لطف التدبير في سياسة الملوك، شواهد كتاب سيبويه، كتاب المجالس، كتاب خلق الإنسان كتاب مختصر كتاب العين، شرح الحماسة، جامع التفسير، كتاب معاني القرآن²¹.

ثانيا: درة التنزيل وغرة التأويل؛ جاء في مقدمة الكتاب التي أملاها الخطيب الإسكافي: «وسميته درة التنزيل وغرة التأويل»، وموضوعه حسب محقق الكتاب: «هو توجيه الآيات القرآنية المتشابهة لفظا، التي تتفق في بعض ألفاظها وتختلف في بعضها الآخر، أو تتكرر في عدة مواضع بالكلمات المتفقة أو المختلفة والتي يرد فيها السؤال، أو يقع فيها إشكال، أو يحتمل أن تكون محل نظر لسبب من الأسباب التي تتعلق بالاستعمالات القرآنية من تصريف، أو تقديم أو تأخير، أو اختيار كلمة مكان أخرى»²².

وفي سبب تأليف هذا الكتاب يقول محقق الكتاب نقلا عن الإسكافي: «هناك دواع قوية دعت له لكشف أسباب التباين بين الآيات القرآنية المتكررة، وقد قادته رغبته إلى البحث في كتب المتقدمين فلم يجد ما يشفي غليله فكان ذلك حافزا له للتأليف، وللرد على الطاعنين والملاحدين»²³.

أما عن منهجه في تأليفه فقد صنف كتابه على ترتيب السور في القرآن مبتدئا من سورة البقرة، بقوله: سورة البقرة ثلاث وعشرون آية، وقد لا يورد عدد الآيات المتشابهة، ثم يتبع كل ما تكرر واشتبه من الآيات في تلك السور مع الآيات في غيرها من السور، وقد بلغ عدد ما تناوله الإسكافي من الآيات أربعاً وسبعين ومائتان آية (274) من غير أن يلحق بها في العدد ما يشبهها من الآيات، وقد بلغت الآيات المتشابهة التابعة للأصول السابقة اثنين وخمسين وثلاثمائة آية (352).

- بالنسبة للمصادر التي اعتمد عليها فقد أورد بعض أسماء الصحابة والتابعين؛ كابن عباس والحسن وقتادة والسدي، وأورد أسماء لغويين كالخليل وسيبويه والزجاج والفراء والمبرد، وتكمن أهمية هذا الكتاب في كونه أول كتاب وصل إلينا خالصا لتوجيه وتفسير الآيات المتشابهة في القرآن الكريم، واستفاد منه العلماء الذين جاءوا من بعده²⁴.

ثالثا: أثر السياق في توجيه دلالة المتشابه اللفظي (نماذج من التوجيه بالسياق اللغوي، وغير اللغوي) - موضوعنا الرئيس؛ - سنحاول فيما يلي تقديم بعض النماذج من توظيف الإسكافي للسياق بنوعيه: (اللغوي، وغير اللغوي) في توجيهه للمتشابه اللفظي.

أ- نماذج من توجيه التشابه اللفظي اعتمادا على السياق اللغوي:

1- التقديم والتأخير: هذا النوع هو أكثر الأنواع ورودا في الآيات المتشابهات، إذ لا ينحصر الاختلاف فيها في حدود الكلمة الواحدة بل يتجاوز الحدود فيشمل الحرف، الكلمة، الجملة، والجمل المتعددة، ومن شواهد: قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾ [الأنعام: 102]، وقوله تعالى في سورة غافر: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [غافر: 62]، يقول الإسكافي بعد إعماله في السياق القبلي لكلتا الآيتين: «لأن ما في هذه السورة (الأنعام) جاء بعد قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: 100]، فلما قال: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ [أتى بعده بما يدفع قول من جعل له شريكا فقال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ثم قال ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، وفي سورة المؤمن (غافر) جاء بعد قوله ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: 57]، فكان الكلام على تشبیت خلق الإنسان لا على نفي الشريك عنه كما في الآية الأولى، فكان تقديم خالق كل شيء هاهنا أولى»²⁵.

ومن نماذج التقديم والتأخير كذلك قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ [يونس: 18]، وقوله عز من قائل: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ [الفرقان: 55]، فحصل التقديم والتأخير بين لفظتي "يضرهم وينفعهم"، ويرى الإسكافي في توجيه هذا التشابه بحسب السياق القبلي دائما فقال: "إنما قدم يضرهم على ينفعهم في سورة يونس لأنه ورد قبلها قوله تعالى:

﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: 15]، فالعبادة تقام للمعبود خوفا من العقاب أولا ثم رجاء للثواب ثانيا، أما في سورة الفرقان فقد تقدمت ينفعهم على يضرهم لأن قبلها آيات قدم فيها الأفضل على الأدنى كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [الفرقان: 53]، وقوله تعالى بعدها: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: 54]، فقدم العذب من الماء على الملح، وصلة النسب على صلة المصاهرة، فقدم الأفضل على الأدنى، فقدم النفع على الضر»²⁶.

2- الحذف والذكر: ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة:59]، وقال في سورة الأعراف: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ [الأعراف:162]، فحذفت لفظة "منهم" في سورة البقرة وذكرت في سورة الأعراف، يقول الإسكافي في توجيه هذا التشابه: «إن قوله "فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا" وإن لم يذكر فيه منهم معلوم أن المراد بالظالمين الذين ظلموا من المخاطبين بقوله: "ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ... الآية، فالذين ظلموا من هؤلاء هم الموصفون بالتبديل لما قدم إليهم من القول، وفي سورة الأعراف معنى يقتضي زيادة منهم لأن أول القصة في الأعراف مبني على التخصيص والتمييز بدليل لفظة من والتي هي للتخصيص بناء على أول السورة وهي: "وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ... ليكون آخر الكلام لأوله مساوقا وعجزه لصدوره مطابقا، فيكون الظالمون من قوم موسى بإزاء الهادين منهم فاقتضت التسوية في المقابلة ذكر منهم في سورة الأعراف، وأما في سورة البقرة فإنه لم تبين الآيات التي قبل قوله... فتحمل الآية الأخيرة على حالها»²⁷، ومن هنا يتجلى إبداع الإسكافي في استخدام السياق القبلي لتوجيه هذا التشابه بربط السورة بآخرها.

3- التعريف والتنكير: يأتي هذا النوع في القرآن على عدة أوجه منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ [البقرة:126]، وقال في سورة إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ [إبراهيم:35]، يقول الإسكافي: "الدعوة الأولى وقعت ولم يكن المكان قد جعل بلدا بعد فكأنه قال رب اجعل هذا الوادي بلدا آمنا لأنه قال فيما بعد: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم:37]، ووجه الكلام فيه تنكير "بلد" الذي هو مفعول ثان والوادي مفعول أول، الدعوة الثانية وقعت وقد جعلت بلدا فكأنه قال اجعل هذا المكان الذي صيرته كما أردت فناسب أن يكون معرفا ونكرة، حيث كان مكانا من الأمكنة غير المشهورة"²⁸ نلاحظ أن التوجيه كان بحسب السياق البعدي (اللاحق)، والسياق النحوي وكان في كلا الموضعين بحسب زمن بناء البيت فكانت الدعوة الأولى قبل بنائه والثانية بعده (يمكن أن يدرج هذا التوجيه ضمن السياق غير اللغوي (الحالي) لأنه راعى غرض المتكلم ومقصده.

4- اختلاف الصيغ والإبدال: ويقصد باختلاف الصيغة هيأتها الاشتقاقية كالاختلاف بين الفعل والمصدر، أو بين أنواع الفعل أو نوع الجمع وهو كثير في القرآن الكريم، ومثاله قوله تعالى: ﴿ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ﴾ [البقرة: 58]، وقوله تعالى: ﴿ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ ﴾ [الأعراف: 161]، وجه الإسكافي ذلك بقوله: «...استعمل لفظ الكثير في الموضع الذي جعل الإخبار فيه عن نفسه، وشرط لمن قام بهذه الطاعة ما يشترطه الكريم إذا وعد من مغفرة الخطايا كلها، وأتى باللفظ الموضوع للشمول فيصير للتوكيد بالعموم، ولما لم يسند الفعل في سورة الأعراف إلى نفسه عز اسمه فلم يسم الفاعل وأتى بلفظ الخطيئات»²⁹ فاستند الإسكافي للعلاقة بين الكلمات في سياق التجاور والتتابع أي السياق المثالي، ويمكن إدراج هذا التشابه ضمن السياق الحالي بالنظر لأحوال المتكلم).

الإبدال: ويقصد به اختلاف الآيات المتشابهات في إبدال حرف بحرف أو كلمة بكلمة أو جملة بجملة، ومن شواهد "قوله تعالى: ﴿ إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعْضُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا ﴾ [النساء: 149]، وفي سورة الأحزاب: ﴿ إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخَفُّوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: 54]، وكان الجواب وبالنظر لما سبق من الآيات في كلا الموضعين يتجلى السبب في اختيار مرة خير ومرة شيء، ففي الموضع الأول كما يرى الإسكافي ذكر الخير بإزاء السوء؛ لأن ما قبل هذه الآية ذكر قوله تعالى: ﴿ لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ﴾ [النساء: 148]، والمعنى لا يحب الله أن يجهر بالقول السيئ غير المظلوم وهو أن يدعو على من ظلمه، فقال إن أبديتهم ثناء وذكرًا جميلاً لمن يستحقهما أو أخفيتهموهما أو سكتهم عن أساء إليكم بالعفو عنه فإن الله مع قدرته كثير العفو فاقتضت في هذا المكان المقابلة بإزاء السوء الخير، أما في الآية الثانية فلأن ما قبلها تحذير من إضمار ما لا يحسن إضماره في قوله: ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [الأحزاب: 51] فاقتضى هذا المكان العموم، فالاعتماد بالتوجيه هنا كان على الآيات السابقة لمعرفة سر الاختلاف³⁰.

- تغاير الفواصل: و مثاله قوله تعالى: ﴿ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ (12) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ (13) ﴾

﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلُ فَحَقَّ عِقَابُ﴾ [ص:12، 14]، قال عز وجل في سورة ق: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ (12) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ (13) وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ﴾ [ق:12، 14]، نلاحظ اختلاف ترتيب الفواصل في الآيتين، فختمت آية ص ب: " فَحَقَّ عِقَابُ " وختمت آية ق ب: " فَحَقَّ وَعِيدُ "، يقول الإسكافي في هذا: " إن سورة ق مبينة فواصلها على أن يردف آخر حرف منها بالياء أو الواو، وعلى ذلك جميع آياتها، وسورة ق بنيت فواصلها على أن تردف أواخرها بالألف فكانت الآية التي من هذه العشر مختومة الفاصلة بوصف فرعون بندي الأوتاد وبعدها: " أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ "، "فحق عقاب"، وجاء بإزاء ذلك في سورة ق: " وأصحاب الرس وثمود"، ومكان " فَحَقَّ عِقَابُ " : " فَحَقَّ وَعِيدُ " ²⁵

نلاحظ من خلال النماذج السابقة اعتماد الإسكافي على السياق اللغوي مراعيًا السياق السابق واللاحق.

ب- نماذج من توجيه التشابه اللفظي اعتمادًا على السياق غير اللغوي (الحالي):

1- التقديم والتأخير: ومثاله قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:35]، وقال في سورة الأعراف جل ثناؤه: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف:19]، يقول الإسكافي دفعا لهذا التشابه: "عطف "كلا" على قوله "اسكن" بالفاء في سورة الأعراف وبالواو في سورة البقرة وقال الأصل في ذلك أن كل فعل عطف عليه ما يتعلق به تعلق الجواب بالابتداء وكان الأول مع الثاني بمعنى الشرط والجزاء فالأصل فيه عطف الثاني على الأول بالفاء دون الواو، وعلى هذا الوجه قال تعالى في سورة الأعراف " وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا " بالفاء الحمل على هذا المعنى في هذه الآية أولى؛ لأنه عز من قائل لما قال لإبليس: ﴿اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا﴾ [الأعراف:18]، فكان قال لآدم: " اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ " فقال "اسكن" يعني ادخل ساكنا ليوافق الدخول والخروج ويكون أحد الخطابين لهما قبل الدخول والآخر بعده مبالغة في الاعذار وتوكيدا للإنذار

وتحقيقاً لمعنى قوله تعالى: "ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين"، نلاحظ أن الإسكافي وجه هذا التشابه بحمل المعنى على السابق وهو الآية الثامنة عشرة من سورة الأعراف وكذا مراعاة لأحوال المخاطبين لأنه خاطب إبليس بالخروج ثم خاطب آدم وزوجه بالسكن، وعبرة "ليكون أحد الخطابين لهما قبل الدخول والآخر بعده"؛ أي المقام الذي قيل فيه الأول غير المقام الذي قيل فيه الثاني - الموقف مختلف - ، وجاء ذلك مراعاة لسياق المقام³¹.

- ومثاله كذلك قوله جل ثناؤه: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: 48]، وقال في نفس السورة: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: 123]، نلاحظ تقديم الشفاعة على الفدية في الآية الأولى، وتقديم الفدية على الشفاعة في الآية الثانية، وقد وجه الإسكافي هذا التشابه اعتماداً على أحوال المخاطبين وعلى ما أفضته العرب بقوله: "ألا ترى العرب إذا دفع أحدهم إلى الكريهة وارتفعت نفسه بعظيمة وحاول أعزته دفاع ذلك عنه و تخليصه منه بذلت ما في نفوسها الأبية من مقتضى الحمية، فذبت عنه كما يذب الوالد عن ولده بغاية قوته وجلده، فإن رأى من لا قبل له بممانعته ولا بد له من مدافعته عاد بوجوه الضراعة وصنوف المسألة والشفاعة، فحاول بالملاينة ما قصر عنه بالمشاشنة فإن لم تغن عنه الحالتان ولم تنجيه ولم يبق له إلا فداء الشيء بمثله فكه من الأسر بعدله..". إما بمال وإما بغيره، فإن لم تغن الثلاثة في العاجلة بما يرجوه من نصر في الأجلة ودالة الخاتمة. فكان التوجيه هنا بناء على السياق الثقافي (سياق الحال)³².

2- الحذف والذكر: ومن نماذجه قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِئْتَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: 193]، وقال في سورة الأنفال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِئْتَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: 39]، فورد الحذف في كلمة "كله" فكان التوجيه هنا حسب الإسكافي حسب حال المخاطبين، "لأن الآية الأولى جاءت في قتال أهل مكة وهو مختص بقتال قوم مخصوصين من أهل الشرك وهم نازلة الحرم، فاقترص على كلمة "الدين" من غير تأكيد للمعنى، ولأنه لا يحصل بقتل مشركي مكة الدين في كل البلاد، بينما في سورة الأنفال الأمر ورد عاماً في

قتال كل الكافرين، وليس هذا في طائفة من الكفار دون أخرى³³، فكان الحذف والذكر هنا مناسباً لأحوال من نزل فيهم الخطاب.

التعريف والتنكير: وقد ورد في عدة مواضع منها قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [البقرة: 61]، وقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: 21]، وقال تعالى كذلك: ﴿وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: 112]، لقد وجه الإسكافي هذه المتشابهات الثلاث بحسب أحوال المخاطبين فقال "أن الآية الأولى هي خبر عن قوم عرفوا وعرفت أفعالهم ومضت أزمنتهم وأحوالهم، فلما اشتهروا وشهر فعلهم بوقوعه منهم قيل هنا الحق (أي ذكر معرفاً)، والموضع الثاني (أي الآية الثانية) فهو خبر عن قوم كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم، فكان خبراً عن اعتقادهم لأنه لا يجوز أن يعاقبوا وتضرب عليهم الذلة والمسكنة بذنوب وقعت من آبائهم لا منهم... في تمييز عن قوم موسى عليه السلام، فاختير لفظ المعرفة (الحق) في القصة التي وقعت للإخبار عنها ولفظ النكرة (حق) في القصة التي وقع التهديد مقارنة لها ليمنع وقوعها"³⁴

3- الاختلاف في الصيغ والإبدال:

أ- الاختلاف في الصيغ:

ومثاله: قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: 136]، وقال جل ثناؤه: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ [آل عمران: 84]، فاختلفت اللفظتان: "إلينا" و"علينا" ورد الإسكافي ذلك لاختلاف أحوال المخاطبين، لأن الخطاب الأول كان موجهاً للمسلمين فوجب أن يختار "إلى"، لأن المؤمنين لم ينزل الوحي في الحقيقة عليهم من السماء، وإنما نزل على الأنبياء فكان الأنسب اختيار "إلى"، ولما كان الخطاب في الآية الثانية موجهاً للرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: "قل" اختار "على" لأن الوحي أنزل عليه بالذات³⁵.

- ومن نماذج اختلاف الصيغ كذلك قوله تعالى في قصة صالح عليه السلام وقومه: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [الأعراف: 78]، وقال فيهم في سورة هود: ﴿فَعَصَوْهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: 65]، وقال فيهم كذلك في نفس السورة: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا

الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿لَهُود: 67﴾، وقال في قصة شعيب عليه السلام: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [الأعراف: 91]، وقال فيهم في سورة هود: ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [هود: 94]، نلاحظ اختلاف صيغ الجمع بين "دارهم" و"ديارهم" ويرد الإسكافي هذا التشابه إلى أن التوحيد كان لما أريد بدارهم بلدهم، فتم التوحيد لما كان المعنى المراد من دارهم هو بلدهم، أو يذهب به مذهب الجنس كما تقول دينارهم، أما اختصاص موضع بالتوحيد وآخر بالجمع فيرد إلى أنه وحّد ذلك فيكل مكان ذكر في ابتدائه: ﴿وَأَلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ [الأعراف: 73] و [هود: 61]، وفي ابتدائه: ﴿وَأَلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: 85] و [هود: 84]، ولم يذكر فيه اخراج النبي ومن آمن معه من بينهم، فجعلهم من أب واحد وجعلهم لذلك أهل دار واحدة، وبالمقابل في كل موضع أخبر عن تفرقة بينهم واخراج النبي ومن آمن معه أخبر عنهم الاخبار الدال على تفرق شملهم وتشتت أمرهم وذهاب المعنى الذي كان يجمعهم لأب واحد ودار واحدة وفرقة واحدة³⁶، لقد تم التوجيه هنا مراعاة لسياق الحال، فلما كان النبي وقومه مؤمنين وحد الدار، ولما كفروا جمع الدار فكأنما الكفر كان سبب تشتتهم.

ب- ومن نماذج الإبدال قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 48]، وقال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: 116]، يقول الإسكافي إن الآية الأولى جاءت بعد أن اشتمل صدر السورة ذكر الأحكام وانتهى إلى ذكر التيمم ثم انتهى إلى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ [النساء: 44]، وهم اليهود الذين أوتوا التوراة فحرفوا ما فيه دلالة على صحة نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم توعدهم الله إن قاموا بالكفر بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا﴾ [النساء: 47]، أتبع ذلك ما دل به على عظم الكفر الذي هو شرك وذلك في أمر اليهود، بينما في الآية الثانية فإن المقصود بالخطاب هم مشركو العرب، إذن فالآية الأولى أريد بها قوم عرفوا صحة النبوة فكذبوا وافتروا، أما الآية الثانية فأريد بهم شركاء العرب وهم لم

يتعلقوا بما يهديهم ولا كتاب في أيديهم فيرجعوا إليه فقد بعدوا عن الرشد وضلوا أتم ضلال³⁷ فكان التوجيه حسب أحوال المخاطبين (اليهود، مشركي العرب)، ويصلح في هذا الموضع كذلك أن يكون التوجيه بحسب السياق القبلي (السباق)؛ لأن الإسكافي اعتمد عليه (سياق مقالي).

من نماذج الإبدال كذلك قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنفال:35] وقال عز من قائل: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف:39]، يقول الإسكافي موجهًا هذا التشابه ومعتما على السياق الحالي: "إن سورة الأعراف أخبرت عن قوم ذكروا قبل هذه الآية في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [الأعراف:37] أي حظهم من العذاب، وبين ذلك بعده بقوله: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف:38]، فأخبر المولى أن أخراهم تسأل الله أن يضاعف العذاب على أولاهم لأنهم ضلوا وأضلوا فيستحقون العقاب على قدر الاكتساب، وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم من فضل علينا بل انتم مثلنا في الضلال ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾، فهذا موضع يستلزم ذكر الاكتساب وما يجب على قدره من العقاب، أما الآية الثانية فلأن قبلها ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال:35]، بمعنى صفير أو تصفيق ولم تكن تسبيحا وتمجيذا لله كما يفعل المؤمنون فيقال لهم في الآخرة ذوقوا العذاب بكفركم ولم يتقدم هذه الآية ما يوجب قدرا من العذاب دون قدر حتى يقال لهم ذوقوا العذاب بقدر كسبكم له³⁸. إذن فقد تم التوجيه هنا كذلك اعتمادا على سياق الحال فاختلفت الفاصلتين باختلاف المخاطبين.

خاتمة -

مما تقدم نلاحظ أن الإسكافي في توجيهه للمتشابه اللفظي قد اعتمد على السياق بنوعيه (المقالي والحالي)، و قد طغى على مختلف التوجيهات كأحد الوسائل الأساسية في التوجيه، من خلال ربطه لسياق الآية الواحدة وما جاورها من آيات حتى يصل لسر الاختلاف الوارد بين الآيتين، أو الآيات المتشابهة، وأيضا البحث الدقيق في سياق الآيات حتى يأتي على دلالة معنوية أو لفظية يخرج بها سر التشابه. إضافة أننا لمسنا من خلال هذا الكتاب مدى تمكن الإسكافي من تحليل النصوص واستقراءها وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على قدرة لغوية فائقة وتخصص علمي متميز، لأن الاسكافي كان يمهد لكل توجيه بمقدمات يشرح فيها وجهة نظره، ويضرب لذلك بالأمثلة، ويستشهد بأراء بعض النحاة، وكذا ببعض القواعد النحوية المناسبة لذات الموضوع.

وكان لهذا التخصص العلمي أثر في إضفاء سمة العمق في التحليل والدقة في الاستنباط، على الرغم من طغيان الجانب النحوي والبلاغي عليها.

الهوامش -

- 1- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، مجلد7، 1129، 1132 (مادة وجه) .
- 2- الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات ، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة جديدة، 1990، ص 96.
- 3- عبد العزيز بن علي الحربي، توجيه مشكل القراءات العشرية القرشية لغة و تفسيراً وإعراباً، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 1996، ص:62.
- 4- ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر، مكتبة الشباب، مصر، ص:55.
- 5- عبد المنعم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، دار الوفاء، مصر، ط1، 2007، ص: 33.
- ❖ الفونيمات: جمع فونيم وهو؛ أصغر وحدة ذات دلالة.
- 6- عبد المنعم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، مرجع سابق، ص: 44، 41.
- 7- نفسه ص: 67 (بتصرف).
- 8- نفسه ص: 38 (بتصرف).
- 9- ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، ط1، 1424هـ، ص: 601، 602.
- 10- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، 1984، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج1، ص: 39، 41 (بتصرف).
- 11- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2008 ج1، ص: 639 (مادة وجه).
- 12- الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات و الفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1998، ص: 745 (بتصرف).
- 13- مصطفى أيدين، تحقيق كتاب درة التنزيل وغرة التأويل لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالاسكافي، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، 2001، ص: 55، 56.
- 14- نفسه، ص: 56.
- 15- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص: 112.
- 16- مصطفى أيدين، تحقيق كتاب درة التنزيل وغرة التأويل، مرجع سابق، ص: 56.
- 17- نفسه، ص: 79.
- 18- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، ج6، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1993، ص: 2549.
- 19- مصطفى أيدين، تحقيق كتاب درة التنزيل وغرة التأويل، مرجع سابق، ص: 30، 40.

- 20- الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ج1، ط5، 2002، ص: 304.
- 21- نفسه، ص: 38، 43 (بتصرف).
- 22- أبو عبد الله الخطيب الاسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، مطبعة محمد محمد مطر الوراق، مصر، ص: 2، 3 (بتصرف).
- 23- مصطفى أيدين، تحقيق كتاب درة التنزيل وغرة التأويل، مرجع سابق، ص: 137، 138.
- 24- نفسه، ص: 138، 142، 159، 161، 162 (بتصرف).
- 25- نفسه، ص: 535، 536 (بتصرف).
- 26- نفسه، ص: 733، 735 (بتصرف).
- 27- نفسه، ص: 243، 245 (بتصرف).
- 28- نفسه، ص: 282، 287 (بتصرف).
- 29- نفسه، ص: 235، 237 (بتصرف).
- 30- - نفسه، ص: 426، 428 (بتصرف).
- 31- نفسه، ص: 222، 225 (بتصرف).
- 32- نفسه، ص: 226، 228 (بتصرف).
- 33- نفسه، ص: 331، 334 (بتصرف).
- 34- نفسه، ص: 246، 249 (بتصرف).
- 35- نفسه، ص: 298، 302 (بتصرف).
- 36- نفسه، ص: 617، 622 (بتصرف).
- 37- نفسه، ص: 404، 408 (بتصرف).
- 38- نفسه، ص: 691، 695 (بتصرف).



الزحافات والعلل ودورها في تقريب البحور الخيلية العربية من الأوزان النبرية الأوربية

نجلاء نجاحي

اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات

جامعة قاصدي مرباح ورقلة

ص.ب 511 - ورقلة - 3000 الجزائر.

nedjahinn@gmail.com

ملخص -

تعمل الزحافات والعلل على تطويع الوزن كي يساير اللغة ، كما أن لها دورا هاما في تقريب الأوزان العروضية من بعضها، وتحقيق التنوع العروضي والإيقاعي ، فهي ذات وظيفة توفيقية تفريقية في الوقت ذاته، هذا في إطار العروض العربي، فهل لها نفس الدور في تقريب الأوزان العربية الخيلية من الأوزان النبرية الأوربية ؟

الكلمات المفتاحية -

الزحافات ، العلل ، الإيقاع ، التنويع ، ، العروض، البحور، الأوزان النبرية ،
التفريقية ، التوفيقية .

The Role Of Metric And Rhythmic Transformations To The Approximation Of Arab Metrics Of Kalil To The European Tonality

Abstract -

Metric And Rhythmic Transformations Make Possible To Submit A Rhythm Which Adapts To A Language, And Also Play An Important Role In The Approximation Of The Meters, Of Each Other, To Reach A Metric And Rhythmic Diversification, Having A Differential Function At The Same Time, This Is In The Context Of The Arab Metric. So, Did It Have The Same Role To Bring The Arab Metrics Of Khalil Closer To The European Tonality?

Key Words-

Transformation Metric, Rhythmic , Diversification, European , Tonality Differential , Approximation

يعرف العروض على أنه ذلك العلم الذي تعرف به أوزان الشعر العربي ، وما يعرض لها من حالات يقبلها الذوق العربي أو يرفضها فتعد عيوباً، وقد عرفه الأخفش بأنه " ما يعرف به وزن الشعر واستقامته من انكساره " ⁽¹⁾.

فهو علم وُزن الشعر بقياسه على النغمات المتعارفة التي حددها الخليل وسماها البحور، كما أنه علم الهندسة الموسيقية الذي ترافقه الإيقاعات المنتظمة في آخر الموجات النغمية من القول للربط بينها، وهو للناقد ضرورة أكثر من ضرورته للشاعر، فهذا العلم قد أراح الأذن العربية الناقدة للشعر من عناء حصر النغمات في هذه البحور، إذ وضع لها النماذج التي يمكن أن تقيس عليها ، وحدد لها الأخطاء والتجاوزات التي يمكن أن تتعرض لها الأشعار وهو بالإضافة إلى كل ذلك ترجمة صوتية للنغم الشعري برموز اصطلاح على تسميتها بالأجزاء أو التفاعيل وقد عرفه الجوهري بأنه " ميزان الشعر وهو ترجمة عن ذوق الطباع السليمة " ⁽²⁾، كما عرفه الجاحظ بقوله: " العروض ميزان الشعر ومعياره وبه يعرف الصحيح من السقيم والمعتل من السليم وعليه مدار القريض من الشعر وبه يسلم الأود والكسر " ⁽³⁾، أما ابن فارس فيقول: " ثم للعرب العروض التي هي ميزان الشعر وبها يعرف صحيحه من سقيمه "، أما

ضياء الدين الحسني فيجعله صناعة نظرية: " إن العروض صناعة نظرية ينظر بها صاحبها في الأوزان القولية ليعرف الشعر به منها وفي الشعر به ليعرف المطبوع من المتكلف والأصل من الفرع والأصيل من الدخيل والتام من الناقص مع الاحتواء على العلل في ذلك والأسباب ⁽⁴⁾ ، فالعروض صناعة تمكن من التأليف اللفظي للشعر والتحكم في شروطه ولواحقه وبذلك تعصم الفرد من أن يضل في أوزان شعر العرب، كما أنها" تقيم لبضاعة الشعر في سوق المحاسن وزنا، وتجعل تعاطيه بالقسطاس المستقيم سهلا " ⁽⁵⁾ ، ويتصل موضوع هذه الدراسة بالأجزاء العروضية التي تتكون منها البحور وهي الأمثلة أو الأركان أو التفاعيل أو الأفاعيل، وقد اعتبر العروضيون هذه الأجزاء مثالا ما دامت حاملة للترتيب المنتظم بين الحركات والسكنات الدورية التي ترسم نطقا معيناً كأقيسة زمنية تتكرر متفزنة في الصوت الزمني مختلفة في الحروف وتشكلها كما جعلها بعض الدارسين وفي مقدمتهم ضياء الدين الحسني أمثلة لضبط الصوت الشعري المتموج بين الحركات والسكنات وإلى ترتيب نظامي " فلا بد أن يكون هذا المثال هو جملة من الحروف الحاملة لذلك الترتيب ومؤدية له ، أما كونه جملة من الحروف فلأن الحوامل للحركات والسكنات هذه هي الحروف لا غيرها، أما كونها كانت فلأن العبرة بالأغراض التي فيها من الحركات والسكنات..." ⁽⁶⁾ .

أما الدراسات الحديثة للتفاعيل فقد قامت على أساس المقاطع الصوتية ، معتمدة على الدراسات المقارنة التي قام بها الدارسون العرب والمستشرقون، وعلى تطور أسلوب البحث العلمي الحديث في علم الأصوات، ذلك لأن " المقطع كوحدة صوتية تشترك فيه جميع اللغات وله أساس علمي يعرض له علم الأصوات فيحلل كل كلام سواء كان نثرا أو شعرا إلى مقاطع صوتية يختلف نظام تواليها وأنواعها باختلاف اللغات في العالم " ⁽⁷⁾ .

فالدراسات الحديثة القائمة على عد المقطع مدخلا للدرس القائم على الدقة نجد شكري عياد يؤكد هذا الاتجاه بقوله : " فلا جرم في تحول الباحثين المحدثين إلى المقاطع ، حيث رأوا أن هذه الوحدات المستعملة في تحليل الأصوات اللغوية على اختلاف اللغات هي أصلح ما تقسم إليه التفاعيل، وقد هيا لهم

اتخاذ المقاطع أساسا للأوزان العربية وصفا جديدا للعروض العربي، يكشف عما فيه من مراعاة النسب التي لا تقوم أوزان الشعر في أي لغة من اللغات بغيرها⁽⁸⁾. وهذا المدخل لدراسة الشعر العربي قد عول عليه المستشرقون إلى حد كبير وتبناه كذلك المحدثون من نقادنا العرب إلى حد أن باحثا معاصرا عد رصد الخليل للتفعيلات التي تتكون منها أوزان الشعر العربي قائما على إحساس الخليل نفسه بمسألة المقطع موضع التناول يقول سيد البحراوي: " برغم أن الخليل بن أحمد - مثل غيره من اللغويين القدماء - لم يستعمل مصطلح المقطع أو النظام المقطعي، فإن رصده للتفعيلات المكونة للأوزان يمكن أن يكون قائما على إحساسه بمسألة المقطع هذه"⁽⁹⁾.

وعلى هذا فالمقطع الصوتي عبارة عن حركة قصيرة أو طويلة مكتنفة بصوت أو أكثر من الأصوات الساكنة أو هو مجموعة من الأصوات التي تمثل قاعدتين تحصران بينهما قمة .

فالمقاطع إذن وحدات تركيبية أو أجزاء تحليلية يمكن أن يحلل الوزن على أساسها ، ولا جدال في أن هذه النظرة لا تختلف عن نظرة العروضيين إلا في الشكل فحسب وهي على نوعين :

النوع الأول قصير وسنأخذ له الرمز(ب) النوع الثاني طويل وسنأخذ الرمز (-) ، وعلى هذا يمكننا إعادة المقابلة بين نوعي المقاطع وبين المصطلحات العروضية الخليلية على النحو التالي :

- السبب الخفيف /0 = مقطع طويل .
- السبب الثقيل // = مقطعان قصيران .
- الوتد المفروق /0/ = مقطع طويل + مقطع قصير .
- الوتد المجموع 0// = مقطع قصير + مقطع قصير
- الفاصلة الصغرى 0/// = مقطعان قصيران + مقطع طويل
- الفاصلة الكبرى 0//// = 3 مقاطع قصيرة + مقطع طويل

ويمكن أيضا أن نقابل بين التفعيلات الثماني التي شكل منها الخليل دوائره وبين رموز المقاطع التي أشرنا إليها آنفا على هذا النحو:

فعلون (ب- -) و فاعلن (ب- -) و مفاعيلن (ب- - -) و مستفعلن (ب- - -) و فاعلاتن (ب- - -) و متفاعلن (ب- - -) و مفاعلتن (ب- - -) و مفعولات (ب- - - -).

ونحن مع القول الذي يجزم بأن اللغة العربية لغة كمية وذلك للدور المهم الذي تلعبه حروف المد في تغيير المعنى وتنويع الإيقاع و إثرائه وهذا عين ما أوضحه شكري عياد حين قال " ومن الناحية النظرية لاشيء أولى من كم المقاطع بأن يكون أساسا لأوزان الشعر العربي ، فهو أبرز من أية صفة أخرى يمكن أن يتصف بها المقطع كالنبر أو النغمة أو العدد " (10) .

ولا مرأ في أن للمقاطع المتناغمة مع بعضها البعض تأثيرا بالغا على نفس المتلقي وهذا ما جزم به من تحدثوا في علم النفس الموسيقى عندما تعرضوا لكيفية شعور المرء بنغم الكلام فقالوا " إن هناك ميلا غريزيا في كل كتلة من عدة مقاطع كشبه الفقرات القصار أو العبارات الصغيرة فقد نسمع في عشر ثوان ما يكاد يبلغ خمسين مقطعا صوتيا تسمعها الأذن فتلتقطها كتلا من المقاطع تطول أو تقصر ، فإذا ترددت في أواخر هذه الكتل الصوتية مقاطع بعينها شعرنا بسهولة ترديها و أحسنا بغبطة وسرور حين سماعها ، وبعث فينا هذا الرضا والإطمئنان " (11)

وأول ما يتصل بالتفاعيل العروضية الزخافات والعلل التي تعتبر تغييرات تطرأ على هيكل كل تفعيلة فتنوع في نغمتها وتغير في شكلها إلا أنه تغيير لا يؤثر تأثيرا كبيرا على وقع الانسياب الشعري في الأذن الموسيقية لذلك لم تعد نشازا في الإيقاع الموسيقي ، وتتنوع وظيفتها بين التفريقية والتوفيقية بين الأوزان وأعلريض الشعر العربي والغربي.

1. أصناف الأعاريض :

يقسم الباحثون واللغويون الأعاريض إلى ثلاثة أصناف حسب ماهية اللغة ، ونوعية النغم وعدد المقاطع وما يلعبه النبر من دور أساسي :

أ. العروض الكمي :

الكمي تعبير غربي ، ويعني التمييز بين كميات الزمن بين المقاطع ، فتتداخل فيه المقاطع القصيرة التي تقابلها في العربية الحروف المتحركة ،

والمقاطع الطويلة التي تقابلها الأسباب ، ويصنف العروض الإغريقي والعروض الروماني القديم تحت هذا الصنف ، ويصنف العروض العربي أيضا في هذه الخانة ، وينظر إليه على أساس تداخل الحرف المتحرك مع السبب ، وهو ما سماه الفارابي بالإيقاع المفصل أي ذلك الذي تفصل بين نقراته أزمنة متفاضلة ، ومعنى التفاضل عند الفارابي التفاوت بين الطول والقصر في الزمن بين نقرتين ⁽¹²⁾ ومن هنا تفسر التسمية الغربية الكمي وعلى هذا الأساس أيضا يمكن تصنيف الشعر العربي التقليدي في جملة العروض الكمي فهو مفصل على رأي الفارابي .

ب. العروض النبري :

ويعتمد هذا الصنف على عدد المقاطع ذات النبرات القوية بغض النظر عن تلك المقاطع اللينة التي تتخللها من حين لآخر والتي تلفظ خطفا فتندمج فيها ، ويندرج تحت هذا الصنف الأشعار الألمانية ذات الأصل الشعبي والتي تعرف بذات التجاعيد لأن المقاطع اللينة تلفظ خطفا مشكلة مقاطع تشبه التجاعيد إلا أن النبرة موجودة في العربية وهي بمعنى قوة النقرة أو لينها ، ولكن العروض العربي لم يعرها اهتماما لأن هذه المسألة تهم الإيقاع الموسيقي .

ج. العروض العددي :

ويتألف هذا الصنف من الأعاريض من ضم مقاطع متساوية في الطول بشكل متواتر وبعده متعارف عليه ، ويعادل طول المقاطع في العربية مجموع حرف متحرك يليه ساكن ، أو ما يقابل في لغة العروض السبب فالإيقاع العددي الرباعي في العروض الفرنسي يمكن أن يرمز لها بوزن 0/0/0/0 والتي تساوي مفعولاتن وهو ما يقابل الإيقاع الموصل حسب تعبير الفارابي " وهو مجموعة نقرات تفصل بينها أزمنة متساوية ، والإيقاع الموصل موجود في الأشعار الغربية كما هو موجود في الموسيقى الغربية ، كما هو موجود في الإيقاعات العربية ، فالفارابي صنف الإيقاعات العربية إلى صنفين : الموصلة والمفصلة ، وأوضح أن الإيقاع الموصل هو ما تفصل بين نقراته أزمنة متساوية وأن الإيقاع المفصل ما تفصل بين نقراته أزمنة متفاضلة ، وذكر أن الشعر العربي لا يوجد فيه موصل أصلا " ⁽¹³⁾ ، وقد أدخل الأندلسيون الأوزان الموصلة في أشعار الموشحات للتجارب مع الأجزاء الموصلة من الإيقاعات الموسيقية .

طبيعة العروض العربي :

المتأمل للشعر العربي العمودي يدرك ثبات أبياته من ناحية التفاعيل ووحدة نظامها ، إلا أن أنماطا كثيرة من الأشعار العربية قد شذت عن هذه الخاصية بدخول الزحافات والعلل على أجزائها وأنها تندرج تحت نظامين : إما أن يكون عدد المقاطع ثابتا ، وبدخول الزحاف يعوض مقطع قصير مقطعا طويلا ، فنلمس تغيرا في زمان النطق مع المحافظة على العدد الإجمالي للمقاطع ، وإما أن يحل محل المقطع الطويل مقطعان قصيران مما يغير من عدد المقاطع ، مع المحافظة على ثبات زمان البيت ، وقد توصل الدكتور مصطفى حركات إلى عدة نظريات في هذا المجال وكان من بينها :

- زحاف السبب الخفيف مبني على تكافؤ مقطع طويل بمقطع قصير .
- زحاف السبب الثقيل مبني على تكافؤ مقطعين قصيرين بمقطع طويل .
- التفاعيل التي لا تحتوي على السبب الثقيل ثابتة في عدد المقاطع ، والخماسية منها تحتوي على ثلاثة مقاطع والسباعية على أربعة .
- التفاعيل التي تحتوي على السبب الثقيل يتغير عدد مقاطعها حسب مبدأ : مقطعان قصيران يكافئان مقطعا طويلا .
- وإذا انتقلنا إلى مستوى الأبيات نجد أن البحور التي لا تحتوي على السبب الثقيل يكون عدد المقاطع ثابتا في أبيات القصيدة الواحدة ، ويكون التنوع مبنيًا على تكافؤ المقطع الطويل بالمقطع القصير في بعض المواقع .
- بحور الوافر والكامل والمتدارك مبنية على تكافؤ مقطعين قصيرين بمقطعين طويل .
- يلاحظ أنه لا يمكن لهذين النظامين أن يمتزجا ، ولا يمكن لأي قصيدة أن تخضع للنظامين في الآن ذاته أو الخروج عنهما لتخضع لنظام آخر .

الزحافات والعلل :

الزحافات والعلل تغييرات تطرأ على أجزاء الميزان الشعري ، ويلجأ إليها الشعراء أحيانا تخفيفا من قيود الوزن ولكنها ليست تسهила مطلقا بل تحكمها قواعد وأصول لا بد من التزامها ، ويعرف الزحاف بأنه تحويل اختياري يقتصر على الحرف الثاني من السبب الخفيف أو الثقيل ، ولا يخص الزحاف موقعا

معينا من البيت ، والزحافات مقننة حسب رتبة الحرف في التفعيلة وحسب نوعية التغيير سواء أكان إسكانا ، حذف متحرك ، أو حذف ساكن ، وهو صنفان مفرد يخص حرفا واحدا ومزدوج ويتمثل في اقتران زحافين بسيطين .

أما العلة فهي تغيير يخص الأسباب والأوتاد، ويختص بالأعاريض والأضرب فقط، والعلة عند إصابتها التفعيلة تغير من هيكلها إما بالنقص أو بالزيادة ، وهو لازم في أغلب الحالات،

ويمكن اعتبارها انزياحا وانحرافا جزئيا عن النسق المنتظم للوزن يستوعبه النظام الإيقاعي الوزني وهي تولد أنساقا إيقاعية جديدة منسجمة ومتساقطة مع النسق الأصلي لهذا الخروج على النسق وظائف هامة في الشعر وغيره من الفنون كإشعار المتلقي بمزيد من النظام ، إذ أن إدراك اطراد النسق يكون أقرب إلى الوعي بالخروج الجزئي عنه كما يهدف إلى كسر الرقابة ومقاومة الحذر الناشئ عن الالتزام الصارم بالنظام فيكون بذلك عاملا مساعدا على الانتباه و اليقظة ، ويخلق نوعا من المفاجأة في سياق التوقع الملازم للنظام

ولقد أشار حازم القرطاجني إلى الوظيفة الجمالية للخروج على النسق المتمثل في الزحاف خصوصا إذا قلل من السواكن في الأوزان الموصوفة بالجعودة والتقطع ، ونقلها إلى هيئة أكثر سباطة وليونة .

هذا وقد حاول بعض الباحثين تفسير الزحاف تفسيراً نفسياً ، بربطه بالحالة النفسية والانفعالية لدى الشاعر فكلما كان الانفعال شديداً زاد عدد التفعيلات المزاحفة .

ويعد الخروج على النماذج النظرية التي وضعها الخليل باللجوء إلى الزحافات والعلل من قبيل التلاعب بمقادير الأجزاء ، وهو إخلال بالنظام الكمي للأبيات الشعرية وذلك لوظائف عديدة من أهمها :

- " الزحاف ماهو إلا تزيين للوزن خاصة حين تكثر السواكن ويثقل مسموع القول لأن فيه شبه راحة للنفس عما يثقل عليها مسموعه " .
- إضافة إلى كونه يقاوم الرقابة والخدر الناتج من التكرار المنتظم في الصورة التراكمية للتفاعيل في صورتها التامة فيجلب بذلك الانتباه ، داعما الجانب الفكري في مواجهة الجانب الحسي فيدعم بذلك التعبير الفني .

- ويرى شوقي ضيف في هذا المجال أن ما يقال من أن الإيقاع الشعري الموروث يزخر بالملل والرتابة لأنه يقوم على تكرار مسافات زمنية متساوية فهو قول ينقصه النظر الدقيق ، لما يدخل تفاعيل القصيدة من زحافات تفسح المجال لظهور اختلافات بينة بين رناتها الإيقاعية ونضرب لذلك مثلاً وزن الكامل الذي يتألف من متفاعلين ست مرات ، وهي خمس مقاطع واضحة ، فإن الشاعر إذا أدخل على تفعيلته زحاف الإضممار وهو تسكين ثاني التفعيلة المتحرك تحولت تفعيلته من متفاعلين إلى مستفعلين ، وبذلك تنقص مقاطعها الخمسة مقطعا وتحول نغمتها الإيقاعية من صورتها السريعة إلى صورتها البطيئة .

فقد وضع الخليل بن أحمد النماذج الشعرية المخالفة لبنائه النظري المتمثل في الدوائر العروضية نصب عينيه ونبه إلى الوجوه المنافية فيها محاولاً بذلك التوفيق بين المستوى النظري الذي تمثله الدائرة والمستوى التطبيقي الذي يمثله الاستعمال و الواقع الشعري ، فلجأ إلى ضروب من التغيير مست البحور الموجودة في الدائرة _ وهي النماذج التامة _ حيث أوجب ضروب التغيير هذه مما يجعل الوزن في الدائرة مطابقاً لتحقيقه في الاستعمال لذا أوجب القبض في الطويل والخبث في البسيط والحذف في الرمل والكسف و الطي في السريع و هكذا .

وتقوم هذه التغييرات بعملين وظيفيين أساسيين أحدهما تفريقي تنويعي ، والآخر توافيقي إشارة إلى ما يعرف بالتداخل بين البحور العروضية ، ففي كثير من الأحيان يصعب علينا التفريق بين البحور عند التقطيع ، وذلك لكثرة الزحافات والعلل الطارئة .

وقد يمتد هذا التقارب و التوافق إلى خارج العروض الخليلي ليربط به الأوزان النبرية الأوروبية فالأى أي مدى تعمل الزحافات والعلل على التقريب بين الأوزان النبرية الأوروبية والعربية ؟

الأرجل والتفاعيل في الشعر اليوناني¹⁴ :

يعتمد التقطيع في العروض الغربي على مقاطع نبرية تتكون بدورها مما يسمى بالأقدام أو الأرجل والتي تشكل بدورها البحور التي يربطها الغربيون بالأغراض ،

والأرجل والأقدام في الشعر اليوناني تجمعات قصيرة من المقاطع الطويلة والقصيرة تشبه الأسباب و الأوتاد في العروض العربي ، وسميت بالأرجل لأنها تحتوي عند الإنشاد على موقع ضعيف وموقع قوي أو إيكْتوس ، فكانوا يرفعون القدم في الزمان الضعيف ويضربونها على الأرض في الزمن القوي والعرب لم يجهلوا هذا المصطلح وذكروه في أبحاثهم القديمة دون إدراجه في عروضهم .

والأرجل في الشعر اليوناني خمسة :

اليامب : لاوهو مقطع قصير يتلوه مقطع طويل 011 وهو التود المجموع في العروض العربي .

التروشي : وهو مقطع طويل يتلوه مقطع قصير 101 وهو التود المفروق .
الأنابست : وهو مقطعان قصيران يتبعهما مقطع طويل 0111 وهو الفاصلة الصغرى .

الداكتيل : وهو مقلوب الأنابست ، مقطع طويل متبوع بمقطعين قصيرين
1101 = فاعل.

البئون : وهو عبارة عن مقطعين طويلين يتوسطهما مقطع قصير 01101 = فاعلن .

والمقطع القصير هو متحرك واحد أما الطويل حرفان متحرك وساكن .
وتنتج عنها إيقاعات تنسب إليها وهي :
الإيقاع اليامي : وهو مقطع قصير + مقطع طويل + مقطع قصير + مقطع طويل ويقابله :
فعل فعل .

إيقاع التروشي : وهو مقطع طويل + قصير + طويل + قصير ويقابله : فاع فاع
الإيقاع الأنابستي : وهو مقطعان قصيران + طويل + قصيران + طويل ويقابله
فعلن فعلن .

الإيقاع الداكتيلي : وهو مقطع طويل + قصير + قصير + طويل + قصير + قصير
ويقابله فاعل فاعل .

الإيقاع البيوني : وهو مقطع طويل + قصير + طويل + طويل + قصير + طويل
ويقابله فاعلن فاعلن

أما التفاعيل فهي :

التفعيلة اليامية : وهي مقطع قصير طويل قصير طويل أي : 011011 = مفاعلات .

التفعيلة التروضية : وهي مقطع طويل + قصير + طويل + قصير أي : 101101 = مفعلات .

الكوريامب : وهي مقطع طويل + قصير + قصير + طويل أي : مستعلن .

السبوندي : وهي مقطع قصير + طويل + طويل أي : فعْلن .

ولا ترد في البحور النبرية الأوربية حدود التفاعيل في الكتابة فهم يكتبون المقاطع فقط عكس ما هو عليه الحال في العروض العربي ، ولتحديد التنوعات في الأوزان وضع الخليل تحويلات هامة هي الزحافات والعلل بعكس الغربيين الذين وضعوا لكل شكل مزاحف اسما خاصا .

الأنابست : Anapeste : وهو وزن عروضي يوناني وارد في العديد من الأعاريض العالمية الأخرى، وهو عبارة عن مقطعين قصيرين يتبعهما مقطع طويل (ق ق ط) وهذا يكافئ في العروض العربي 0111 أي مايعرف بالفاصلة الكبرى ، وهي أشبه بفعلن مخبونة فاعلن في البسيط و المتدارك وقد عده شكري عياد وزنا ذا تفعيلة ثلاثية يضع النبر على ثالثها .

ووزنه : ق ق ط ق ق ط ق ق ط = فعلن فعلن فعلن

أي مايعرف عندنا بالخبب أو المتدارك الذي لا يرد إلا مخبونا أي بإسقاط الثاني الساكن في التفعيلة فاعلن لتصبح فعلن فدخل هذا التغيير على التفعيلة الأصلية لهذا البحر جعله شبيها بوزن الأنابست الغربي .

فالمأمل للبيت :

وقف القـمران لطلـعته فتدارك خـلع عباءته

0111.0111.0111.0111 0111.0111.0111.0111

فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن

يجد أن هناك تقاربا بين الأوزان النبرية الأوربية والأوزان الخليلية أحدثه و أوجده زحاف الخبن .

والملاحظ أن زحافات الأنابست هي عينها زحافات الخبب إذ يجوز استبدال المقطعين القصيرين في بداية التفعيلة بمقطع طويل وهو الإضمار الذي يدخل الكامل الذي يتكون من فاصلة صغرى ووتد مجموع أي أنابست ووتد مجموع ، كما يجوز أن ترد تفعيلة الأنابست على الشكل :

ط ق ق أي فاعل

ويمنع تجاوز فاعل وفعلن لكي لا ينتج عن تجاورهما : ط ق ق ق ق ط أي :

01111101 ، وهذا يذكرنا بالمعاقبة في العروض العربي .

الإيامب : L'iambe : وهو من أكثر البحور اليونانية شعبية و شيوعا ، وهو الألكسندران الفرنسي L'alexandrin أشهر البحور الفرنسية و أكثرها استعمالا وذلك لطوله ، إذ يتكون من 12 مقطعا مما يجعله يحتمل إمكانية تقسيم البيت إلى شطرين متناسبين ، وتوافق عدد مقاطع أجزاء البيت مع عدد المقاطع في الكلمة الفرنسية .

وهذا الوزن مبني على مقطع قصير يليه مقطع طويل يليه مقطع قصي فمقطع طويل ق ط ق ط ما يقابل متفعلن المخبونة في العروض العربي ، إلا أن الوزن الأكثر استعمالا هو : ط ط ق ط _ ط ط ق ط أي مستفعلن مستفعلن ، وهو بناء الرجز في عروض الخليل .

وله ضربان مشهوران المربع اليامي ووزنه :

ط ط ق ط _ ط ط ق ط _ ط ط ق ط _ ط ط ق ط

وهو يوافق مجزوء الرجز إضافة إلى المثلث اليامي ووزنه :

ط ط ق ط _ ط ط ق ط _ ط ط ق ط

وهو ما يتفق مع التغيرات التي تطرأ على الأوزان الخليلية من حيث الجزء والشرط .

ويتفق الإيامب والرجز في الكون المقطع القصير مع الطويل ق ط وهو القدم الثاني من التفعيلة ثابت وهو الوند في العروض العربي .

ومن ناحية الزحافات والعلل يجوز تغيير المقطع الطويل الأول من التفعيلة بمقطع قصير وهو الخبن عندنا ولكن الرجز يقبل الطي المتمثل في حذف الرابع الساكن من التفعيلة وهذا ما لا يجوز في الإيامب ، وهذا ينعكس

على إيقاع البحرين ، فاليامب يحوي موقعين قويين في التفعيلة ونجده موقعا في المقطع الثاني والرابع ، أما الرجز فإنه يملك موقعا قويا واحدا هو نهاية التفعيلة ، واليامب من الناحية التوقيعية قريب إلى الكامل الذي يحوي موقعين قويين في التفعيلة الواحدة ، والملاحظ أن اليونانيين لجأوا إلى جوازات شعرية كثيرة نظرا لكثرة الأبيات في أشعارهم الملحمية والمسرحية . وتتمثل زحافات اليامب في استبدال مقطع طويل بمقطعين قصيرين .

الداكتيل : Dactyle : البحر الإنجليزي الذي تتكون تفعيلته من ثلاثة مقاطع ، ويقع النبر فيه على المقطع الأول ، وهذا يعني أنه يتكون من مقطع طويل و مقطعين قصيرين ط ق ق وهو مقلوب الأنابست ، وتفعيلته تساوي فاعل 1101¹ وهي مقلوب تفعيلة الأنابست فعلن = لن فع ، ووزن الداكتيل : ط ق ق _ ط ق ق _ ط ق ق _ ط ق ق

غير أن إيقاع الداكتيل مخالف لإيقاع الأنابست لأن النبر أو الزمان القوي يكون في بداية التفعيلة وليس في نهايتها والداكتيل مهمل في العربي لأن تفاعيل العروض العربي حتى وإن دخلها الزحاف لا تنتهي بمتحركين .
القدم الأيونية : تتألف من مقطعين قصيرين يليهما مقطعان طويلان ق ق ط ط وهو شبي بوزن متفاعل 010111 أو فعلاتن مخبونة فاعلاتن في الرمل و المديد والخفيف والمجث .

الأنابسستك : تتكون قدمه من مقطع قصير و مقطعين طويلين ومقطع قصير ق ط ط ق وهو وزن مضاعف مكفوفة مضاعفيل في الهزج والطويل .
الإمضبراخ : يتكون من مقطعين قصيرين يتوسطهما مقطع طويل ق ط ق وهو أقرب إلى فعول² مقبوضة فعولن في المتقارب و الطويل ، فإذا أريد تقريب مضاعفيلن في الطويل إلى ق ط ق الإمضبراخ فيكون بإدخال القبض والكف على التفعيل .

الخاتمة -

وفي الأخير فإن علم العروض علم يتسع لمواضع خاصة تمكننا من الانتقال ببسر من وزن لآخر وأطلق عليها تسمية " مفكات الانتقال " داخل العروض العربي ويمكن استغلال هذه الظاهرة في تقريب الأوزان من بعضها وحتى تقريب البحور العروضية وأوزانها من نظيرتها الغربية ولا يتم ذلك إلا بدراسة الزحافات والعلل ودورها والتوفيق والتفريقي بين الأوزان وكذا التبحر في تأثيراتها الجمالية .

الإحالات -

- ¹ - عبد الرؤوف بابكر السيد: المدارس العروضية في الشعر العربي، المنشأة العامة للنشر، طرابلس، ليبيا، ص: 132.
- ² - نفسه، ص: 133.
- ³ - ابن فارس: الصاحب في فقه اللغة، تحقيق: أحمد صقر، ج: 1، ص: 43.
- ⁴ - التبريزي: الكافي في العروض والقوافي، ص: 17.
- ⁵ - بدر الدين محمد الدماميني: العيون الفاخرة الغامزة على خبايا الرامزة، ط: 1، ص: 2.
- ⁶ - ضياء الدين الحسني: الإبداع في العروض، مخطوطة مصورة ضمن كتاب المدارس العروضية في الشعر العربي لعبد الرؤوف بابكر السيد، ص: 12 وما بعدها.
- ⁷ - نفسه، ص: 12 وما بعدها.
- ⁸ - شكري عياد: موسيقى الشعر العربي، دار المعرفة، القاهرة، ط: 1، ص: 53.
- ⁹ - سيد البحراوي: العروض وإيقاع الشعر العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، 1993.
- ¹⁰ - شكري عياد: موسيقى الشعر العربي، ص: 56.
- ¹¹ - يرجى الرجوع إلى كتاب: إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر العربي، و إلى كتاب علي السيد يونس: جماليات الصوت اللغوي للإستزادة في هذا الموضوع .
- ¹² - أحمد رجائي: أوزان الألحان بلغة العروض وتوائم من القريض دار الفكر، دمشق، سوريا، ط: 1، ص:
- ¹³ - أحمد رجائي: أوزان الألحان بلغة العروض وتوائم من القريض، ص: 66.
- ¹⁴ - للإستزادة يرجى الرجوع إلى: عبد الحكيم العبد: علم العروض الشعري في ضوء العروض الموسيقي، ومصطفى حركات: المعجم الحديث للوزن والإيقاع و: على يونس نظرة جديدة في موسيقى الشعر العربي .



MYTHE ET REECRITURE DU MYTHE DE LA REINE DE SABA DANS LA LITTERATURE ALGERIENNE D'EXPRESSION FRANÇAISE

Hadda Chenini

Doctorante : Université kasdi Merbah – Ouargla

Maitre-assistant A : Université de Ghardaïa

B.P N°455. Ghardaïa 47000, Algérie

h1_chenini@yahoo.fr

Laboratoire

Patrimoine culturel, linguistique, et littéraire des régions du sud
algérien

De Ghardaia

Résumé

Belkis, reine de Saba, fascinante, pourrait-elle être occultée, alors qu'elle reste jusqu'à aujourd'hui un grand mystère ? Cette histoire est commune aux trois grandes religions du Livre. Innombrables sont les hommes de lettres à avoir cherché à percer le mythe, entourant cette figure féminine de symboles ou de personnages et la pourvoyant selon les réécritures de nouveaux caractères qui traduisent les désirs de sociétés diverses : la révolte, sensualité, résistance caractérisent ainsi le personnage. *Belkis*, *Nedjma* « *Femme sauvage* » de Kateb Yacine constitue une de ces réactualisations du mythe de la reine de Saba. Il semble avoir inspiré l'écrivain qui associe à l'image de l'Algérie résistante le personnage de *Nedjma*, à la fois fascinante et repoussante.

A partir de ce rapprochement nous avons voulu comprendre les traits et les mécanismes de transposition que Kateb opère entre ces deux figures : *Belkis* et *Nedjma* qui représentent deux héroïnes de la beauté et de la séduction. Pour cela nous analyserons la transposition d'une figure sur l'autre pour voir ensuite les

caractéristiques de leur apparition et leur présence à travers les différents écrits littéraires attribués à ce mythe.

Mots-clés :

réécriture – La reine de Saba – Nedjma – Transposition – La femme sauvage – Le mythe – la littérature algérienne d’expression française.

Myth and rewriting of the myth of the queen of Saba in the Algerian literature of French expression

Abstract-

Belkis, the fascinating Queen of Saba, could she be overshadowed when she remains a great mystery until today? Her story is well known to the followers of the three great Abrahamic religions. Countless Authors in world literature have sought to pierce the myth surrounding this female figure with symbols or characters. They intend presenting her by rewriting new characters reflecting the desires of various societies through her qualities like revolt, sensuality and resistance. Belkis is presented as Nedjma "the Wild Woman" by Kateb Yacine as one of these updates of the myth of the Queen of Seba. It seems to have inspired this Algerian author who associates the character "Nedjma" with the image of resistant Algeria in her fascinating and repulsive qualities.

From this reconciliation, we wanted to understand the features and mechanisms of transposition used by Kateb to operate between these two figures: Belkis and Nedjma who represent two heroines of beauty and seduction. For this, we will analyze the transposition of one figure on the other, to see then, the characteristics of their appearance and their presence through the various literature writings attributed to this myth.

Keywords–

rewriting - Queen of Saba - Nedjma - Transposition - Wild woman - Myth - Algerian literature of French expression.

الملخص-

بلقيس، ملكة سبأ، فاتنة هي، ويمكن أن تكون غامضة، لبقائها ليومنا هذا لغزا كبيرا؟ كونها قصة مشتركة بين الكتب الدينية الثلاث. أدباء كثر أرادوا أن ينقبوا ويكتشفوا السر والغز المحيطة بهاته المرأة الأسطورة عبر رموز رغبات المجتمع (تواكب) وشخصيات، وتحملها صفات جديدة تترجم هذا ما جعلها ترتبط بأسطورة المرأة (الثورة، الاثارة، المقاومة ... الخ) (الحالي المتوحشة).

في صورة بلقيس، نجمة " المرأة المتوحشة " لكاتب ياسين تجديد واحياء لأسطورة بلقيس، تأثر بها الكاتب فمثلها بصورة الجزائر المقاومة تحت شخصية نجمة، المرأة الفاتنة والنافرة في نفس الوقت. من هذه المقارنة أردنا فهم سمات وآليات التحويل التي يعمل بها كاتب بين هاتين الشخصيتين: بلقيس ونجمة اللتين تمثلان بطلتين من الجمال والإغواء. من أجل ذلك سنقوم بتحليل تبديل شخصية على الأخرى لنرى خصائص ظهورها ووجودها من خلال الكتابات الأدبية المختلفة المنسوبة لهذه الأسطورة.

الكلمات المفتاحية -

إعادة كتابة - ملكة سبأ - نجمة - المرأة المتوحشة - الأسطورة - الأدب الجزائري باللغة الفرنسية.

Introduction

La reine de Saba, cette héroïne mythique, participe à la fois de la culture occidentale et orientale, et contribue à une rencontre bénéfique dans le dialogue des mythes. Cette histoire est en effet racontée par les trois religions monothéistes à travers les textes fondateurs, en l'occurrence La Bible et Le Coran.

Dans toutes les cultures, l'histoire de cette reine est liée à celle du prophète et roi Salomon. Bien qu'elle soit un personnage secondaire dans les textes fondateurs, où elle occupe peu de place, elle est devenue une héroïne à part entière, même si son apparition

est toujours associée à celle du roi Salomon. Bien qu'elle soit présentée par certains écrivains de manière négative surtout concernant ses origines sataniques, elle reste dans la conscience des peuples l'exemple de la femme belle, sage, et riche.

Ce personnage mystérieux comme femme et reine est entré dans la plupart des cultures et a inspiré plusieurs hommes de lettres et d'art. Il est connu sous plusieurs noms qui lui ont été attribués dans les différentes cultures et à travers les époques : *La Reine de Midi*, *Belkis*, *Makeda*, *Sheba*. Dans la littérature, ce personnage a la capacité d'accueillir et d'incarner toutes sortes de figures de sagesse, de beauté, de séduction, de richesse et même de révolte guerrière. Il est convoqué dans plusieurs textes. La reine de Saba dans toutes ses réactualisations constitue un archétype et un modèle de comportements, suscitant des pulsions, des imaginaires, et des aspirations chez l'homme de l'époque. Tout cela lui confère l'aspect d'un mythe littéraire d'une dimension intertextuelle.

En quoi l'image de *Belkis*, *Nedjma*, « femme sauvage », de Kateb Yacine, constitue-t-elle une réactualisation de mythe de Saba dans ses différentes figures : belle, puissante, et même fatale dans la société des hommes ? Avant de répondre à cette question il nous faut d'abord nous interroger sur la notion de mythe.

Le mythe : pensée prélogique de l'homme

Les mythes sont vitaux pour l'humanité. Du point de vue de Paul Ricoeur et de Romain Weingarten, le mythe a la grâce de la constitution de la conscience humaine : « *C'est dans les mythes que l'homme exerce la prophétie de sa propre existence* ». ¹ Il est l'élément d'intégration de l'individu à une culture donnée :

¹Paul Ricoeur, *Histoire et vérité*, Paris, Seuil, 1955, p. 130.

A partir des textes primitifs dont l'accès est souvent trop difficile pour un large public, ce sont ces mythes qu'il s'agit de remettre aujourd'hui en pleine lumière, en sorte que chacun puisse revenir y boire et retremper son âme. Dans ce but, chaque thème a été confié à un écrivain contemporain qui en assume la réécriture, donnant lieu de la sorte à un texte où nos racines se donnent à lire dans leur modernité même.²

Le mythe trouve ses origines dans la tradition orale, c'est pourquoi la réécriture, bien qu'elle lui fasse perdre certaines de ses caractéristiques (par des ajouts ou des suppressions), a une très grande importance. Elle permet à toute une communauté de poursuivre le même rêve. Le mythe et la littérature sont inséparables ; car le premier est à l'origine de la seconde, et celle-ci lui assure sa continuité. Cela nous permet de dire que la littérature peut être le véritable conservatoire des mythes, en mettant en jeu l'hypertextualité à travers les différentes réécritures.

Nombreux sont les spécialistes et penseurs qui s'intéressent à la notion du mythe en lui donnant différentes définitions comme Claude Lévi-Strauss, Geneviève Calame Griaule, et Mircea Eliade. Celui-ci est tantôt considéré comme une « histoire vraie », tantôt comme un « récit imaginaire » ; Eliade pense qu'il est difficile de cerner le mythe. Il semble réunir ses caractéristiques dans la définition suivante :

Le mythe raconte une histoire sacrée ; il relate un événement qui a eu lieu dans le temps primordial, le temps fabuleux des commencements ...Il rapporte comment quelque chose a été produit, a commencé à être. Le mythe ne parle que de ce qui est arrivé réellement, de ce qui s'est pleinement manifesté.³

Pour Eliade, le mythe se caractérise par sa forme narrative, c'est un récit puisqu'il raconte ce qui s'est produit, il obéit aux règles de la narration. Il nécessite un cadre, des personnages, et des actions qui

² Romain Weingarten, *Le roman de la table ronde ou le livre de blaise*, Paris, Albin Michel, 1983.

³ Mircea Eliade, *Aspect du mythe*, Paris, Gallimard, 1963.

se déroulent dans un ordre chronologique. Mais le caractère de sacré est aussi un facteur de base pour le mythe. Il relève d'une croyance religieuse qui permet de mettre en scène des êtres surnaturels, possédant des auras sacrées. Le mythe s'explique par son rôle, par le fait qu'il est une tentative d'explication du monde, un effort de connaissance des faits sociaux : il remonte au temps de la création, il cherche le secret des conditions de la création. Dès lors le mythe devient l'ensemble de l'expérience d'un groupe social donné en tant qu'il traduit ses faits et ses comportements dans un temps déterminé de son histoire. Il remplit une fonction socioreligieuse. Georges Méautis résume cette relation entre mythes et croyances sociales en ces quelques mots : « *Dites moi quels sont les mythes d'un peuple et je vous dirai ce qu'il est.* »⁴ Il est tenu pour vrai et récité dans des circonstances bien précises, il est souvent à caractère religieux ou initiatique, ce qui le distingue de la fable et du conte, et de toutes les histoires inventées.

Selon Eliade, les mythes ne sont pas des fabulations purement imaginaires dans la mesure où ils cachent non seulement des « vérités » profondes, mais aussi et surtout dans la mesure où ils sont un essai d'explication du monde. Des écrivains produisent parfois du nouveau à partir de l'ancien dans l'objectif de « poncer » les mythes anciens, de les réécrire et de les réactualiser pour les adapter à de nouvelles époques. C'est la littérature qui les nourrit et leur donnent une chance de vivre et les assure une postérité.

Qu'en est-il pour la figure mythique de la reine de Saba ?

La reine de Saba : no man's land des origines

Le mythe de la reine de Saba, est un mythe pluriculturel dans la mesure où il est raconté dans les livres saints des religions monothéistes. Il est raconté dans sa version biblique, juive (talmudique et torahitique), et coranique. Entre mythe et réalité la reprise de cette histoire dans ces livres dévoile une variété et pose des questions concernant le personnage de *Belkis*. Nous pouvons essayer de dégager des ressemblances, mais aussi des différences

⁴ Georges Meautis, *Le mythe de Prométhée, son histoire et sa signification*, Paris, Neuchâtel, 1919, p. 04.

sur son nom, ses origines, sa discipline, ses comportements et même ses qualités et ses défauts.

Ce mythe a influencé plusieurs écrivains qui reprennent cette histoire, en remontant aux sources, et suivant une version (hypotexte) ; le mythe de la reine de Saba est un mythe littéraire. En s'inscrivant dans cette ligne de textes littéraires, ce mythe a subi des transformations, des ajouts et des suppressions qui dépendent de la source de la version et donc de l'hypotexte privilégié (biblique, coranique ou juif), et même de la société de l'époque. A chaque représentation de ce mythe de la reine de Saba, la littérature l'enrichit et lui assure son originalité.

Dans toutes les versions des textes fondateurs le schéma narratif est simple et les mêmes séquences se répètent : la reine entend parler de Salomon, entreprend un long voyage, découvre l'objet de sa quête, puis intervient une fin qui correspond à une relation avec la divinité : dans la Bible, elle bénit Yahvé, dans le Coran, elle se convertit à Allah.

Mais quelles relations entretiennent le texte religieux et le texte littéraire ?

La littérature lui emprunte quelques aspects : la narration à travers le langage ou des matériaux communs et la représentation symbolique ou la mise en intrigue et en images. Mais bien que le mythe et la littérature appartiennent au domaine de l'imaginaire en tant que distension du réel, la littérature correspond à un espace de création libre ; la dualité oralité/ écriture est inhérente au couple mythe/littérature.

Claude Lévi-Strauss juge la littérature comme une dégradation du mythe⁵. Pour lui, le passage du mythe à la littérature ne peut être que rupture, que désorganisation de celui-ci, car la littérature est née de l'exténuation du mythe. Il est à noter cependant que ce passage n'est pas linéaire, qu'il n'est pas question de successivité mais de complémentarité : le mythe et la littérature sont en symbiose dans un rapport d'intertextualité.

Le passage de l'histoire de la reine de Saba du texte sacré à la littérature, lui a permis d'être réécrite. De ce fait son scénario mythique va subir des changements par l'addition de quelques

⁵Claude Lévi-Strauss, *Du mythe au roman, Mythologiques. L'Origine des manières de table*, Plon, 1968, p.105.

éléments appartenant à l'imaginaire littéraire dans l'intention de compléter sa structure, ou de lui donner une autre vision qui dépend de la société, de l'époque de l'œuvre ou de son auteur. Des amplifications, des variations, de nouveautés interviennent, mais toujours en regard des textes fondateurs.

L'impact de la légende dans la culture occidentale

L'histoire de la reine de Saba, que les Abyssins appellent *Makéda*, devenue dans la tradition musulmane *Belkis*, et chez d'autres comme les traditions juives *Sheba*, est une histoire trimillénaire : elle est liée à une légende qui se perpétue depuis trois mille ans. Elle a fasciné les auteurs, les peintres, les hommes d'arts, et même les historiens et les spécialistes en légendes. D'une manière plus générale, c'est un personnage qui a hanté la littérature, les arts et plus généralement l'imaginaire occidental et oriental depuis l'Antiquité.

Dès le XIX^e siècle, nombreux sont les écrivains occidentaux qui se servent des symboles érotiques attribués à *Belkis* lorsqu'ils manifestent, reconfigurent ce personnage. C'est à travers une figure orgueilleuse et de grande pureté alliée à sa beauté qu'elle apparaît chez Nerval dans *Voyage en orient*⁶. Elle devient nettement plus agressive et diabolique chez Flaubert dans *La tentation de Saint Antoine*⁷, mais elle redevient la figure tout à fait positive de la Bible, quelque peu mystérieuse chez Nodier dans son roman fantastique *La Fée aux miettes*⁸. André Malraux s'est, pour sa part, penché sur le mystère du royaume de la reine de Saba et en 1934 a entrepris à cette fin un voyage au Yémen, où il a écrit son ouvrage *La Reine de Saba : une aventure géographique*⁹. Enfin pour donner un autre visage des secrets de la reine de Saba, en 1989, Michel Butor a écrit une fiction s'inspirant du tableau de Claude Lorrain, *L'embarquement de la reine de Saba*¹⁰.

⁶Gérard de Nerval, *Voyage en Orient*, Paris, Gallimard, 1998.

⁷Gustave Flaubert, *La Tentation de saint Antoine*, Paris, Flammarion, 1967.

⁸Charles Nodier, *La Fée aux miettes*, Paris, Gallimard, 1982.

⁹André Malraux, *La reine de Saba : une « aventure géographique »*. Paris, Gallimard, 1993.

¹⁰Michel Butor, *L'embarquement de la reine de Saba*, d'après le tableau de Claude Lorrain, Paris, La Différence/Tableaux vivants, 1989.

La reine de Saba dans la littérature algérienne d'expression française : Nedjma réinterrogée

La littérature maghrébine d'expression française a sa part de cette réactualisation du mythe de la reine de Saba. Cela se fait soit par des évocations directes soit par des récits symboliques, voire simplement des allusions dans des situations contemporaines.

Le roman de Kateb Yacine, *Nedjma*, (« L'étoile »), peut avoir plusieurs interprétations. Cette belle jeune femme symbolise la nation algérienne pendant la période coloniale. *Nedjma*, femme libre aux quatre amants, ignore son origine et la cherche ; Kateb Yacine témoigne ainsi sur l'Algérie enquête de son identité. Ce récit s'organise autour de quatre personnages amis, Rachid, Mourad, Lakhdar et Mustapha, amoureux de la même femme, Nedjma, mariée à Kamel. Cette femme énigmatique aux origines mystérieuses est fille d'une Française inconnue qui a multiplié les liaisons avec des amants arabes. Par conséquent les origines de *Nedjma* sont incertaines.

Comme femme fascinante, épouse incestueuse, maîtresse inaccessible, le personnage de *Nedjma* hantera toute l'œuvre. Ces traits contradictoires font d'elle « une femme fatale ». Kateb Yacine se réfère à la figure de *Belkis*, reine de Saba après une sorte de croisement avec la *Kahina*, princesse berbère et chrétienne qui a marqué l'histoire du Maghreb par sa résistance à l'invasion arabe et par son pouvoir surnaturel de devineresse à qui l'on attribue un caractère mythique.

Des éléments communs caractérisent les deux personnages (*Nedjma* et la *Kahina*), et se réfèrent aussi à *Belkis* : l'excellence, la résistance, l'envoutement... Les mises en association avec le mythe de la reine de Saba mettent en évidence « la femme sauvage ».

Beauté et fascination

A l'image de *Belkis*, la belle jeune femme mystérieuse qui séduit les hommes à travers le temps, et dont les trois grandes religions du livre ont été témoins, *Nedjma* apparaît avec sa sublime beauté, attirante et fascinante :

L'écrivain, lui, même raconte que le jour où il a vit Nedjma pour la première fois, il ne put se défendre d'un choc au cœur. Il existe des femmes capables d'électriser la rumeur publique. Ce sont des buses, il est vrai, et même des chouettes, dans leur fausse solitude de minuit. Nedjma n'est que le pépin du verger, l'avant-gout du déboire, un parfum de citron¹¹.

Un facteur très important, la beauté, dans ce cas joue un rôle dans la vie des deux figures féminines et surtout dans leurs relations avec les hommes. La lecture de *Nedjma* et la contemplation de ce personnage permettent de comprendre qu'il s'agit d'une *Belkis* présentée dans une autre époque avec sa beauté éternelle, jeune, séduisante et mystérieuse.

La reine de Saba est vue comme une souveraine de grande puissance et de grande beauté ; en parallèle, la beauté exceptionnelle de *Nedjma* fait d'elle un météore, une « étoile filante » ; c'est une souveraine, qui exerce un pouvoir certain sur les hommes qui l'entourent. Mustapha se laisse guider comme les autres protagonistes par une fascination sans bornes pour cette figure féminine. C'est cette beauté qui a fait d'elle l'être désiré comme l'était *Belkis*, reine de Saba, ainsi présentée comme irrésistible par les textes fondateurs, dans leurs interprétations, ou dans toutes ses réécritures littéraires. On peut citer comme exemples *Le Secret de la reine de Saba* de Mohamed Kacimi¹², ou *La Reine de Saba*, de Marek Halter¹³, qui reprennent des caractères déjà présents chez Nerval, ou chez Nodier, chez Flaubert ou chez Grosjean ; le premier caractère et la première remarque faite sur cette reine mystérieuse concernant toujours sa beauté. Ceci a fait d'elle le thème de plusieurs discussions entre hommes, romanciers et poètes. Mais à cette image de beauté s'ajoute la sensualité au fil des siècles et des réécritures.

Image de la sensualité

¹¹Kateb Yacine, *Nedjma*, Paris, Seuil, 1996, p. 84.

¹²Mohamed Kacimi, *Le secret de la reine de Saba*, Paris, Dapper, 2006.

¹³Marek Halter, *La reine de Saba*, Paris, Robert Laffont, 2008.

C'est au Moyen- Age que le mythe de la reine de Saba a dévié vers d'autres thèmes où celui de la sexualité tend à prendre plus d'importance que les autres. Les atouts de la femme et sa dangereuse séduction sont mis en valeur. Loin du récit biblique et coranique, elle vient fixer et concentrer les rêveries érotiques du temps. « *Elle draine désormais les fantasmes que l'époque développe autour du corps et de la séduction féminins, volontiers diabolisés et d'autant plus attirants.* »¹⁴

Flaubert, dans *La Tentation de Saint-Antoine*, décrit le costume de la reine de Saba comme mettant en valeur les atouts de la femme et sa séduction. Le regard de l'auteur décrit le corps féminin, se fixant tour à tour sur les différentes parties du corps de la reine : « *le petit bras rond, les mains chargées de bagues, les ongles, les chaussures, la chevelure, qui rassemblée en cône sur le sommet de sa tête* »¹⁵. La reine manipule les rêves érotiques de l'époque, et Flaubert dira d'elle que c'est l'œuvre de sa vie.

A l'instar de la reine de Saba, la *Nedjma*, de Kateb Yacine est bâtarde, maîtresse et épouse incestueuse, elle associe dans sa personnalité le mal et le bien, le clair et l'obscur. Sa sensualité est trop apparente. Rachid est témoin d'une scène érotique à Nadhor. Il voit *Nedjma* se baigner dans un chaudron qu'elle a placé au soleil ; il guette la scène et dans un processus de fragmentation visuelle, concentre son regard sur certaines parties du corps de *Nedjma* :

Elle parut dans toute sa splendeur, la main gracieusement posée sur le sexe, par l'effet d'une extraordinaire pudeur [...]. Je contemplais les deux aisselles qui sont pour tout l'été noirceur perlée, vain secret de femme, dangereusement découvert. Et les seins de Nedjma, en leur ardente poussée, révolution du corps qui s'aiguise sous le soleil masculin...¹⁶

Les quatre protagonistes se voient pris dans ses rets et c'est bien sa beauté qui en est la cause. *Nedjma* est douée d'une force qui la rend dangereuse pour celui qui l'approche. L'éblouissement

¹⁴ Anne-Marie Pelletier, *Lectures bibliques : aux sources de la culture occidentale*, Paris, Nathan, 1973, p. 192.

¹⁵ Gustave Flaubert, *La Tentation de saint Antoine*. Paris, Flammarion, 1967, p. 63.

¹⁶ Kateb Yacine, *op. cit.*, p. 137-138.

provoqué par la nudité de *Nedjma* n'aboutit à rien d'autre pour Rachid qu'à l'échec et la déception. Son regard est castré par la rencontre avec l'énigme que représente *Nedjma*, ambivalente, hors de portée narcissique. Elle reste un idéal inaccessible. Un tel caractère porte les traces de la femme mythique « *Belkis* » la mystérieuse, qui soumet les hommes et la nature à sa volonté, ce qui lui confère l'aspect d'une magicienne. En effet, elle attire les hommes par sa beauté radieuse, sensuelle, envoutante, orientale pour tout dire. Elle devient l'exemple de la femme fatale. *Nedjma* est elle aussi pleine d'ambiguïté dans sa personnalité, dans ses origines et même dans la naissance.

Nedjma dont les hommes se disputent non seulement l'amour, mais la paternité, comme si sa mère française, dans un oubli sans vergogne, ou pour n'avoir pas à choisir entre quatre mâles, deux par deux, n'avait même pas départagé les deux derniers, ses ravisseurs, la condamnant ainsi à ce destin de fleur irrespirable, menacée jusqu'à la profondeur et la fragilité de ses racines...¹⁷

De même était *Belkis*. Dans presque toutes ses représentations, que ce soit chez Flaubert, ou chez Nodier, chez Nerval, ou même chez Mohamed Kacimi, on s'interroge toujours sur son origine : qui est-elle ? D'où vient-elle ?

D'une pareille nature, *Nedjma* est la « femme fatale » en qui la beauté est associée à la sauvagerie ; le parfum de la vie se métamorphose, sitôt respiré, en odeur de la mort. La séduction présente ici certains traits sataniques à la manière d'une sorcellerie. Ainsi *Belkis* était de même parfois considérée comme maléfique et diabolique dans certaines légendes, de version juive, ainsi que chez Flaubert.

Le mythe de la reine de Saba est donc associé à celui de *Nedjma*, « femme fatale » ou « femme sauvage » ; cette dernière est d'abord belle, sensuelle et envoutante. *Nedjma* est vue par la manière dont elle a été dépeinte par Kateb Yacine comme fascinante, repoussante, sensuelle, « étoile de sang jailli du meurtre » et « une ogresse au sang obscur ».

Femme sauvage entre péché et innocence

¹⁷ *Ibid*, p. 179.

Jacqueline Kelen,¹⁸ présente, quant à elle, la reine de Saba dans toute la force de sa féminité, entre femme-enfant de Grosjean et la femme-mère de Nodier. *Belkis*, cette femme intemporelle, ambivalente, entre le bien et le mal, le péché et l'innocence, peut être une autre figure alliant les quatre images présentées par les quatre auteurs (Flaubert, Nerval, Nodier et Grosjean), qui est celle du personnage énigmatique et complexe de la bâtarde *Nedjma*. Celle-ci est vue comme un être désiré par les quatre protagonistes, cousins gémeaux et amants rivaux qui, pris séparément, sont chacun, comme le note Rachid : « *un morceau de jarre cassée, insignifiante, ruine d'une architecture millénaire* »¹⁹, et qui détiennent chacun une partie de la vérité de la femme chimérique.

C'est une figure composite, et une image brisée, qui laisse percevoir un imaginaire masculin de la femme ambivalente. De son aspect physique, Kateb Yacine ne cite que sa chevelure fauve, reprise plusieurs fois et qui apparaît davantage comme un trait caractéristique de la beauté du personnage de *Nedjma*. Cependant les autres qualifications qui la définissent sont le plus souvent métaphoriques, superlatives, et en évitant une description concrète, évoquent un être caractérisé par une aura « poético-érotique ».

Dès sa première apparition, Nedjma nue dans sa robe, manifeste une image érotique. Dans une autre scène se dessine sa sensualité, alors qu'elle est tout enfant, et c'est ainsi que :

Brusque, câline et rare Nedjma ! Elle nage seule, rêve et lit dans les coins obscurs, amazone de débarras, vierge en retraite, Cendrillon au soulier brodé de fil de fer, le regard s'enrichit de secrètes nuances ; jeux d'enfants, dessin et mouvement des sourcils, répertoire de pleureuse, d'almée ou de gamine ? Epargnée par les fièvres, Nedjma se développe rapidement comme toute Méditerranéenne ; le climat matin répand sur sa peau un hâle, combiné à un teint sombre, brillant de reflets d'aciers, éblouissant comme un habit mordoré la gorge a des blancheurs de fonderie, où

¹⁸Jacqueline Kelen, *Les Reines noires*, Paris, Albin Michel, p.175-177, 167-170, 215-218.

¹⁹Kateb Yacine, *op. cit.*, p. 176.

le soleil martèle jusqu'au cœur, et le sang, sous les joues duveteuses, parle vite et fort, trahissant les énigmes du regard.²⁰

Ce passage montre l'association du charme naturel de la femme sauvage *Nedjma*, avec le pouvoir mystérieux du conte merveilleux. Ceci amène à dire que la fillette annonce la femme future composite et intemporelle, caractère identique à celui de *Belkis* chez Nodier.

La scène où l'on voit *Nedjma* surgir du chaudron, où elle prend son bain innocente et nue, est-elle un sommet qui porte au sublime la rêverie érotique impulsée dès la première apparition sur la scène de la « femme fatale » ? Cette scène montre l'ambiguïté d'une figure perverse, pleine de mal (à l'image de *Belkis* dans l'œuvre de Flaubert), mais aussi innocente, candide (à l'image de *Belkis* dans l'œuvre de Nerval), et qui fait de la femme un objet d'avidité à la fois offert et interdit.

La scène du chaudron, placé sous le figuier primordial, arbre biblique qui offrit ses feuilles au premier geste de pudeur d'Eve, donne à *Nedjma* la figure de la Vierge absolue. En sortant du chaudron, lavée de tous ses péchés, le regard de Rachid dévoile non pas l'impur, mais l'innocence. Mais cette femme n'est pas seulement belle et sensuelle ; elle est aussi intelligente !

L'art de l'argumentation

Le mythe de *Belkis* souligne que celle-ci est reconnue par sa vivacité d'esprit. Souveraine du sud, venue éprouver la sagesse du roi Salomon avec des questions difficiles auxquelles Salomon donne des réponses plus que satisfaisantes (version biblique). Pour d'autres réponses elle ne s'est d'ailleurs exprimée qu'après avoir demandé conseil à ses propres ministres à la demande de Salomon (version coranique). Toutes les interprétations qui suivent les deux versions ont remarqué sa sagesse. Dans toutes ses représentations littéraires, elle est la figure féminine la plus sage, et même dans certaines histoires, elle est plus sage que Salomon lui-même. Elle jouit d'un art hors pair dans le maniement de la parole pour convaincre ses interlocuteurs. C'est l'une des caractéristiques qui a fait d'elle une figure mythique.

²⁰*Ibid*, p. 78-79.

Associée à l'image de l'Algérie, *Nedjma* semble avoir la personnalité de *Belkis*. Tous les traits, les caractères et comportements de *Nedjma* témoignent non seulement de la complexité d'une personnalité, mais aussi des arguments et des preuves qui renforcent l'attitude et le statut de cette figure.

Les deux figures (*Nedjma* et *Belkis*), partagent les mêmes caractères lorsqu'il s'agit de l'avenir ou du bien de leur tribu. Pour sa part *Nedjma*, bien qu'elle soit une femme libérée, évoluée, est aussi la femme voilée, empreinte de traditions, superstitieuse et fidèle au culte rendu aux ancêtres. On constate le même comportement chez *Belkis* que ce soit dans les textes fondateurs ou dans d'autres représentations : c'est une femme qui par sa sagesse et son pouvoir accepte de mettre le bien de son peuple au premier rang à la place de son orgueil et ses sentiments. Elle accomplit son devoir sans hésitation.

Conclusion

La réécriture est un procédé utile à l'écrivain, non seulement pour former son style et affirmer sa singularité, mais elle lui permet aussi de réactualiser des éléments essentiels à la culture d'une civilisation. C'est pourquoi la plupart des personnages chez les écrivains subissent une sorte de mythification, qui a pour but de solidifier la dignité du peuple en enrichissant sa mémoire collective. Le mythe de la reine de Saba, *Belkis*, figure mystérieuse, rencontrée dans les trois versions religieuses, est devenu un élément de la culture universelle, qui s'est énormément transformée. Puisque la réécriture ne s'affiche pas comme telle, elle ne figure pas sous son nom « *Belkis* » dans toute la littérature du XX^e siècle, alors qu'on la trouve au XIX^e siècle chez Nodier, Nerval, ou Flaubert. Par son appartenance au monde oriental, elle fascine les écrivains. Cette fascination s'accroît au XIX^e siècle avec la mode de l'Orient et la révolution sexuelle, qui tendent à donner à cette héroïne un caractère ambigu, plus violent, plus érotique également ; mais ceci lui a permis d'avoir des interprétations contradictoires.

Nous pensons que l'image de *Nedjma* de Kateb Yacine, comme femme inaccessible, femme fatale est similaire au mythe de *Belkis* reine de Saba. Cette femme sauvage de Kateb Yacine peut être

l'héritière de *Belkis* ; en effet, il n'est pas impossible de former l'hypothèse que le mythe de la reine de Saba a pu aboutir chez les écrivains comme Kateb Yacine ou Mohamed Khair-Eddine au personnage de « la femme sauvage » dont parlent Jacqueline Arnaud²¹ ou Charles Bonn²²

En ayant ainsi analysé les rapprochements existants entre *Belkis* reine de Saba, et *Nedjma* femme sauvage de Kateb, des interrogations s'imposent : si *Nedjma* est une réécriture de la reine de Saba, Kateb Yacine est-il influencé par le récit biblique ou coranique, ou bien par les autres réécritures littéraires ?

BIBLIOGRAPHIE

- ARNAUD Jacqueline *La littérature maghrébine de langue française. Le Cas de Kateb Yacine*, Paris, Publisud, « Espaces méditerranéens », 1986.
- BONN Charles, *Kateb Yacine, Nedjma*, Paris, PUF, « Espaces littéraires » 1990.
- BRUNEL Pierre, *Dictionnaire des mythes littéraires*, Ed. Le Rocher, 1988.
- ELIADE Mircea, *Aspect du mythe*, Paris, Gallimard, 1963.
- FLAUBERT Gustave, *La tentation de Saint-Antoine*, Paris, Gallimard, 1951.
- HALTER Marek, *La reine de Saba*, Paris, Robert Laffont, 2008.
- HUSTON John, *La Bible*, 1967.
- KACIMI Mohamed *Le secret de la reine de Saba*, Paris, Dapper, 2006.
- MEAUTIS Georges, *Le mythe de Prométhée, son histoire et sa signification*, Paris, Neuchâtel, 1919.
- PELLETTER Anne-Marie, *Lectures bibliques : aux sources de la culture occidentale*, Paris, Nathan, 1973.
- RICOEUR Paul, *Histoire et vérité*, Paris, Seuil, 1955.
- WEINGARTEN Romain, *Le roman de la table ronde ou le livre de blaise*, Paris, édition Albin Michel, 1983.
- YACINE Kateb, *Nedjma*, Paris, Seuil, 1996.

²¹ Jacqueline Arnaud, *La littérature maghrébine de langue française. Le Cas de Kateb Yacine*, Paris, Publi sud, « Espaces méditerranéens », 1986.

²² Charles Bonn, *Kateb Yacine, Nedjma*, Paris, PUF, « Espaces littéraires » 1990



L'emploi abusif de certains connecteurs causaux dans les productions écrites des lycéens : une approche quatito-qualitative

Khedidja Salim

Maitre assistant classe B
centre universitaire de Mila
B.P N°26 . Mila 43000, Algérie
chamsousalim@gmail.com

Résumé

le présent travail présente une analyse quantitative descriptive des marqueurs de la relation causale les plus répandus dans les productions écrites des élèves du lycée pour pouvoir répondre à la question centrale de notre recherche celle de justifier pourquoi les apprenants optent pour quelques marqueurs de cause seulement .

Dans cette étude, nous allons récolter tous les liens de la relation de cause au niveau textuel .Ensuite, répartir les marqueurs inventoriés selon leurs appartenances à des catégories par exemple : catégorie des verbes causatifs, des connecteurs, des conjonctions etc. Enfin, tester la fréquence des marqueurs abusifs inventoriés en suivant une méthode d'analyse à la fois quantitative et qualitative.

Mots clés -

la cause, lycéens, marqueurs, liens, relation, fréquence.

The abusive use of certain causal connectors in written productions of high school students: a quatito-qualitative approach

Abstract

The present work presents a descriptive quantitative analysis of the most common causal markers in the written outputs of high school students in order to answer the central question of our research that of justifying why learners opt for only a few markers of cause.

In this study, we will collect all the links of the relation of cause to the textual level. Then, distribute the inventoried markers according to

their belonging to categories for example: category of causative verbs, connectors, conjunctions etc. Finally, test the frequency of abnormal markers inventoried using a method of analysis both quantitative and qualitative.

Key words:

Cause, high school students, markers, links, relationship, frequency.

1-Introduction

Cet article se propose d'aborder la question d'une relation logique sans laquelle le savoir humain n'aura aucun résultat, aucune cohérence et aucune logique. En effet, cette relation est toujours omniprésente dans nos propos, nos pensées et nos écrits et cela exprime la valeur cruciale de cette relation logique dans le sens commun. Nous cherchons sans cesse des réponses à la question pourquoi, nous voulons toujours trouver des explications. En bref, nous sommes toujours à la recherche des causes. Pour convaincre l'autre, pour expliquer, pour justifier, il faut chercher des causes « *Pour certains, la cause existe dans le monde indépendamment de toute observation, alors que pour d'autres, elle n'est que le fruit d'une tendance de l'esprit humain à analyser tout ce qu'il observe en termes de causes et d'effets* » **P.Dague D. Kayer, F.Lévy, 2004** . Ainsi, un chercheur qui est en devoir de partager son savoir et les résultats de sa recherche devra justifier avant de conclure.

Les études sur la causalité sont nombreuses mais ne s'intéressent qu'à montrer les valeurs sémantiques et les conditions d'emploi de certains connecteurs prototypique de la cause comme les travaux de (Grymel 93), (Nazarenko 94), alors que d'autres essayent de décrire la signification de certains liens causaux (Garcia 98).

« *La notion de causalité a fait l'objet de plusieurs études linguistiques réalisées, pour certaines uniquement dans une visée théorique de connaissance de la langue* » **Jackiewicz A, 1999** . Nous devons aussi mettre en exergue le travail de **Adeline Nazarenko, 2000** sur tous les moyens dont la langue dispose pour exprimer un lien causal (linguistiques et conceptuels). « *L'ouvrage de A. Nazarenko, La cause et son expression en français, constitue une étude assez complète de la cause.* » **Tolosa Igualada et Asma Mejri, 2011**

Dans le cadre de notre article, nous avons choisi le texte produit par les lycéens de l'école algérienne qui représente un terrain fertile des expressions de la relation causale. En effet, le lycée constitue le

lieu privilégié pour examiner la compétence ou l'incompétence des apprenants en production écrite de l'emploi correcte des marqueurs de la relation causale.

En nous basant sur des analyses tantôt quantitatives tantôt qualitatives des liens causaux dans les productions écrites des élèves de la classe terminale du lycée, nous allons examiner la problématique de l'emploi abusif de certains marqueurs de la relation causale, notre étude s'intéresse d'abord de tester la fréquence de marqueurs causaux les plus fréquents dans les écrits des lycéens par la suite, nous nous penchons dans le domaine de la description des résultats obtenus en mettant l'accent sur les liens causaux communs et prépondérants dans les écrits des lycéens autrement dit une méthode d'analyse qualitative.

Nous tenterons de répondre aux questions suivantes :

Ya-t-il un type spécifique des marqueurs causaux employé par les lycéens pour expliquer, justifier et argumenter ?

A quel point les lycéens maîtrisent et appliquent les règles et les techniques rédactionnelles ?

Pourquoi les lycéens excluent dans leurs productions écrites plusieurs marqueurs de la relation causale ?

Ce sont quelques questions dont nous tâcherons d'y répondre dans le cadre de cette étude.

En effet, nous avons suggéré trois hypothèses fondamentales. Elles se résument comme suit :

- Les apprenants optent pour quelques marqueurs prototypiques seulement de la relation causale sous prétexte qu'ils ne savent pas les particularités des autres liens causaux.

- l'emploi abusif de certains marqueurs causaux est dû à la pauvreté lexicale de la part des apprenants.

- les apprenants n'utilisent que les marqueurs qu'ils ont l'habitude de leur utiliser à l'oral

Afin de confirmer ou infirmer nos hypothèses, nous avons procédé à la mise en pratique d'une méthodologie d'analyse quantitative et qualitative visant à étudier le raisonnement causal -qui s'appuie sur les causes d'un fait en vue d'en tirer des conséquences – des apprenants pendant la rédaction des productions écrites.

2- Matériel et méthodes

A- Choix du corpus

Nous avons choisi des textes produits par des élèves de terminal de deux filières différentes du lycée Ali Djaafar de Tadjanet : la filière langues étrangères et celle des sciences expérimentales.

B- Matériel expérimental

Notre analyse était limitée uniquement aux marqueurs de la relation causale au niveau textuel c'est pourquoi nous avons choisi de proposer des sujets de production écrite à visée argumentative aux élèves de chaque filière dont l'objectif sera comme nous l'avons montré au début de tester la fréquence des moyens servant à exprimer un lien causal.

C- Méthodologie du travail

Pour traiter notre problématique, nous avons effectué des études auprès des lycées de la ville de Tadjenat .

Ainsi, nous allons mettre l'accent sur les productions écrites des apprenants de la classe terminale de la branche des langues étrangères et aussi la filière des sciences expérimentales. En premier lieu, nous allons étudier le raisonnement causatif des lycéens, en d'autres termes, récolter tous les moyens utilisés par les élèves servant à exprimer une relation causale. En second lieu, nous répartirons les marqueurs inventoriés à partir d'un inventaire en précisant leur nombre des occurrences. En dernier lieu, nous passerons à l'interprétation des résultats obtenus dont les tâches seront diversifiées c'est-à-dire nous allons commencer par l'analyse et la description des erreurs commises par les apprenants dans ce sens l'étude des impropriétés pour pouvoir ensuite expliquer pourquoi les élèves optent pour tel choix.

En bref, cette technique nous semble très intéressante dans la mesure où les résultats obtenus permettront d'évaluer la maîtrise ou la non maîtrise des techniques rédactionnelles des élèves du lycée.

3- Inventaire des marqueurs causaux

Avant de parler du choix des expressions servant à exprimer un lien causal par les lycéens, il faut tout d'abord, préciser que les élèves au lycée ont trois projets d'étude qui correspondent à trois types de textes : le type expositif, argumentatif et narratif. Ainsi, pour que notre corpus soit riche et diversifié, nous avons sélectionné dix échantillons d'expressions écrites des élèves de chaque filière dans chaque projet d'étude c'est-à-dire trente productions écrites pour la filière des langues étrangères et trente pour la filière des sciences expérimentales.

A ce titre, pour que notre analyse soit crédible et objective nous avons fait une enquête sur la relation causale au niveau textuel dans les productions écrites des élèves en vue de montrer que cette dernière ne se limite pas aux connecteurs logiques ou à des conjonctions de subordination comme car et parce que mais elle est souvent

omniprésente dans les textes entre autres relations logiques telles que la conséquence à titre d'exemple « *il arrive que l'information causale soit omniprésente dans des textes qui ne comportent pourtant que très peu de marques spécifiquement causale. C'est que la cause s'exprime souvent d'une manière implicite et détournée* » **Adeline Nazarenko, 2000** En plus, le lexique verbal causatif joue un rôle crucial pour l'expression de la causalité, on peut citer par exemple les verbes : entraîner, provoquer et causer. En effet, notre enquête a permis de faire une grande liste des marqueurs de la relation de cause mais ce qui nous intéresse est le nombre des marqueurs inventoriés c'est-à-dire leurs occurrences dans le discours.

3-1 Analyse quantitative des marqueurs inventoriés

Notre tâche consiste à récolter tous les moyens qui servent à exprimer une relation causale notamment ceux qui se manifestent souvent dans les écrits des lycéens. Ainsi, nous avons réparti les résultats comme suivant :

A- Car

Le marqueur de la relation causale	La branche d'étude	Le nombre des textes / 30	Nombre des occurrences
Car	Langues étrangères	30	117
Car	Sciences expérimentales	28	123

B- Parce que

Le marqueur de la relation causale	La branche d'étude	Le nombre des textes / 30	Nombre des occurrences
Parce que	Langues étrangères	20	56
Parce que	Sciences expérimentales	24	64

C- Les autres marqueurs

Le marqueur de la relation causale	La branche d'étude	Taux de présence dans les textes
Le lexique causatif : verbes, substantifs, adverbes, adjectif	Langues étrangères	2.44 %
	Sciences expérimentales	3.16 %
Les connecteurs causaux : puisque, à cause de etc.	Langues étrangères	5.41 %
	Sciences expérimentales	7.13 %

On peut remarquer que les lycéens dans les deux échantillons de notre corpus n'optent que pour deux marqueurs de la relation causale : Car et parce que .En effet, **Car** est en première place avec une fréquence de 117 utilisations pour la filière des langues étrangères, ce lien causal est employé dans 30 textes parmi 30 production. En outre, ce même connecteur est très utilisé par les lycéens aussi dans la branche des sciences expérimentales avec une fréquence de 123 utilisations dans 28 textes sur 30.

Ce même tableau montre aussi qu'après **car**, les lycées ont privilégié **parce que** et ils l'ont utilisé 56 fois dans 20 productions sur 30 pour la filière des langues étrangères et 64 fois dans 24 productions sur 30 pour la branche des scientifiques.

3-2 analyse qualitative : justesse d'emploi des liens causaux

Avant de justifier la fréquence très élevée de certains marqueurs, nous devons d'emblée, tester la justesse de leur usage dans les productions écrites. Alors, allons constater les phrases suivantes :

1- On ne peut pas dire la vérité au malade **parce qu'**elle lui provoque l'angoisse et la tristesse

2- **Parce que** la mort menace l'homme, on ne doit pas lui dire la vérité.

3- La vérité est très importante **Car** elle rend l'homme très à l'aise

Dans la première phrase, l'élève a utilisé la conjonction de subordination **Parce que** au lieu d'utiliser car. En effet, cela est dû à

la non maîtrise des règles de la grammaire . Quant au deuxième exemple, l'élève a aussi commis une erreur quand il a utilisé **parce que** au lieu d'utiliser **puisque** par exemple ; il faut souligner de ce fait que cet élève n'utilise dans sa production que le marqueur causal **parce que** . Enfin, en ce qui concerne le dernier exemple, on a pu constater que l'apprenant a considéré car et parce que comme égaux et substituables.

En bref, dans leurs productions, les élèves ont fait plusieurs fautes notamment celles qui ont une relation avec l'usage des marqueurs causaux pendant la justification, l'explication ou l'argumentation.

Ces résultats montrent que les élèves distinguent la relation causale des autres relations logiques quoi qu'ils ne savent pas comment utiliser à bon escient les marqueurs qui servent à l'exprimer autrement dit pour eux, tous les liens causaux sont égaux. *« Il est temps maintenant de proposer un modèle sémantique et pragmatique général de la causalité. Nous voudrions un modèle capable à la fois de donner des structures sémantiques pour les constructions linguistiques de la causalité (lexique, syntaxe) et pour les constructions discursives (avec ou sans connecteur). » Jacques Moeschler, 2010*

Nos résultats ont permis de remarquer aussi que les élèves dans leurs écrits n'utilisent pas les autres marqueurs de la relation causale comme : sous prétexte que , vu que , les verbes causatifs etc.

Tableau récapitulatif

	Respect de l'usage des marqueurs (%)	Non respect de l'usage des marqueurs (%)
Langues étrangères	82.23%	17.77%
Sciences expérimentales	91%	9%

4-Résultats et discussion

Les résultats obtenus après la récolte des marqueurs de la relation causale prépondérants dans les écrits des lycéens montrent que les apprenants, d'un point de vue quantitatif n'utilisent que deux

marqueurs : car et parce que. Nous avons pu constater aussi que ces apprenants ont mis plusieurs autres connecteurs de cette même relation à l'écart. Ceci se justifie par leur facilité d'emploi d'une part et par la pauvreté lexicale des apprenants d'une autre part.

Quant à la justesse de l'emploi de ces marqueurs, il ressort de notre analyse, un usage notamment erroné et pauvre c'est-à-dire pour les apprenants, tous les marqueurs de la relation de cause sont égaux.

D'un point de vue qualitatif, il nous semble que les apprenants ont opté pour les marqueurs causatifs *parce que* et Car pour trois raisons différentes :

La première est que *Parce que* est un marqueur causal par excellence « *parce que* surprend par sa grande souplesse d'emplois, tant causaux qu'inférentiels. L'explication de ce phénomène passe par son instruction causale forte, qui oblige à ordonner causalement et temporellement les éventualités. Sur ce point, les lectures inférentielles (avec inversion des énoncés et ordre temporel canonique) relèvent d'une accommodation pragmatique et ne sont pas d'exceptions à la logique ou à des normes linguistiques, mais des usages particuliers permettant de combler des manques dans le lexique » **J. MOESCHLER, 2007**

La deuxième raison est que le causatif *car* est un marqueur d'actes de parole qui sert à réaliser un nouvel acte de parole à la différence de parce que qui ne réalise qu'un seul acte :

P1.....→Car.....→P2 la proposition P2 fait partie d'une énonciation différente de celle de la proposition P1

La dernière raison est que les apprenants souffrent d'une pauvreté lexicale qui rend leurs écrits très pauvre et incohérents.

5-Conclusion

Qui étudie la relation causale dans les écrits des lycéens est souvent frappé par le contraste entre la rareté des marqueurs de cette relation logique et l'omniprésence des informations causales dénuées de leurs valeurs d'explication, de justification et notamment d'argumentation.

En effet, l'emploi abusif de certains marqueurs de cette relation logique ne montre pas qu'ils jouent un rôle extrêmement différent des autres marqueurs dans le discours mais au contraire cet emploi est justifié par la pauvreté lexicale de la part des apprenants et notamment l'inconscience des règles de la cohérence textuelle. « *Il nous est*

apparu qu'une part importante des erreurs sanctionnées dans les textes d'étudiants ne relevaient pas de la grammaire au sens classique » **M.Berguelin. J, Denervaud M et Jeperson,1990**

A cet effet, pour que les lycéens utilisent à bon escient les marqueurs causatifs afin d'assurer une application correcte des règles de la cohérence textuelle d'une part et un usage réfléchi des outils servant à exprimer la cause, nous suggérons un enseignement des marqueurs de l'information causale qui est toujours omniprésente dans nos propos, nos explications et surtout nos écrits.

Ainsi, il faudra donc amener les apprenants à savoir que le marqueur car est différent du causatif parce que et que le marqueur consécutif donc sert aussi à exprimer une relation de cause à effet et non seulement donc, même le lexique verbal causatif joue un rôle primordial pour l'expression de la causalité.

Références Bibliographiques

Adeline Nazarenko,2000-*La cause et son expression en français, L'essentiel* Français. Gap. Ophrys.

J. MOESCHLER,2007-« *Discours causal, chaîne causale et argumentation* » Cahiers Chronos 18

Jackiewicz A,1999- « *Causalité et prise en charge énonciative* », in *Etudes Cognitives*, n°3 Varsovie, Académie Polonaise des Sciences, Pologne.

Jacques Moeschler,2010 « *l'expression de la causalité en français* », Académie Polonaise des Sciences, Genève.

M.Berguelin. J, Denervaud M et Jeperson,1990-« *Ecrire en français, cohésion textuelle et apprentissage de l'expression écrite* ».

Miguel Tolosa Igualada et Asma Mejri ,2011- « *comptes rendus*», in *Synergies Tunisie* n° 03.

P.Dague D. Kayer,F.Lévy,2004-« *Le raisonnement causal* » in *Intellectica* n°38 .



La Poésie en classe du FLE au secondaire algérien : lire pour mieux écrire

(Cas des élèves de 1^{ère} année secondaire)

Farid Ahnani

Doctorant : Université kasdi Merbah - Ouargla

fdidacticien@gmail.com

Ouled Ali Zineb

Mâtre de Conférences A. université de Ghardaïa

faculté des lettres et langues -

Laboratoire Le FEU

Université Kasdi Merbah – Ouargla

L'apprentissage d'une langue étrangère en Algérie, et particulièrement de la langue française, représente un défi réel pour les élèves du secondaire. Nous avons voulu éprouver l'hypothèse que la poésie contribue à l'apprentissage du FLE. De diverses recherches ont été effectuées autour du texte littéraire, notamment de la poésie pour prouver l'efficacité de cette dernière dans l'acte de l'apprentissage du FLE. Dans le domaine de la didactique des langues étrangères, la poésie a toujours été un facteur enrichissant, vu la particularité du texte poétique (rimes, intonation, rythme, vocabulaire, structures ...). Dans cet article, nous tentons de montrer d'autres modes d'emploi du poème qui favorisent l'apprentissage de la lecture / écriture en classe du FLE, et nous prendrons comme échantillon les élèves de 1^{ière} année secondaire.

Mots-clés : poésie, apprentissage, enseignement, motivation, lecture, écriture

الملخص

تعلم لغة أجنبية في الجزائر، وخاصة اللغة الفرنسية يشكل تحديا لطلاب المدارس الثانوية. أردنا اختبار فرضية أن الشعر يساهم في التعلم من ELF. فقد تم إجراء أبحاث مختلفة حول النص الأدبي، وخاصة الشعر لإثبات فعالية هذا الأخير في فعل التعلم ELF. في مجال تعليم اللغات الأجنبية، وكان الشعر دائما عاملا مثيرا، نظرا لخصوصية النص الشعري (القوافي، والتجويد، والإيقاع، والمفردات، والهيكل ...). في هذه المقالة نحاول أن تظهر قصيدة أخرى من كتيبات التعليمات من أجل تعلم القراءة القيمة / الكتابة .

Poetry in class of French foreign language in algerian secondary: read to write better (case of students of 1st year secondary)

Abstract (Anglais)

Learning a foreign language in Algeria, especially the French language, is a real challenge for secondary school students. We wanted to test the hypothesis that poetry contributes to the learning of FLE. Various research has been carried out around the literary text, especially poetry to prove the effectiveness of the latter in the act of learning the FLE. In the field of foreign language didactics, poetry has always been an enriching factor, given the peculiarity of the poetic text (rhymes, intonation, rhythm, vocabulary, structures ...). In this article, we try to show other ways of using the poem in order to enhance the learning of reading / writing

Keywords:

foreign language - poetic - reading - writing- poem - learning –
Motivation

Introduction

Beaucoup de débats et travaux de recherche sur l'enseignement des langues, en général, et celui du F.L.E, et surtout en Algérie, sont les empreints d'un discours pessimistes ; et à partir d'un diagnostic inquiétant, les spécialistes du domaine tirent la sonnette d'alarme. Dans cette perspective et pour contribuer à faire disparaître ce discours pessimiste, nous souhaitons participer, à travers cette recherche, à vérifier l'efficacité de certains éléments et activités pouvant avoir un effet améliorant sur les apprenants ; et jusqu'à quel degré cela aura un impact positif sur leur rendement.

Etant donné que la maîtrise de la langue est un des objectifs prioritaires de l'école, il est nécessaire de varier les approches et les supports pédagogiques. On peut donc envisager la poésie comme un support didactique possible.

De nombreuses études ont prouvé l'importance de la poésie pour l'élève. Suite à des discussions avec des enseignants, nous nous sommes rendu compte qu'il y a des apprentissages à mener dans cette discipline et des compétences linguistiques à édifier. De ce fait, nous nous sommes alors interrogés. Quelles pouvaient être les raisons de ce manque d'intérêt. La poésie est-elle victime d'idées reçues qui la ramènerait uniquement au « *calvaire* » de la récitation ? Son exploitation dans la classe ne serait-elle aussi, sinon plus rentable que les autres supports didactiques ? Pourrait-on l'exploiter pour motiver l'apprenant et susciter son imagination et donc sa créativité ?

La poésie au lycée

L'enseignement de la poésie, par le biais de la lecture débouchera sur la découverte et la prise de conscience de la distinction entre signifiant et signifié voire l'apprentissage de la lecture à haute voix et la sensibilisation à l'oralité. A cet effet R. Gloton affirme que :« *Ne pas faire une place excessive à la lecture à haute voix et surtout de ne jamais en faire un simple exercice de déchiffre mécanique, se limitant à (la traduction par la parole de signes ou de combinaisons des signes). Il faut s'assurer que l'enfant recherche un sens à ce qu'il déchiffre, contrôler la compréhension* ».¹

D'autre part, l'enseignement de la poésie, par le biais de la lecture et de l'écriture, amènera l'apprenant à l'acceptation de l'altérité, c'est-à-dire de la diversité des langues, la transmission de valeurs personnelles et universelles, l'accès aux plaisirs de l'imagination, l'amélioration de la maîtrise de la langue, la découverte et la pratique d'un certain nombre de figures de style. Selon le groupe de recherche d'Ecouen, la pratique de la poésie engage : « *un processus dynamique très personnel qui à travers l'interaction langage/imaginaire, à travers l'interaction des personnalités d'un groupe classe, structure, pour chacun, sa relation au monde, aux autres et à soi-même.* »²

¹ R. Gloton, La dissertation au certificat d'aptitude pédagogique et au brevet supérieur, éd. Armand Colin, 1968. P.67

² Groupe de recherche d'Ecouen, Former des enfants lecteurs et producteurs de poèmes, Hachette Education, 1992. p. 13.

Par ailleurs, lire et écrire des textes poétiques crée l'égalité entre les apprenants en langue étrangère et stimule leur estime de soi. Chaque élève a le droit de s'exprimer sans se faire juger ni évaluer. Toute voix peut se faire entendre, toute expression et toute expérience a sa valeur. Chaque élève peut réussir. La poésie, en stimulant une meilleure compréhension de ses sentiments, de ses expériences, de ses besoins et de ceux des autres, favorise une meilleure connaissance de soi, ce qui est particulièrement important à l'intermédiaire.

Dans cette perspective, F. Marchand, affirme que : « *Enfin, les jeux proprement stylistiques paraissent aussi très directement accessibles à l'enfant, peut-être de manière plus évidente encore lorsque s'articulent lecture et production de textes poétiques : l'image, la métaphore, découvertes à cette occasion, sont un moyen d'expérimenter la puissance poétique du langage et, à travers quelques-unes de ses thématiques, la richesse de l'imaginaire.* »³

Le texte poétique au secondaire algérien (cas de 1^{ère} année)

En 2003, le ministère de l'Education nationale a opéré une réforme du système éducatif. Une réforme qui a eu pour conséquence la révision des programmes d'enseignement de tous les paliers et, par ricochet, la « *confection* » de nouveaux manuels. Cette réforme se base sur l'approche par compétences. La compétence est définie comme : « *un ensemble de savoirs, de savoir-faire et de savoir être acquis par les apprenants et que ces derniers devraient être*

³F. Marchand, *Premier concours interne de professeur des écoles*, Vuibert, Paris, 1997, p.135.

capables de mobiliser dans des situations scolaires et non scolaires »⁴. Le tableau synoptique montre la progression sur l'année, il est toutefois à noter que le fait poétique ne fera pas l'objet d'un enseignement/apprentissage ramassé (*une période déterminée de l'année scolaire*), mais d'un enseignement distribué, *à priori*, d'une page poétique pour chaque séquence.

Selon le manuel scolaire, le « *fait poétique* » ne constitue pas un objectif de maîtrise mais un objectif d'enrichissement, outre la fonction esthétique de ce type de messages à laquelle il faudra sensibiliser les élèves, de ce fait, les différents supports (chansons, dictons, poèmes, images, B.D.) peuvent servir à de nombreuses activités.

Les thèmes proposés en 1^{ière} année, aideront l'apprenant à se situer dans son environnement, à appréhender l'« ailleurs », à structurer les notions d'espace et de temps.

Analyse du manuel de la (1^{ière} année secondaire)

A la lecture du tableau synoptique ci-dessous, on constate que :

- Les poèmes sont choisis en fonction des thèmes des séquences.
- Ils sont abordables vu que l'objectif n'est pas d'étudier le fait poétique, mais d'accéder aux sens par rapport aux thèmes des séquences.
- Le poème n'est pas présent dans toutes les séquences, même s'il est demandé de traiter un dans chaque séquence.

⁴Document d'accompagnement des programmes (1^{er}AS), éd. OPNS, Alger, 2005, p.29.

- Aucune place n'est accordée aux poètes algériens d'expression française par opposition à leurs homologues français.

TABLEAU SYNOPTIQUE

Pratiques discursives et intentions communicatives	Objets d'étude	Notions clés	Techniques d'expression	Thématiques
<u>1- Les discours</u> 1-Exposer pour donner des informations sur divers sujets 2- Dialoguer pour se faire connaître et connaître l'autre 3- Argumenter pour défendre ou réfuter un point de vue	Les textes de vulgarisation scientifique. Interview, entretien (radiophonique et dans la presse écrite) La lettre ouverte Le fait divers La nouvelle	- La référence situationnelle - Langue écrite / langue orale - La description objective - Les niveaux de langue - La notion d'acte de parole - Les types de plan - La communication différée - La référence situationnelle / la référence contextuelle - La logique des actions dans le récit -Le schéma narratif - Les possibles	Le plan La prise de notes L'exposé oral. Le résumé La lettre personnelle et la lettre administrative Le C.V. La fiche de	I- Langues (orales, écrites) et images II- L'homme et son environnement Univers urbain et rural. Les loisirs : voyages, sports, évasions, défis... Les transports Les métiers

<u>II- La relation d'événements</u> 1- Relater un événement en relation avec son vécu 2 – Relater un événement fictif (re-présenter)		narratifs - La description subjective - Les forces agissantes dans un récit (les actants)	lecture	
<u>III- Exprimer son individualité</u> -le fait poétique N.B : l'étude du fait poétique s'étalera sur toute l'année.	Poèmes et chansons Textes et images	-La connotation -Les figures de style (métaphore, métonymie) -La personnification -La polysémie -Les isotopies sonores (allitérations et assonances) -Notions élémentaires de versification (strophe, vers, rime, refrain)		

Source : 1- Document d'accompagnement des programmes 1^oAS, éd. OPNS, Alger, 2005, p. 37.

Recensement des textes poétiques

Nous avons remarqué que les textes poétiques à étudier sont répartis tout au long des séquences durant l'année. En effet, les poèmes intercalent le manuel d'une manière régulière et équilibrée. Ces poèmes sont choisis en fonction des thématiques des séquences. Pour plus de précision, nous présentons les intitulés des textes en question, leurs auteurs, ainsi que les thèmes traités dans ces poèmes :

Titres des poèmes	Auteurs	Forme	Nombre de vers	Thèmes traités	Page	Edition
1- Dans ma maison	Jacques Prévert	Irrégulier	47	Jeu de mots (homme et animal)	23-24	Gallimard
2- Je voyage bien peu	J. Cocteau	régulier	16	La description de villes visitées	55	Stock 1923
3- Les deux pigeons	J. La Fontaine	régulier	21	Fable (désir de découvrir)	77	Fables
4- Demain dès l'aube...	V. Hugo	régulier	12	Hugo s'adressant à sa fille morte (décrit l'itinéraire jusqu'à sa tombe)	82	Les Contemplations, IV, 14
5- Qui a tué Davy Moore ?	B. Dylan	régulier	49	La mort du boxeur (chacun y va de son argument)	112-113	Graeme All Wright
6- La grasse matinée	J. Prévert	Irrégulier	38	Un fait divers (la faim peut mener au délit)	140-141	Le livre de Poche
7- Le loup et l'agneau	J. La Fontaine	régulier	27	la malice du loup (la raison du plus fort)	180	Fables
8- Mathématiques	J. Supervielle	régulier	16	Mathématiques (champ lexical des maths et des animaux)	192	/

Source : Le manuel scolaire de 1^oAS, éd. OPNS, Alger, 2003

Pratique de la poésie en classe du FLE

Pour étayer l'objectif de notre recherche, nous avons choisi de recourir à un questionnaire (annexe 02) que nous avons distribué à 40 enseignants, lors d'une journée pédagogique (relative à la confection et préparation des sujets d'examens) tenue dans la wilaya de Ghardaïa.

Notre but était de recueillir un maximum d'informations, en ce qui concerne l'utilisation du texte littéraire y compris le texte poétique, en classe de langue et l'enseignement/ apprentissage conjoint de l'écriture et la lecture poétique.

Outils d'enquête

Nous avons mené une enquête par questionnaire. Ce dernier comprend un ensemble de (15) questions que nous avons rassemblées en cinq grandes catégories : la première catégorie concerne la fréquence d'application des activités poétiques par les enseignants ; la seconde indique les caractéristiques des poèmes proposés ; et la troisième désigne les objectifs assignés à travers l'utilisation des poèmes en classe, alors que la quatrième montre le rôle que joue la poésie en liaison avec l'apprentissage du FLE. Nous notons que l'âge, le sexe ainsi que le nombre d'expérience et l'établissement ont été cités dans le questionnaire.

Difficultés rencontrées

La plupart des enseignants interrogés avancent que l'effectif pléthorique dans les salles de classe est la raison intense qui empêche

l'apprentissage du poème. Le facteur du temps vient, en second lieu, et enfin le manque de documents proposant ce genre d'activités.

Rôle et apports du poème aux apprentissages linguistiques

Nous pouvons dire que la quasi-totalité des enseignants interrogés (36) estiment que la poésie contribue vivement au processus d'enseignement/apprentissage du FLE ; tandis que (4) enseignants seulement pensent qu'il s'agit d'un moyen de distraction. Toutefois, pour mieux avancer notre hypothèse de départ, nous allons soumettre un échantillon d'apprenants de la 1^{ière} année secondaire à une expérimentation concrète qui aura lieu en salle de classe.

Expérimentation des activités liées à la poésie

Constat et évaluation diagnostique

Ce que nous avons constaté lors du choix de l'échantillon, c'est le grand nombre d'obstacles linguistiques. En effet, beaucoup d'apprenants manifestent des difficultés face à la langue française.

Dispositif d'expérimentation et déroulement

Nous avons sélectionné un seul groupe d'apprenants, qui a été soumis à une expérimentation en cinq étapes, de (60) minutes chacune. Cette expérimentation s'est déroulée en cinq phases, commençant par la découverte des différentes catégories du discours, pour arriver à la production d'un poème personnel en suivant le modèle donné. L'objectif était la rédaction par reproduction d'un poème à la manière de Jacques Prévert

Echantillon

La séquence de poésie a été menée dans une classe de 1^{ière} année secondaire, au niveau du Lycée Cheikh Beyoud Ibrahim à Guerrara (à 110 km de chef de la wilaya Ghardaïa). Les élèves *étaient* au nombre de (35), de niveaux très disparates, et comptant (4) redoublants. Voulant travailler avec la réalité, nous n'avons pas effectué un « *tri* », on a choisi des élèves de niveaux différents, pour que nos résultats soient plus crédibles.

Phases de l'expérimentation

Phase de découverte

Comme les élèves n'étaient pas familiarisés avec la poésie ; et que nous proposons de mettre en place quelque chose de nouveau pour eux, nous avons diversifié les modes d'approche (découverte, simple lecture, etc.) afin de les rassurer et de les motiver à entamer l'activité.

Les activités proposées dans la séquence sont croisées et ne sont pas chronologiques car les relations entre le lire, dire, écrire sont insécables, dialectiques. Un équilibre doit donc être trouvé entre les moments d'écoute et de diction des poèmes, et les activités de production.

Phase de mise en commun

Elaboration collective, au tableau, de la fiche du poème, celle-ci est aimantée au tableau afin que chaque élève puisse y référer commodément.

Production de l'écrit

Consigne : Essayez maintenant de compléter ce poème en fonction de ce que vous avez marqué sur l'affiche. Vous devez respecter le sens général du poème. Mais vous n'êtes pas obligés de faire des rimes.

Phase d'expression orale et de correction par les pairs :

Les apprenants lisent leurs poèmes au tableau, tandis que les autres doivent contrôler s'ils ont bien respecté la structure de base. Lors de la 2^{ème} séance, les apprenants ont procédé à un « deuxième essai » en revoyant les problèmes de structure, en amendant l'orthographe et les rimes.

L'enseignant a ensuite corrigé certaines erreurs de langue, et les élèves ont recopié leurs écrits au propre. Ceux-ci ont été évalués en fonction des critères consignés sur la fiche, également, selon la création personnelle et l'éloignement par rapport au poème initial.

La version originale du poème est remise aux apprenants pour qu'ils en fassent une comparaison, un échange est ainsi possible entre les copies des apprenants à la fin de la séance.

Phase de production écrite libre

Dans cette étape, nous avons demandé aux apprenants d'écrire un petit poème. « *À la manière de* » de Jacques Prévert. Les phrases doivent être courtes et simples. Nous avons proposé plusieurs critères d'évaluation à observer :

Pour le savoir : Connaître les classes de mot, la structure du poème et avoir un vocabulaire thématique.

Pour le savoir-faire : réinvestir ses acquis pour compléter un poème en utilisant les catégories du discours et le vocabulaire thématique ; ainsi que l'expression de son appréciation.

Pour le savoir-être : s'investir dans un travail de production libre à partir d'une vision personnelle en mettant en œuvre son imaginaire dans l'interprétation.

Bilan et perspectives

Les élèves ont été plongés dans un univers poétique pendant deux semaines. Ils ont véritablement adhéré au projet, aux différentes activités proposées. Nous avons ressenti de leur part un réel engouement et investissement, ce qui nous a démontré l'intérêt de faire de la poésie *« autrement »*.

Réussites

Les apprenants ont pris beaucoup de plaisir quelle que soit l'activité proposée. Ils ont été très fiers face aux résultats obtenus. Lors des différentes séances, les apprenants ont participé activement aux activités proposées, que ce soit à l'oral ou à l'écrit.

Au cours des activités orales, les apprenants ont appris à s'écouter les uns les autres, à s'exprimer avec plus d'aisance, à donner leur avis et à les argumenter, à ne plus porter de jugement de valeur mais à analyser, et de ce fait, à ne plus être bloqués par l'avis de leurs copains.

Les séances de productions écrites leur ont aussi été bénéfiques : ils ont créé collectivement un outil individuel, ils se sontentraïdés, ils ont enrichi leur vocabulaire, ils ont joué avec les mots et les images, ils ont réinvesti ce qu'on avait vu ensemble (les déterminants, les

indicateurs de temps et de lieu, les règles d'accord nom / adjectif, les compléments de nom, les subordonnées circonstancielles de temps, le présent, le passé composé et le futur). Ils ont fait preuve également de beaucoup d'imagination.

Difficultés et limites

Les élèves ont eu un peu plus de mal à écrire ; mais leur zèle pour le projet et le désir de participer à cette activité, les a vraiment encouragés à ne pas le laisser tomber. Le poème, pour eux, était peut-être trop long. Nous aurions dû le raccourcir. Nous nous rendons bien compte que les activités poétiques devraient être des activités régulières, de longue durée, qu'elles devraient être tressées tout au long de l'année dans un va-et-vient dynamique afin de favoriser la formation d'enfants-lecteurs-producteurs de poèmes.

Conclusion

Au terme de notre travail d'enquête et d'analyse, nous pouvons dire qu'une pratique de la poésie au lycée s'avère nécessaire, non seulement parce que les programmes l'imposent, mais aussi et surtout parce qu'elle permet, lorsqu'elle est complète et pertinente, d'aborder des savoirs et des savoir-faire divers.

Nous avons pu voir les nombreuses possibilités qui s'offrent à l'enseignant pour mettre en œuvre des séances de poésie et même des projets liés à ce domaine. Chacune des situations où l'apprenant est mis en contact avec la poésie lui fournit l'occasion de travailler plusieurs compétences liées au domaine de la maîtrise du langage et de la langue français. A l'issue de cette courte expérimentation, nous avons également pu constater de manière générale l'exploitation de la

poésie sous différentes formes, à l'écrit comme à l'oral. Nous terminerons notre contribution par ces propos de G. Jean, qui récapitulent nos objectifs et nos résultats au-delà de notre intérêt pour la poésie, qui :« *se lit, s'écoute, se dit et s'écrit. La relation entre les pratiques de lecture et les pratiques d'écriture est insécable. Tout lecteur réécrit mentalement le poème qu'il lit ou qu'il écoute et désire écrire lui aussi, pour lui et pour les autres.* »⁵

Bibliographie

- 1- F. Marchand, *Premier concours interne de professeur des écoles*, Vuibert, Paris, 1997.p.135.
- 2- G. Jean, *Comment faire découvrir la poésie à l'école ?* Paris : éditions Retz, 1990.P.70
- 3- *Groupe de recherche d'Ecouen, Former des enfants lecteurs et producteurs de poèmes*, Hachette .Education, 1992. P.143.
- 4- R. Gloton, *La dissertation au certificat d'aptitude pédagogique et au brevet supérieur*, éd. Armand Colin, 1968.P.340
- 5-REY. A & REY DEBOVE J. (2006), *Le petit Robert*, dictionnaire de la langue française. Paris.
- 6- *Le manuel scolaire de 1°AS*, éd. OPNS, Alger, 2003
- 7- *Document d'accompagnement des programmes (1°AS)*, éd. OPNS, Alger, 2005, p.29.

⁵

G. Jean, *Ibid.*, pp. 12 -106.



Apport des connecteurs logiques dans la cohésion et la cohérence d'un texte argumentatif : cas de la dissertation littéraire

TOUATI Mahmoud,

maître-assistant A
université de Ghardaïa,
faculté des lettres et langues,
département de langue et littérature française.
Université de Ghardaïa
B.P N°455 . Ghardaïa 47000, Algérie

BERGOUTH Noudjoud,

maître de conférences -A-
Université Alger 2
moimoud@gmail.com

Résumé

Pour qu'un texte soit cohérent, ses idées doivent être présentées d'une manière à orienter la pensée du lecteur de l'amant à l'aval. Dans ce travail de recherche, nous étudions l'emploi des connecteurs logiques, voire leur apport au sein d'un texte argumentatif. Notre étude est de double perspectives : d'une part, nous examinons l'apport de ces connecteurs comme mots de liaison en contribuant à la cohésion et à la cohérence du texte cible ; de l'autre, nous étudions l'apport des connecteurs en question comme participant à l'argumentation.

L'objectif de cette contribution scientifique est de démontrer aux scripteurs, en particulier ceux du cycle universitaire, comment les connecteurs logiques s'emploient dans différents textes, notamment le texte argumentatif ; et de proposer donc un processus d'employer ces connecteurs en vu d'exprimer la relation logique voulue.

Cette étude inductive d'un côté et contrastive de l'autre, examine la fiabilité des hypothèses de notre recherche relatives à l'usage des

connecteurs en question, comme élément de cohérence textuelle, et en tant que participant à l'argumentation.

En procédant par une analyse quantitative et qualitative des textes formant notre corpus, nous avons conclu que l'intégration d'un tel connecteur logique nécessite une compétence langagière et scripturale, relative au contexte linguistique de l'énoncé où ce connecteur est employé. En effet, un connecteur logique peut exprimer plus qu'une relation.

Mots clés : connecteurs logiques- argumentation- cohésion et cohérence- textualité- dissertation.

Contribution of the logical connectors in the coherence and the coherence of an argumentative text: case of the literary dissertation

Abstract

A coherent text's ideas must be presented in a way that directs the reader's thinking from upstream to downstream. In this research work, we study the use of logical connectors and their contribution within an argumentative text. Our study has two perspectives: on one hand, we examine the contribution of these connectors as linking words by contributing to the cohesion and coherence of the target text; on the other hand, we study the contribution of these connectors as a part of the argumentation. The objective of this scientific contribution is to demonstrate to the writers, especially those of the university cycle, how logical connectors are used in different texts, especially the argumentative text; and thus to propose a process of using these connectors in order to express the logical relation desired. This inductive study on one side and contrastive on the other, examines the reliability of the hypotheses of our research about the use of the connectors in question, as an element of textual coherence, and as a participant in the argumentation. By proceeding with a quantitative and qualitative analysis of the texts forming our corpus, we have concluded that the integration of such a logical connector requires linguistic and scriptural competence, relative to the linguistic context of the statement where this connector is used. Indeed, a logical connector can express more than a relation.

Key words:

logical connectors- argumentation- cohesion and coherence- textuality- dissertation

1. Introduction

La rédaction des textes est une tâche qui ne semble jamais aisée. À côté de la production orale, elle représente l'un des soucis majeurs pour les apprenants des FLE au milieu universitaire. Nous sommes tout à fait d'accord qu'un étudiant francophone peut, dans une situation de communication, comprendre généralement ce qu'il entend ou ce qu'il lit. Mais le problème réside principalement au niveau de la production. Certes, les étudiants rencontrent, lors de la rédaction des textes, des difficultés dénombrables. L'une de ces difficultés est de rendre le texte cohérent, autrement dit établir une cohérence textuelle au niveau micro et macro-structural en employant des mots de liaison. Dans cette perspective, notre recherche tente d'étudier l'un des éléments qui assurent la cohérence textuelle. Nous étudions en fait le fonctionnement des connecteurs logiques, voire leur apport au sein d'un texte argumentatif. Ainsi, la cohérence d'un texte se manifeste dans le respect des trois conditions de cohérence expliquées par SHIRLEY.C-Thomas, où il affirme : « *Les textes explicitement cohérents sont les textes qui font le maximum pour faciliter la tâche interprétative du lecteur en respectant trois conditions que Reinhart distingue comme la cohésion, la no-contradiction et la pertinence (cohesion, consistency and relevance).* » (Shirley C-Thomas, 2000, pp33-34.)

Donc, les connecteurs logiques sont considérés comme l'un des éléments qui contribuent à la cohérence textuelle. Leur présence est certainement obligatoire dans un texte argumentatif, puisque ils mettent en relation des entités linguistiques ou sémantiques d'une part, et participent à l'argumentation d'autre part. De ce fait, le présent travail tente de répondre au questionnement suivant : *Comment fonctionnent les connecteurs logiques dans un texte argumentatif ?*

Dans un corpus de soixante-dix (70) textes, nous étudions l'occurrence des connecteurs en question. Après avoir illustré l'emploi de ces connecteurs dans une dissertation type, celle de "Alain

Beretta", nous nous basons, dans notre étude, sur l'emploi correct et fautif de ces connecteurs.

L'objectif principal de cette recherche est de démontrer aux apprenants la méthode d'employer certains connecteurs logiques, au niveau d'un texte argumentatif, où ils participent à l'argumentation et à la cohérence de ce texte. Plus précisément, on se focalise sur les erreurs d'emploi de ces mots vecteurs de sens logiques. D'autre part, cette recherche a pour objet d'étudier l'emploi des connecteurs logiques dans une dissertation estudiantine, dans le but d'identifier au lecteur et notamment au rédacteur comment les connecteurs logiques peuvent être intégrés dans tels contextes pour véhiculer la relation voulue.

Certes, un grand nombre de connecteurs logiques est fréquent dans notre corpus. Ce qui nous oriente vers une étude quantitative et qualitative des mots en question.

Pour concrétiser ce travail, et dans le but de comprendre le processus du fonctionnement des connecteurs étudiés, nous nous sommes interrogés sur les conditions de réussite des énoncés où les connecteurs font partie. Autrement dit, questionner l'emploi de ces connecteurs au niveau des textes étudiés. Ce qui nous conduit à lancer les hypothèses suivantes :

- 1- Les connecteurs logiques jouent un rôle crucial au niveau du texte argumentatif.
- 2- L'intégration d'un tel connecteur logique influe sur les suites linguistiques mises en relation.
- 3- Un processus d'emploi des connecteurs logiques est contestable pour rendre compte de la cohésion et de la cohérence d'un texte argumentatif.

2- Matériels et méthodes

2-1- Le corpus

Notre travail consiste en fait d'étudier l'apport des connecteurs logiques au sein d'un texte argumentatif. Il s'agit, en d'autres termes, de l'étude comparatiste de ces mots porteurs de sens dans deux dissertations : l'une est une dissertation type, celle de *Alain Beretta*, où il étudie "*Les Justes*" d'*Albert Camus* ; la seconde est une

dissertation estudiantine. Précisément, les textes sont des dissertations rédigées de la part des étudiants de 4^{ème} année licence lors d'un examen de deuxième semestre, pour l'an 2005/2006. Là où ils commentent une citation qui correspond à un best-seller. La citation étudiée est la suivante :

« Un best-seller, c'est un miroir tendu à la société, un livre déjà lu avant même d'avoir été ouvert. Le lecteur, passif, sait ce qu'il va y trouver et s'en satisfait. »¹

Le corpus de notre recherche se constitue donc de 70 textes rédigés durant cet épreuve. Comme le texte doit prouver le succès d'un best-seller, le rédacteur est incité à persuader son lecteur par le biais des arguments explicites. Par conséquent, le texte produit étant argumentatif, il comporte nécessairement des connecteurs logiques. Ce qui nous conduit à choisir ces textes comme corpus d'étude.

2-2- Procédure d'analyse

Dans le but de démontrer l'emploi des connecteurs logiques au sein d'un texte argumentatif, en l'occurrence leur emploi dans une argumentation, nous avons procédé par l'analyse de certains connecteurs apparus dans la dissertation d'Alain Beretta, à savoir mais, donc, puisque si et d'autres. Cet emploi est considéré comme un emploi typique, où les connecteurs étudiés expriment la relation voulue au niveau micro-structural ou macro-structural. Bref, ils mettent en relation des entités linguistiques ou sémantiques, en instaurant un rapport de sens logique inter-séquentiel ou entre-séquentiel.

L'étude des connecteurs employés dans les textes estudiantins se base sur l'emploi de ces mots de liaison au niveau des séquences formant le texte de la dissertation précitée. En comparant l'occurrence d'un tel connecteur dans les deux dissertations, on peut juger son emploi comme adéquat ou ironique.

Le choix de cette méthode contrastive d'une part et quantitative de l'autre est effectué pour la simple raison de démontrer les convergences que présente l'intégration d'un connecteur logique, de cause ou de concession par exemple, entre deux phrases, deux actes d'énonciation ou plus largement entre deux séquences dans un texte.

¹ Cette citation est extraite de l'une des copies d'examen de l'épreuve citée.

2-2-2- L'analyse des erreurs

Un deuxième critère de notre recherche est celui de l'analyse des erreurs. En analysant l'emploi de différents connecteurs apparus dans notre corpus, on s'intéresse dans premier temps aux connecteurs largement employés, par la suite aux connecteurs rarement employés, enfin aux connecteurs non apparus.

Nous nous sommes intéressé en particulier à l'emploi correcte et fautif des connecteurs étudiés. Emploi qui est jugé correct ou ironique du fait qu'un apprenant du FLE à ce niveau là (fin de cycle) possède comme même une maîtrise considérable de la langue au niveau lexical et notamment syntaxique.

Les premiers résultats de l'analyse quantitative nous acconduisent à constater que les apprenants emploient ironiquement certains connecteurs, à cause de la confusion sémantique des connecteurs synonymes d'une part. D'autre part, ce serait l'interférence inter-linguale ou intra-linguale, sous prétexte que ces apprenants ne maîtrisent suffisamment pas le français comme langue étrangère.

3- Résultats et discussions

D'après l'étude quantitative que nous avons mené, l'emploi des connecteurs en question semble trop varié. Autrement dit, différentes relations sont exprimées via l'emploi des connecteurs logiques, à savoir la cause, le but, la conséquence, la concession (ou l'opposition) et la condition. Cependant, l'emploi de ces connecteurs est exclusivement destiné à un ensemble de ceux-ci pour effectuer une relation logique voulue.

Certes il existe un grand nombre de connecteurs logiques pour exprimer telle relation, mais tout connecteur se privilégie d'un sens approprié pour transmettre cette relation. C'est pourquoi l'analyse de nos résultats se base principalement sur le facteur du comportement grammatical d'employer tel ou tel connecteur. Cette analyse a pour objet d'évaluer la manière d'employer ces mots porteurs de sens, en se référant absolument à l'étude statistique (quantitative) d'où nous réalisons des illustrations graphiques démontrant l'emploi de ces embrayeurs. L'étude se focalise sur la représentation des connecteurs largement employés, tel que *parce que, mais, pour, donc, alors, ainsi et si*.

* Parce que

Ce connecteur exprime sans doute la vraie cause d'où un résultat est déduit. Prenons deux exemples, extraits de notre corpus où le connecteur « parce que » est fréquent.

- *Grosso modo, le texte littéraire est un ensemble des phrases, qui sont comportées de nombre indéfini et indéterminé de sens, **parce que** la polysémie est le caractère principal du texte littéraire. (1)*
- *Mais cette image ne serait-ce qu'une déformité, autrement, elle est imparfaite; **parce que** tous ce qui est à notre droite devient, dans un miroir à notre gauche. (2)*

Dans l'exemple (1), le connecteur de causalité parce que introduit la vraie cause du fait qui la précède. En revanche *parce que* est employé dans un contexte où une justification est exposée dans le deuxième énoncé. Ce qui est confondu avec l'emploi du connecteur *puisque*. Nous illustrons l'emploi de ce connecteur par le cercle qui suit :

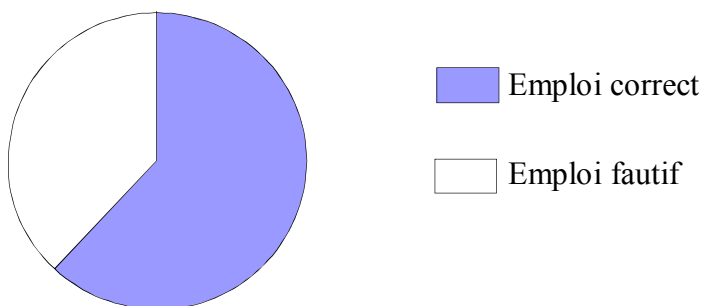


Figure : 01 L'occurrence du connecteur *parce que*

Dans la plupart des cas de son emploi fautif, nous constatons que ce connecteur s'est confondu, dans telle occurrences, avec *puisque*, dans d'autres avec *car*.

* Mais

A son tour, ce connecteur adversatif exprime une opposition proprement dite ou une concession entre deux entités linguistique ou sémantiques au niveau phrastique ou macro-structural. Dans le corpus, *mais* est souvent employé afin d'assurer la cohésion, c'est-à-dire ses

manifestations reflètent l'idée de la concession au niveau micro-séquentiel, mais rarement l'opposition, en liant deux unités au niveau macro-séquentiel. Nous illustrons l'emploi de ce connecteur dans le cercle ci après :

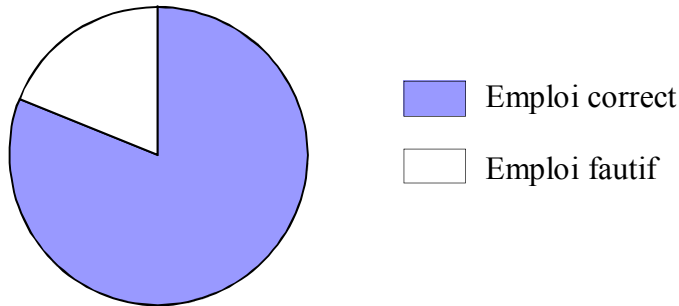


Figure 02 : L'occurrence du connecteur *mais*

Le connecteur *mais* est souvent employé dans les textes étudiés en faisant partie des éléments qui assurent la cohésion. Tant qu'il est rarement employé chef de paragraphe pour mettre en opposition deux portions de texte, c'est-à-dire établir une opposition sémantique. Nous apercevons que l'emploi de ce connecteur ne pose pas un grand problème, car aucune confusion n'est apparemment remarquable.

*** Pour**

Le connecteur final *pour* a pour tâche principale de relier deux suites linguistiques en intégrant le but ou la finalité de l'action. Or, il peut être employé dans d'autres contextes. C'est le cas par exemple de l'énoncé ci-dessous, où le connecteur *pour* exprime différemment la cause, vu qu'il se combine avec une suite linguistique de type nominal.

- *Il est puni pour sa paresse.* (3)

Ce connecteur est employé dans la plupart des cas, sinon dans la totalité de ses occurrences dans les textes estudiantins, du même comportement grammatical où il se combine souvent avec un infinitif afin qu'il transmette une relation de but au niveau micro-séquentiel.

La figure suivante illustre l'emploi de ce connecteur:

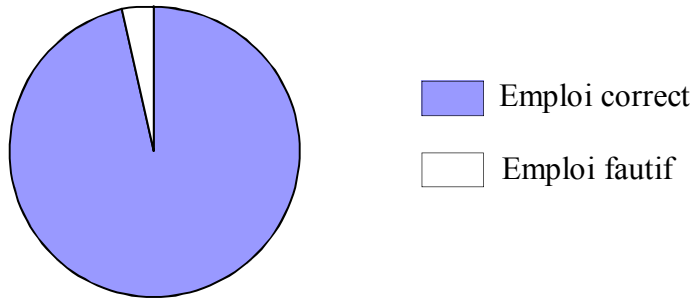


Figure 03 : L'occurrence du connecteur *pour*

Nous remarquons que ce connecteur est souvent intégré dans des énoncés en faisant partie des éléments qui rendent compte de la cohésion textuelle au niveau des micro-séquences qui structurent le texte. De ce fait, son usage dans le corpus n'est pas douteux.

*** Donc**

Quant à ce connecteur consécutif, il a, à l'instar des autres connecteurs étudiés, un emploi qui se veut varié. D'autant qu'il apparaît largement dans le corpus, il exprime en quelques occurrences une simple conséquence; dans d'autres, il sert à conclure ou à déduire une conclusion finale en fin du raisonnement; alors qu'il apparaît dans d'autres cas réintégré dans des configurations très particulières, à savoir sa combinaison avec une interrogation, etc. Nous prenons du corpus à titre de l'illustration l'énoncé (4), dans lequel *donc* se combine avec une interrogation pour délivrer la conséquence voulue.

***Donc**, à partir ces étapes suivies par l'écrivain, pourquoi le lecteur ne trouve pas le plaisir dans cette œuvre? Et l'œuvre littéraire ne réalise pas le succès? (4)*

L'emploi de ce connecteur est illustré dans la figure suivante :

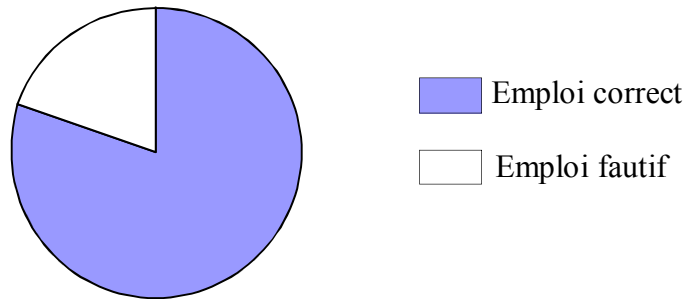


Figure 04 : L'occurrence du connecteur *donc*

Son emploi fautif est aussi nombreux. Nous le distinguons dans des configurations où il y a une certaine dépendance entre les suites linguistiques qu'il lie; dont il se confond avec un autre connecteur consécutif, tel que *alors*, *c'est pourquoi* ou d'autres. On a par exemple l'énoncé suivant :

*L'écrivain est un homme social, **donc**, tout à fait, il sera influencé par la société et son influence va apparaître dans son écriture.*

Le connecteur *donc* est employé ici ironiquement au lieu de lier les propositions par un autre consécutif, par exemple "*c'est pourquoi*", car il existe une dépendance entre les propositions. On distingue donc que l'usage de ce connecteur n'est pas assez explicite. Par conséquent, les apprenants doivent être attentifs aux types des unités qu'ils mettent en relation, quand ils se servent de ce connecteur.

*** Alors**

Concernant le connecteur consécutif *alors*, il apparaît parfois en exprimant une simple conséquence entre deux phrases ou deux propositions de la même phrase. En plus, il se trouve rarement dans d'autres cas, pour soustraire une conclusion finale. De ce fait, nous remarquons que l'usage de ce connecteur ne pose pas grand problème, même si dans une séquence narrative il peut relier des suites chronologiques d'événements.

On peut illustrer l'occurrence de ce connecteur par le cercle qui suit :

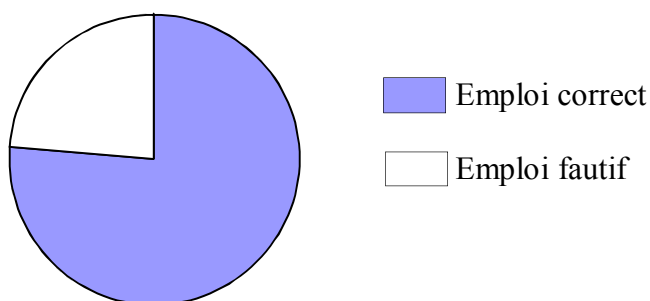


Figure 05 : L'occurrence du connecteur *alors*

*** Ainsi**

Le connecteur consécutif dit ou énumératif "*ainsi*" est rarement employé dans les textes étudiés afin d'entraîner un résultat ou une conséquence déduite d'un fait déjà présenté. Tant qu'il apparaît dans nombreux cas pour présenter une simple addition d'une nouvelle idée ou une autre explication de la même idée récemment développée. Nous citons l'exemple qui suit, où *ainsi* a pour tâche de présenter une simple addition d'une explication de la même idée développée.

Nous parlons actuellement du meilleur livre vendu d'un point de vue à la fois économique et littéraire. Cette citation est constituée de deux phrases. La première est une explication du mot "best-seller". Ainsi, ce dernier est un miroir qui désigne l'image reflétée d'un objet sur une glace.

La figure 06 représente l'emploi de ce connecteur :

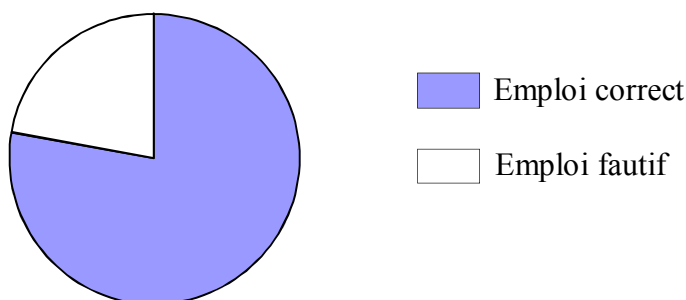


Figure 06 : L'occurrence du connecteur *ainsi*

*** Si**

Le connecteur "si", à l'instar des autres connecteurs hypothétiques n'apparaît assez amplement dans les textes formant notre corpus. Mais il nous semble essentiel de l'étudier, car il représente chef des connecteurs qui expriment une idée d'hypothèse ou de condition. Il est employé souvent afin de proposer une hypothèse ou une supposition d'en déduire un résultat.

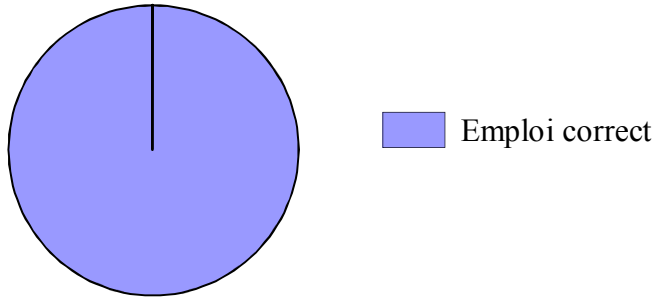


Figure 07 : L'occurrence du connecteur *si*

Nous constatons que l'emploi de ce connecteur ne fait aucun problème, du fait qu'il apparaît fréquemment correct.

4- Conclusion

A terme de ce travail, les résultats reçus montrent qu'un texte argumentatif doit contenir indispensablement des connecteurs logiques qui figurent dans ses plis. Ces connecteurs sont capitaux, pour la simple raison qu'ils unissent des unités linguistiques de différents niveaux, en explicitant de multiples relations logiques.

L'analyse de ces résultats nous a permis de constater que les apprenants peuvent certainement avoir recours à ces mots de liaison, mais la difficulté réside au niveau du contexte approprié où le connecteur convenable peut exprimer le sens voulu. Cette ambiguïté est due de la compétence linguistique minoritaire des apprenants vis-à-vis des connecteurs eux-mêmes d'une part. D'autre part, c'est la complexité de la langue française elle-même, où certains connecteurs sont dits synonymes, mais tel connecteur ne peut jamais remplir la fonction de l'autre.

Il convient de ce fait d'adapter des stratégies d'apprentissage qui tiennent compte de ces difficultés. Des stratégies qui se rapportent à la

production des textes argumentatifs d'un côté, et de l'emploi des connecteurs logiques afin de rendre compte de nombreuses relations logiques d'autre côté. Ces remédiassions peuvent par exemple être sous forme d'exercices d'entraînement de l'intégration des connecteurs logiques dans différents types de séquence. De même, il est important de développer la compétence linguistique et communicative à l'oral qu'à l'écrit, à travers des supports contenant les connecteurs cibles. Sans oublier de tenir compte des connecteurs, lors de l'exploitation des textes de manière à intégrer ces mots contextuellement dans différents énoncés.

En un mot, nous insistons sur le fait que les connecteurs logiques se veulent nécessaires, lors de la production des textes, en particulier les textes argumentatifs. C'est pourquoi les apprenants du FLE doivent avoir une performance linguistique vis-à-vis de l'emploi des ces unités.

Bibliographie

1. Adam, J M. (1997). *Les textes: types et prototypes*. France : Nathan.
2. Adam, J M. (1999). *Linguistique textuelle: Des genres de discours aux textes*. France : Nathan.
3. Amossy, R. (2000). *L'argumentation dans le discours*, Paris : Nathan.
4. Anscombre, J C, Ducrot, O. (1997). *L'argumentation dans la langue*. Liège: MARDAGA. 3^{ème} éd.
5. Beretta, A. (1999). *Etude sur Albert Camus : Les Justes*. Paris : ellipses.
6. Dalcq, E et al. (1999). *Mettre dans l'ordre des idées*. Bruxelles : Duculot.
7. Jeandillou, J F. (1997). *L'analyse textuelle*. Paris : Armand Colin.
8. Mendenhall, V. (1990). *Une introduction à l'analyse du discours argumentatif : des savoirs et savoir-faire fondamentaux*. Ottawa : PU d'Ottawa.
9. Moirand, S. (2007). *Les discours de la presse quotidienne : observer, analyser, comprendre*. Paris : PUF.
10. Rossari, C. (2000). *Connecteurs et relations de discours*. P U de Nancy : Nancy.

11. Shirley, C T. (2000). *La cohérence textuelle : pour une nouvelle pédagogie de l'écrit*. Paris : L' Harmattan.
12. Atamna F. (2014). *L'emploi des connecteurs logiques dans la production du texte argumentatif en FLE : Le cas des apprenants de 3ème A.S. Série lettres et sciences humaines, du lycée Les Frères Rebah de Ras El Oued Wilaya de Bordj Bou Arréridj*. Mémoire de magister en langue française. Biskra : université Mohamed kheider de Biskra.
13. Mesbahi, K. (2007). *Mais et les connecteurs adversatifs: Apports et occurrences dans le discours argumentatif*. Mémoire de magister. Ouargla : université Kasdi Merbah d'Ouargla.



La graphie et la standardisation du berbère

Cas de la région de Ghardaïa

1. M. Ahmed RAMDANI.....Université de Ouargla /
ahmedramdani2000@yahoo.fr
2. Pr. Salah KHENNOUR.....Université de Ouargla /
khenmour@gmail.com
3. Pr. Yahia BENYAHIA.....Université de Ghardaïa /
y.benyahia47@gmail.com

Laboratoire :

Le français des écrits universitaires

Université de Ouargla

B.P N°511 . ouargla . 3000

ملخص-

هذه الدراسة المنجزة لدى الناطقين باللغة البربرية بمنطقة غرداية^١ تحاول إيضاح نقطة غاية في الأهمية في ما يخص اللغة البربرية. هذه النقطة هي الرسم (الخط)^٢ إن كان خط التيفيناغ أو الخط العربي أو الخط اللاتيني. هذه المسألة لم يفصل فيها بشكل نهائي^٣ لذا تأتي هذه الدراسة للمساهمة في تبيانها من خلال الاستبيان والمقابلات بالجماعة البربرية بالمنطقة.

الكلمات المفتاحية-

البربر، الرسم (الخط)، الازدواجية اللغوية، التعليم، التوحيد اللغوي، المجتمع اللغوي، التيفيناغ، العربية، اللاتينية

Résumé

Cette étude réalisée auprès des locuteurs berbérophones de Ghardaïa, tente à éclaircir un point primordial pour le processus de la standardisation de la langue berbère. Ce point qui est la graphie, soit tifinagh ou arabe ou latine reste une question sur laquelle on doit trancher un jour. Cette étude va dans le sens des efforts visant à mettre plus de lumière sur la question à travers des entretiens et d'interrogations auprès de la population berbérophone de la région.

Mots clés :

Berber, Graphie, Diglossie, Enseignement, Standardisation, Communauté linguistique, Tifinagh, Arabe, Latin.

The graphy and standardization of Berber Case of Ghardaïa region

Summary

This study, conducted among Berber speakers of Ghardaïa, attempts to clarify a crucial point for the process of standardizing the Berber language. This point, which is spelling, whether tifinagh ; Arabic or Latin , remains a question that must be decided one day. This study is in line with efforts to shed more light on the issue through interviews and interrogations with the Berber-speaking population of the region.

Key Words: Berber, Graphy, Diglossia, Teaching, Standardization, Linguistic Community, Tifinagh, Arabic, Latin.

Introduction

La langue berbère qui a été longtemps exclue de l'enseignement depuis l'apparition de l'école moderne (pendant l'époque coloniale), a pu s'approprier d'une grande partie de ses droits notamment le statut de langue nationale. Sauf que l'étape qui occupe les linguistes et qui nécessite assez de temps et d'efforts, est bien la standardisation. Cette dernière est le fruit de travail des lexicologues, grammairiens et sociolinguistes qui œuvrent ensemble pour arriver à élaborer un corpus satisfaisant de la langue. Pour cette langue surgit une autre contrainte, c'est celle de la graphie quoique certains prétendent que les berbérophones ont tranché là-dessus. Cette étude se propose comme un éclaircissement davantage sur ce cas à la Vallée du Mزاب.

Méthodologie

Pour maîtriser l'œuvre de cette recherche, il a fallu procéder de deux manières différentes quant au choix des informateurs à cause d'un côté, la densité relativement faible des locuteurs kabylophones par rapport au reste de la population sujette de cette recherche, ce qui nous a obligé de cibler les individus de cette catégorie (codée : catégorie k) en demandant aux étudiants impliqués dans la recherche de s'adresser aux collègues, amis, voisins, ou proches (kabylophones) pour pouvoir atteindre un nombre significatif d'individus. Nous signalons que nous n'avons pas l'opportunité d'avoir un échantillon formé de tranches d'âge différentes ou d'étudier par exemple la sphère féminine séparément à celle masculine. D'un autre côté et malgré que le souci d'atteindre le nombre suffisant ne se pose plus,

c'est l'accès à la sphère féminine qui demande une solution particulière à cause du conservatisme de la communauté mozabite. Donc la solution était d'impliquer un groupe de fille (étudiantes) ayant des rapports familiaux ou de voisinage avec les femmes mozabitophones. Une fois les aléas de la sociolinguistiques relativement dépassés, nous avons fixé le chiffre de 80 individus concernant l'axe de recherche sur le choix de la graphie. Cela pour des raisons méthodologiques : la première est la faisabilité de la recherche vu le nombre réduit des étudiantes mozabitophones collaboratrices et participantes à la recherche. La deuxième est que le chiffre rond est facile à manipuler (taux, moyenne .etc.). (Dans d'autres recherches plus complexes, c'est grâce à un utilitaire comme le SPSS que les traits de l'étude sont observables).

L'objectif de cette étude est de mettre en évidence deux traits sociolinguistiques souvent pris incorrectement comme une évidence. Le premier est le point de vu des berbères locaux vis-à-vis l'enseignement de cette langue à l'école étatique. A préciser qu'à Ghardaïa, existent des écoles dites "libres" ayant un programme enrichi par rapport à celui du ministère de l'éducation nationale pour répondre aux particularités religieuses^[1] de la région. Ces écoles interdisent l'usage de la langue locale en classe en particulier de la part des enseignants, comme le confirme Y. BENYAHIA et All^[2] (une attitude sociale à la faveur de la langue arabe qui jouit d'un statut particulier dans la communauté mozabite/ibadite) . Le deuxième est celui de l'importance particulière qu'occupe la question fondamentale

de cette étude, soit :la nature de la graphie avec laquelle le berbère doit être enseigné.

La communauté berbérophone de Ghardaïa

Avant de se lancer dans cette étude, il est utile de cerner son champs d'investigation par la délimitation de sa population. Cette délimitation bien qu'elle ne soit pas propre à la sociolinguistique uniquement, elle est méthodiquement une étape fondamentale pour atteindre son objectif. Daniel Baggioni affirme ceci : « *Il paraît de bonne méthode, pour la sociolinguistique, qui se propose d'étudier le rapport entre langues et sociétés, de s'interroger sur le lieu au sein duquel ce rapport est observable : la communauté linguistique.* »^[3]

Le Mzab , cette région de l'Algérie située à 600 sud d'Alger, est connu par son conservatisme religieux (sectaire) et sa conservation linguistique. La population de la région a atteint 363 598 habitants (Statistiques de l'an 2008). Ce nombre est à moitié berbérophone (ce taux approximatif car il n'existe pas des statistiques sur une base ethnique pour des raisons légales). Donc la coexistence des deux communautés sur la même aire géographique a produit une situation linguistique qualifiée de diglossique pour la langue berbère. Ce constat est aussi affirmé par Khaoula Taleb Ibrahim quant à la situation diglossique en Algérie : « *Nous pouvons donc considérer que la situation de multilinguisme que vit la société algérienne peut être analyser en termes diglossique mais*

seulement au niveau des représentations et des valeurs attribuées à chaque variété dans le marché linguistique et qui maintiennent la dissymétrie au fonctionnement diglossique...»^[4]

La situation linguistique

les Etats-nations fondés à partir de communautés linguistiques, tels que la France, l'Espagne, l'Italie et malgré l'homogénéité de leurs dialectes, cette homogénéité occulte un conflit. Une langue telle que la langue française, éprouve une résistance de la part des dialectes qui se déclarent des langues à part entière malgré le lien de parenté qui les unit à la langue française . « *Dans plus de 60% des publications l'occitan est la langue majoritaire : on trouve dans ce groupe des publications où l'occitan est la seule langue utilisée (ou pratiquement) et d'autres dans lesquelles le français peut prendre (de façon régulière ou exceptionnelle) une place qui ne concurrence pas celle de l'occitan* »^[5]

Donc sans aller loin de l'exemple du français, l'aire berbérophone présente une certaine homogénéité qui varie d'une région à une autre. A titre d'exemple c'est plus commode de comparer ou rapprocher sur le niveau phonologique et morphologique, le kabyle au chaoui ou ce dernier au mozabite. Cette logique est liée au voisinage géographique en premier lieu de sorte à tisser une aire linguistique formant ainsi un *continuum* dialectal qui s'étend dans les quatre orientations géographiques. Ce continuum n'est plus vertical

ayant pour extrémités un *basilecte* et un *acrolecte* comme le définit Robert CHAUDENSON dans Sociolinguistique, Concepts de base^[6], mais plutôt horizontal et qui met à titre d'égalité les dialectes de la même langue. « ... *sur le plan des pratiques observables, il semble que l'hypothèse du continuum soit plus efficiente et adéquate.* »^[7] déclare K. TALEB IBRAHIMI.

Cette notion de *continuum* nous rappelle que le berbère est une seule langue malgré l'usage des expressions *langue mozabite*, *langue kabyle* ou *langue chaoui* entre autres. Cet usage erroné et non savant, relève du discours commun et ne s'appuie pas sur une classification scientifique en particulier que l'intercompréhension entre ces dialectes est tangible.

Le mozabite et l'enseignement

Selon le HCA^[8], seules les variétés kabyle, chaoui et touareg sont enseignées. Les autres variantes, telles le chleuh, le chenoui et le mozabite, ne sont pas enseignées. Cette déclaration de la part des instances comme le HCA, est d'une importance majeure quand on déclare au même temps que l'enseignement de la langue berbère a atteint 47 wilayas parmi les 48 dans le territoire national. Autrement dit 97.92% ce chiffre occulte une réalité est que dans ces wilayas il n'y a qu'une dizaine de classes qui disposent des cours de langue berbère. Le cas de Ghardaïa illustre d'une manière pertinente cette observation quand on apprend que le nombre d'enseignants de langue berbère dans

la wilaya est de 06 enseignants dont 04 exercent à la ville de Guerrara seule .

Rappelons que dans notre étude dans la ville de Guerrara 62.67 % des interrogés étaient contre l'enseignement de langue berbère à leurs enfants à l'école étatique. C'est à dire 74.35 pour les hommes et 50 pour les femmes pour la question portant sur la nécessité de l'enseignement du berbère. Les arguments avancés pour ce choix qui est en fait un point de vue, étaient que le mozabite est bien parlé et bien maintenu, et il n'y a pas nécessité à l'apprendre à l'école. Un autre aspect dévoilé par la question sur l'apprentissage des non mozabito-phones la langue berbère. Cette question a montré que 34.16 % voyaient que c'est mauvais pour la communauté mozabite 30.28 % disaient que c'est bon, alors que les 35.57 % restants étaient plutôt d'avis neutre et jugeaient normal que les autres apprennent le mozabite.

Le refus, si nous pouvons le dire, est expliqué de la part des informateurs eux-mêmes par la crainte que cela sera au détriment de la langue arabe qui jouit d'un statut privilégié au sein de la société mozabite.

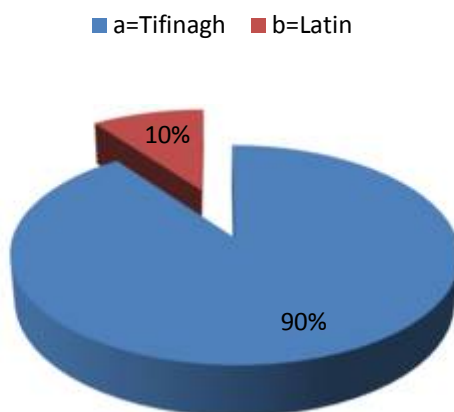
Quelle graphie pour le berbère ?

Cette interrogation ne serait se poser s'il existe une unanimité sur les choix déjà faits. Ces choix qui optent pour le moment pour la graphie *latine*, pourtant le berbère est connu par son appartenance à la famille des langues chamito-sémitiques. Parfois l'emploi en parallèle

du *tifinagh*. Le choix de la graphie latine est justifié par l'existence latine en nord de l'Afrique ou l'Afrique Romaine dans des époques qui reviennent à 146 av. J.-C. – 486 apr. J.-C. Cette époque qui était précédée par des dynasties numides qui avaient leur propre graphie le *tifinagh* du milieu du IX^{ème} siècle av. J.-C. à la fin du 1^{er} siècle après J.-C.^[9]

Notre enquête réalisée en 2016 qui porte sur le choix de la graphie pour écrire la langue berbère auprès des locuteurs berbères dans la ville de Ghardaïa a montré une nette distinction entre les locuteurs kabylophones (catégorie k) et ceux mozabito-phones (catégorie m). Les premiers ont choisi le *tifinagh* à raison de 36 individus sur 80, soit 45 % du total de l'échantillon et 90 % de la catégorie (k). Alors que 04 individus sur 80 (80 est l'ensemble des personnes interrogées dans les deux catégories), soit 05 % du total de l'échantillon et 10% du sous-groupe (k), ont choisi la graphie latine.

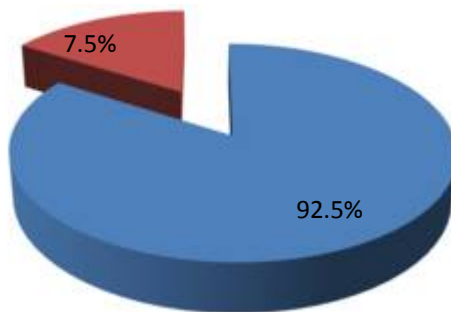
Choix de la graphie catégorie K



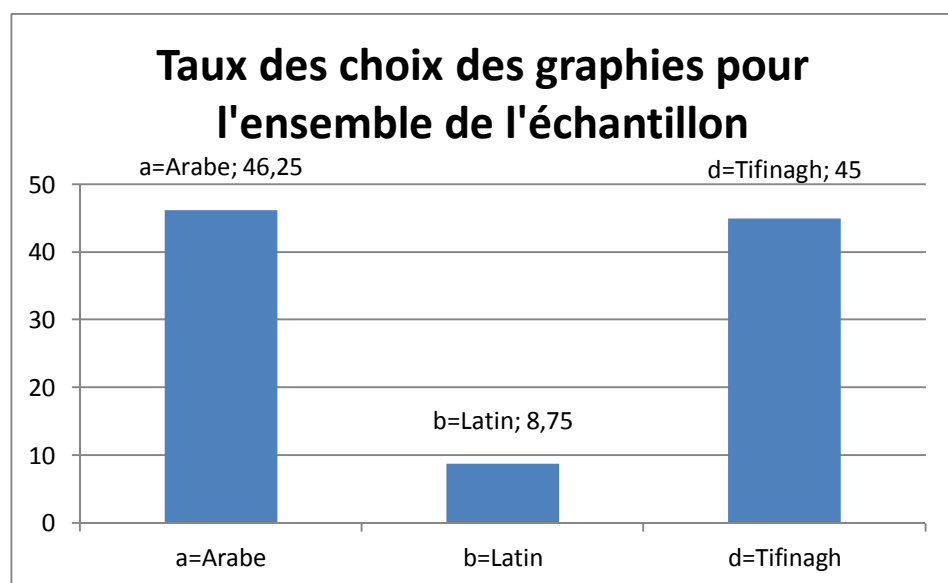
L'interprétation de ces chiffres nous l'avons faite à travers la justification des informateurs eux-mêmes. Il y'avait deux raisons, pour ceux qui ont choisi le tifinagh, c'est l'identité amazigh qui les préoccupe le plus bien que la plupart d'entre eux déclare ignorer cette alphabet sans que nous leur demandons ce détail comme si pour argumenter leur choix par ce manque. Pour le second choix, le seul argument avancé, est la facilité de la manipulation de cette graphie conséquence de l'habitude . Pour la catégorie (m), nous avons repéré aussi deux sous-groupes. Sauf que le choix de la majorité soit 37 sur 80 du total qui ont choisi la graphie arabe, soit 46.25% de l'ensemble de l'échantillon ou 92.5 % de la catégorie (m), tandis que le reste 3.75% du total ou 7.5% de la catégorie (m), ont choisi le caractère latin pour la même raison de ceux de la catégorie (k).

Choix de la graphie catégorie M

■ a=Arabe ■ b=Latin



Le remarquable dans cette étude, est que le caractère latin n'occupe que 8.75 % des choix faits par l'ensemble de l'échantillon pourtant sur le terrain, c'est ce choix qui s'impose beaucoup plus, le tifinagh est timidement représenté différemment du cas au Maroc. Le caractère arabe, bien qu'il soit choisi par la majorité des mozabitophones, semble ne pas coïncider avec l'état des lieux si on sait que la totalité des enseignants de la langue berbère à Ghardaïa, écrivent le berbère en caractère latin. Cela est interprété par le fait qu'ils sont issus d'un même établissement de formation où la graphie latine est celle de la langue berbère.



Conclusion

Opter pour un caractère, c'est faire un pas en avant dans le processus de la réappropriation du rôle de la langue dans la communauté. Cette communauté qui doit supporter les efforts des linguistes et des linguistes militants dans le but d'aller vers l'étape suivante qui est la standardisation, ce qui nécessite une collaboration entre les partenaires de la même cause. Nous savons que l'intercompréhension entre les différents dialectes berbères varie en fonction des régions. Cette variation en elle-même est naturelle même au sein d'un seul dialecte comme le kabyle car «à chacun son kabyle». Aussi la communauté mozabite n'échappe pas à cette règle et la variation est présente bel et bien dans les différentes villes de la Vallée du Mزاب. Donc nous visons à travers cette étude de mettre de la lumière sur l'état des lieux dans cette partie de l'aire berbérophone, dans le but de contribuer de plus en plus au rapprochement des efforts pour la standardisation de la langue berbère dont le corpus présente des divergences qu'on estime ne pas les accentuer davantage par des choix sur lesquels le consensus est possible.

Notes

- 1) Jean, DELHEUR. (1986), *Faits et dires du Mزاب*, (préface), SELAF, Paris
- 2) Yahia BEN YAHIA et all (2015)., *Le rôle de l'école coranique Djabirite dans l'enseignement et la promotion de la langue arabe en Algérie. ICLS2015*, MEDIU, Shah Alam, Malaisie. p11.(en Arabe).

- 3) Daniel, BAGGIONI et all (1997), *Communauté linguistique*, in *Sociolinguistique, concepts de base*, Hayen, Mardaga, p. 88
- 4) Khaoula TALEB IBRAHIMI, (1997), *Les Algériens et leur(s) langue(s)*, *Elément pour une approche sociolinguistique de la société algérienne*, Les éditions El Hikma, Alger,. pp. 64-65
- 5) Carmen, ALLEN GARABATO., (2008), *Actes de résistance sociolinguistique, Les défis d'une production périodique militante en langue d'oc*, L'Harmattan, Paris, p84
- 6) Robert, CHAUDENSON. (1997), *Continuum*, in , *Sociolinguistique, Concepts de base* ,MARDAGA, Hayen, p.100
- 7) Khaoula TALEB IBRAHIMI, (1997), *loc.cit.*
- 8) Selon le Wikipédia *Haut commissariat à l'amazighité*, HCA est un institut académique de l'État algérien chargé de l'étude et de la promotion de la langue berbère en Algérie. Créé le 27 mai 1995 par le président Liamine Zeroual
- 9) Messaoud, DJENNAS.(2010), *La saga des rois numides*, Casbah, Alger, p.39

Instructions aux auteurs

Soumission d'un article

Soumission recommandée (électronique) via le courrier électronique de la section de domaine relatif au sujet de manuscrit. Lors de la soumission, il est demandé aux auteurs de proposer une liste d'au moins deux spécialistes susceptibles d'expertiser le travail et d'y joindre leurs adresses électroniques et leurs affiliations.

Il est recommandé ainsi de faire joindre à l'article soumis, une lettre d'accompagnement, où il est mentionné que le travail soumis a été approuvé par tous les auteurs et qu'il n'a pas été soumis à une autre revue.

Préparation de manuscrit

Les articles soumis à la revue « ELWAHAT » pour les Recherches et les Etudes, peuvent être rédigés en anglais, en français ou en arabe et doivent comporter obligatoirement un résumé en français ou en arabe et un autre résumé en anglais. Le résumé doit être suffisamment clair et informatif pour permettre la compréhension du sujet sans lire l'article entier. Le résumé comporte au maximum 200 mots. Cinq à sept mots-clés bien adaptés pour indexer le manuscrit.

- Les manuscrits doivent contenir quatre parties: Introduction, Matériel et méthodes, Résultats et Discussion, et Conclusion (facultatif) (police 12 gras). Les manuscrites ne doivent pas dépasser 15 pages ou 3000 mots (excluant les références, les tableaux et les légendes des figures).

La longueur des textes comportant de nombreuses références ne devrait pas dépasser 40000 signes (espaces compris). Les manuscrits soumis en ligne à la revue, passent par plusieurs étapes successives:

- Vérification de la conformité du manuscrit (lettre d'accompagnement, «anonymisation» du texte, résumés bilingues, etc.);
- Vérification de conformité à la ligne éditoriale de la revue et d'originalité des résultats;
- Evaluation anonyme par au moins deux experts choisis parmi ceux qui sont proposés par les auteurs et par les membres du comité de rédaction.

Le manuscrit doit être écrit en police : New Time Roman et comporte les éléments sous cités qui vont être regroupés dans un seul fichier rendu anonyme et qui se présentent comme suit:

Sur la première page :

- Le titre de manuscrit en français ou en arabe et en anglais (20 mots au maximum ; police 14 gras);
- Les noms, les affiliations, et les références des auteurs ainsi que l'adresse postale et l'adresse électronique du premier auteur et/ou de l'auteur correspondant (police 11 gras) ;

- Un résumé en français ou en arabe et un abstract en anglais de 300 mots maximum chacun (police 12);
- Cinq à sept mots clés, en français ou en arabe et en anglais, extraits du thésaurus (police 12);
- Puis le texte intégral au format MS. Word (fichier .doc(x) ou rtf) avec illustrations. Les tableaux, les photos et les figures (illustrations) seront appelés dans le corps du texte (police 12);
- Une liste de références bibliographiques soigneusement choisies, récentes et accessibles aux lecteurs, selon les normes suivantes:

Références bibliographiques

Les références bibliographiques sont présentées par le nom de l'auteur ou des auteurs (sans prénom (s)) suivi d'une virgule, puis de l'année de publication. Selon leur position dans le texte sont à présenter comme suivant:

- Un seul auteur : texte (auteur, année de publication) texte...
- deux auteurs : texte (auteur1 et auteur2, année de publication) texte...
- plus de deux auteurs : texte (auteur1 *et al.*, année de publication) texte...

ou: Selon auteur (année de publication) texte... ; selon auteur1 et auteur2 (année de publication) texte... ; selon auteur1 *et al.* (année de publication) texte...

Dans le cas de plusieurs citations d'auteurs- année de publication, il est recommandé des séparations par un point-virgule.

(auteur, année de publication ; auteur et auteur, année de publication ; auteur *et al.*, année de publication).

Si un auteur donné ou plusieurs mêmes auteurs ont publié la même année, ajouter les lettres a, b, c, etc. après l'année de publication. Auteur (s), année de publication a, b, c, etc.

Dans la liste bibliographique, les références seront classées dans l'ordre alphabétique des noms des premiers auteurs. Tous les auteurs doivent être mentionnés.

Exemples de structuration

Livre : Bruneton J., 1996.- *Plantes toxiques: Végétaux dangereux pour l'homme et les animaux*. Ed. Lavoisier, Paris, 687 p.

Thèse : Pibiri M. C., 2005.- *Assainissement microbiologique de l'air et des systèmes de ventilation au moyen d'huiles essentielles*. Thèse de doctorat, Ecole Polytechnique Fédérale de Lausanne, 160 p.

Article : Schoonhoven L. M. et Derksen-Koppers I., 1976.- Effects of some allelochemicals on food uptake and survival of a polyphagous aphid, *Myzus persicae*. *Entomologia Experimentalis et Applicata*, vol. 19 (1): 52-56.